



من المسرح العالمي

العددان

٢٨٢ - ٢٨٣

شارع دوران

تأليف : آرمان سالاكرو

ترجمة : نورالدين خضور

مراجعة : د. نادية كامل

اقتسام الظهيرة

تأليف : بول كلوديل

ترجمة وتقديم : محمود قاسم

مراجعة : د. عبدالغفار مكاوي

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

نوفمبر ١٩٩٦

العددان

٢٨٢ - ٢٨٣

نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٤



من المسرح العالمي

شارع دوران

تأليف : آرمان سالاكرو

ترجمة : نورالدين خضور

مراجعة : د. نادية كامل

اقتسام الظهيرة

تأليف : بول كلوديل

ترجمة وتقديم : محمود قاسم

مراجعة : د. عبدالغفار مكاوي

سلسلة شهرية تصدر عن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

المشرف العام:

د. سليمان العسكري

أمين عام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

مستشار التحرير:

د. محمد مبارك بلال

مديرة التحرير:

وسمية الولايتي

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب ٢٣٩٩٦ - الصفاة . الكويت 13100

شارع دوران

تأليف : آرمان سالاکرو

ترجمة : نورالدين خضور

مراجعة : د. نادية كامل

العنوان الأصلي للمسرحية

Boulevard Durand

مقدمة المترجم

ولد آرمان سالاكرو في روان عام ١٨٩٩ ، إلا أنه أمضى طفولته وصباه في الهافر التي أتاها عام ١٩٠٢ .

وقد أتاح له دراسته للبيانو والتأليف الموسيقي على يد ليون دوفي التعرف على شقيق هذا الأخير، وهو المصور راؤول دوفي، الذي نَمى لدى سالاكرو إحساسه وتذوقه لفن التصوير. وبعد شهادة الثانوية العامة ارتحل سالاكرو، الذي كان يعشق الآداب والفنون، إلى باريس لبدأ دراسة الطب.

إن مروره العابر في المستشفيات ترك لديه انطبعا عميق الجذور، وقد باشر من ثم دراسة الفلسفة والحقوق في الوقت الذي كان يجري فيه استطلاعات صحفية لجريدتي الأومانيته والانترياسيونال.

في عام ١٩٢٢ قرر الزواج، وقد صادق المصورين ماسون، وخوان جري، وميرو، والأدباء ميشيل لاريس وتريستان تزارا وأنطونين آرتو وماكس جاكوب، وبدءاً من عام ١٩٢٣ تحول سالاكرو نحو المسرح، ولقد لفتت محاولاته الأولى ذات الصبغة السيريالية الانتباه دون أن تلاقي إقبالا واسعا من الجمهور.

وبحلول عام ١٩٣٠ حقق أرباحاً طائلة في ميدان الدعاية: لقد كان يحشر أخباراً متفرقة مختلفة للدعاية في صفحات الجرائد، كما مارس أيضا الدعاية الإذاعية (قصائد صغيرة ملحنة) الأمر الذي أتاح له أن يواصل مسيرته المسرحية دون تنازلات منه لإرضاء أذواق الجمهور، وهكذا قدم إلينا عام

١٩٣١ مسرحيته القوية جداً: «أطلس أوتيل "Atlas - Hotel" حيث يتداخل الفعل والحلم، ثم وعلى التوالي «مجهولة آراس "L'Inconnue d'arras» (١٩٣٥)، «ورجل كسائر الناس» (١٩٣٦)، و«الأرض كروية» (١٩٣٨)، وكوميديا مرحة «على سبيل المزاح "Histoire de rire» (١٩٣٩)، «وليالي الغضب» (١٩٤٦)، «وأرخييل لونيوار» (١٩٤٧) «والله كان يعلمه» (١٩٥٠).

في عام ١٩٤٩ انتخب آرمان سالاكرو عضواً في أكاديمية جونغور (Goncourt) ومنذ ذلك الحين أثرى مسرحه بأكثر من مسرحية منها على سبيل المثال: «شارع دوران "Boulevard Durand" المستوحاة من القصة الحقيقية لنقابي من مدينة الهافر حيث أمضى المؤلف صباه.

ومن الجدير بالذكر أن سالاكرو قد تعلق منذ طفولته بالقضايا الاجتماعية، فقد أثرت حادثة النقابي دوران على نفسه تأثيراً استمر طوال الحياة.

هزل وهجاء وميتافيزيقيا

يتمتع آرمان سالاكرو بروح الدعابة، وخصوصاً بالهزل، والمواقف والتعليقات المتناقضة، في مسرحية (على سبيل المزاح) يظهر لنا العشيق هزيلاً بينما يتألق الزوج.

ومن جانب آخر، فهو أديب ملتزم يتقصد بشكل لاذع المجتمع البرجوازي، ويناضل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية.

بيد أن أهمية أعماله تتجاوز تجاوزاً كبيراً إغراءات الهزل والهجاء أو الاتهام. إن سالاكرو يفكر أبداً في لغز الألم والسر المأساوي للحياة والموت والوضع

البشري، وتستحوذ عليه فكرة الزمن الذي لا رجعة فيه، والأفعال التي لا يمكن التكفير عنها «الماضي هو جهنم الحقيقية، فلا أمل في التحرر منه أبدا هكذا يقول في «المسعودون» (١٩٣٤)، «إن الإنسان يخلق دائما أشياء أبدية» (مجهولة آراس)، وفي مسرحيته «اتجاه ممنوع» تعاش الحياة بالملقوب من الموت إلى الولادة، وفي «مجهولة آراس» تتراءى للبطل كل حياته التي يتقبلها كقدر بين اللحظة التي يطلق فيها رصاصة في قلبه واللحظة التي يفارق فيها الحياة.

وبالتالي فإن الهزل تتبدل ملامحه، فالضحك يغدو دوارا، والتأملات القلقة تتمازج بشكل غريب مع الواقعية والهزل، وإن كان سالاكرو من دعاة الحتمية المادية المتشددة إلا أنه مدين للقلق الميتافيزيقي بعمق مسرحه وطابعه التراجيدي.

مقدمة المؤلف

كنت في العاشرة من عمري ، وكان والداي يقطنان في الهافر أمام السجن عندما سمعت بقضية دوران . لقد بدأت الأمور على شكل خبر متواضع من عشرة أسطر نشرته الصحف المحلية الصادرة في ١٠ سبتمبر تحت عنوان «مطاردة دموية» ومفاده أن شجارا حدث بين سكارى على رصيف الميناء انتهى بمقتل أحدهم . ولم يكن القتل سوى عامل صرعه زملاؤه الفحامون المضربون لعدم تضامنه معهم في إضرابهم . وبعد بضعة أيام وأمام دهشة الجميع ، صدر قرار اتهام بحق أمين النقابة جول دوران ، وفي المنزل تابعنا القضية وجلسات محكمة الجنايات ، إذ أن والدي وأصدقاءه كانوا مقتنعين ليس ببراءة جول دوران فحسب بل بأن الأمر لا يعدو كونه مؤامرة . وإني لمقتنع أن كل حياتي قد تأثرت بهذا الخطأ القضائي الفاحش الذي عشته في طفولتي ، وما كان يمكنني أن أنساه . إن تجربتي هذه مع لؤم البشر وطبيبتهم كانت لي دائما وبشكل لا شعوري تقريبا معياراً أقيس عليه كل الأحداث التي تطالعني في مجرى حياتي ، وقد عقدت العزم على أن أتكلم عن هذه القضية ذات يوم ، وفي أواخر حياتي وفيت بوعدني .

الواقع أن «شارع دوران» ليست بالكوميديا ولا بالدراما . إنها واقعة تاريخية لم أعطيها أي طابع روائي . لقد تتبعبت بمساعدة الوثائق التي وجدتها اليوم ذاكرتي الطفولية ، فضلا عن أني قد تعرفت إلى بعض أشخاص هذه القصة الذين طالما ترددت أسماؤهم على مسامعي في فترة صباي .

ففي عام ١٩٠٨ انتخب والدي مستشارا بلديا للمدينة مع مرشح قائمته رونه كوتي، وهو محام شاب سيدافع عن جول دوران، كما سيدافع أحد مساعدي العمدة السيد جانكين عن الأخوين بوايه، وكان والدي يتحدث في المنزل عن مدير الأمن بكل احترام، ثم إن رئيس رابطة «حقوق الإنسان والمواطن» الذي شهد لصالح دوران أصبح من أصدقائي في أواخر الحرب العالمية الثانية. وقد تعرفت في فترة لاحقة إلى الشخص الذي أطلق عليه اسم المندوب.

لقد غيّرت بعض الأسماء، صحيح أن قضية دوران أقل شهرة من قضية دريفوس، إلا أن هذا لم يمنعها من أن تدخل التاريخ، كما هو الحال بالنسبة لكل شخصياتها، لقد غيرت أسماء الشهود واسم الضحية لأن بناته الثلاث مازلن على قيد الحياة، أما زوجته التي أدعوها مدام كابرون فقد وقعت على عريضة العفو عن جول دوران.

وكي أظهر كم كنت حريصا على متابعة موضوعي دون اللجوء إلى أي نوع من الأبحاث الأدبية أو المسرحية أورد هنا بعض الرسائل التي بعثها جول دوران بعد اعتقاله إلى والديه وخليته جوليا، إضافة إلى رسائله بعد الحكم عليه بالموت على المقصلة.

٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩١٠

عزيزتي جوليا،

أضع نفسي مكانك، إنه مؤلم بالنسبة لك أن تريني في السجن، لكن أقول لك إنني واثق مسبقا أنه سيخلي سبيلي وأنه سيتسنى لي أن أعانقكم جميعا . . .

٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩١٠

عزيزتي جوليا،

تأكدوا أن صحتي بخير وأن براءتي ستكون أكثر نصاعة كلما تأخر إعلانها . . . أخيراً لدي أمل أننا سنلتقي قريباً، لأنه سيكون هناك حل في الأيام المقبلة.

أول أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٠

عزيزتي جوليا

أخبرك أنني كتبت إلى المحامي كوتي لكي يأتي لزيارتي . لقد مضت فترة طويلة لم أستدع فيها للتحقيق . مادام أبي وأمي سيزورانني بعد ظهر هذا اليوم فأنا لا أجد شيئاً كثيراً أقوله لك الآن، تقولين إنك تنوين العمل، يا ليتك تستطيعين صرف النظر عن هذا الأمر فأكون سعيداً جداً . لا أريدك أن ترهقي نفسك على الإطلاق! إن كان لابد من ذلك اشتغلي بالخياطة في المنزل، هذا يكفي! أنت بحاجة للراحة، لم يمض وقت طويل على مغادرتي المنزل لتجدي نفسك مضطرة للعمل، أنت بحاجة للراحة . لا تخافي، سأعوض الوقت الضائع . أنت تعلمين أننا نكسب في الشتاء مالاً أكثر في مهتنا .

الاثنين ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٠

بالنسبة للوقت الحاضر أقول لك إن ضجري قد خف، يمكنني أن أتسلى مع رفيقتي بوابيه، وهما مثلي ضحية الظلم، نعم إنها مثلي ويعلمان حق العلم

أن الذين يتهموننا سلوكهم مخز، فنحن رؤساء الورديات استطعنا أن نقيمهم
خصوصاً أثناء العمل .

أحب أن أخبرك أني كتبت إلى السيد كوتي لأنقل إليه بعض المعلومات .
أمل دائماً أن يأتي قريباً اليوم السعيد الذي يظهر لذوي الضمائر من الناس أننا -
نحن الذين نحب أن نحيا في بيئة نزيهة - ضحايا إفادات كاذبة . . . إن
صاحب الضمير يتعذب . ولقد تعذب المسيح بدوره كي ينشر تعاليمه : «أحبوا
بعضكم بعضاً» .

٢٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٠

شيء بسيط أقوله لك : إن مدير السجن أخبرني أنك التمتت عربية من
أجلي .

أرفض ذلك كل الرفض . إني رجل يتعرض في الوقت الحاضر للظلم ، فأنا
أقول بصوت عال إن ما يتهمونني به محض افتراء ، إن ضميري نظيف وسيبقى
كذلك دائماً .

إذن فسوف أذهب رافع الرأس وأعود كذلك ، لكن دون عربية . إني أحترم
النظام مادام يطبق علي وعلى غيري . فنحن العمال الذين لا نكسب قوتنا إلا
بمشقة علينا ألا نبدد المال ، علينا أن نحافظ عليه بعناية ، لأن الحياة مريرة
جدا بالنسبة للذي ليس لديه في الوقت الراهن شيء يعيش منه سوى ضميره
واستقامته . أصر إذن على أن يبقى هذا المال في حوزتك . لا تنسى أننا قد
فقدنا مبلغاً كافياً من المال خلال هذين الشهرين في السجن الذي نتحملة
ظلياً .

٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٠

أجل لقد تعذب المسيح، يمكننا أن نؤمن بذلك، بالأخص في زمنه لو أنه
تكلم عن النقابة، إني مقتنع أنهم ما كانوا ترددوا طويلاً في اتخاذ القرار
بصلبه.

الأجدر بنا أن نعتمد على الشباب، يلزمنا الكثير الكثير من الوقت
لتوصل إلى أن يدرك الناس ويفهموا أن حياتنا على هذه الأرض قصيرة الأمد،
لذا فالأولى بهم أن يتحابوا بشكل أفضل بكثير.

(إلى والده)

٢٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٠

تشجع، إن إخلاء سبيل ابنك الذي يحبك أصبح قاب قوسين، لديك إلى
جانبك أشخاص يحبونك، وولدتك يعترف تماماً أنه السبب في طردك من
عملك، لكن هل خطر على بالك أبداً أن رئيسك، بعد كل الخدمات التي
قدمتها إليه، سوف يحملك جريمة ما نسب إليّ. فليكن، أنت بحاجة
للراحة، واهتف معي «عاشت النقابة».

١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٠

إن المدعين علينا قد اقتادوني والأغلال في يدي، لكن عليهم أن يحترسوا،
إذ سيتحقق لمحنة الجنايات أن اتهاماتهم ملفقة وأنهم متحاملون على
النقابة.

٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٠

(بعد صدور حکم الإعدام)

والدای العزیزان

بعد حالة الانهيار العصبي التي استمرت لدي لبضعة أيام، بدأت أستعيد قواي لأنني مقتنع ببراءتي . لقد انتصر المدّعون علي ، بيد أن محاميّ كوتي في حوزته كل ما يمكنه أن يثبت أنني ضحية اتهامات ملفقة حتّى لدي الأمل في أن يوضع في مكاني أولئك الذين يمتنون الكذب ، ثم إنه لا يحق للعدالة أن تدينني ، أقول ذلك بملاء فمي ، قد يتعللون بأن الأمر مجرد خطأ، لكن الناس مسئولون إزاء خطأ من هذا النوع . إنهم لم يحاولوا أن يتحروا صدق أقوال المدعين عليّ .

ليس التحامل من شيم هيئة المحلفين بل هو الضمير.

إن الحكم الذي صدر علي اعتباري .

إنه تحامل على قضية النقابة ، ومع ذلك فإنه يحق لأرباب العمل أن يتسبوا للنقابة ! لماذا لا يحق لنا نحن العمال أن نتنظم في نقابة؟

سأكتب لمحامتي، هذا أمر مزعج حقاً، فجميع مدخراتنا ستلاشى .
لا عليك، فقد ينجدنا بعض المحسنين ممن يعرفون وضعنا، ويعلمون أنني
ضحية افتراءات حقيرة . علينا أن نتحلى بالشجاعة، وألا نتخاذل، وبخاصة
أنكم تعلمون كلكم براءتي التي أثبتها الشقيقان بواييه . . .

لك سلامي يا جوليا الحبيبة، ابقى قوية، سيعود إليك حبيبك جول، إنها

مسألة وقت، ولسوف يكون الانتصار أجمل . لكن أؤكد لك أني تعرضت
للعبة قدرة، هيا، سأعود .

سلامي إلى كل أصدقائي ، إلى أمي ، إلى أبي الغالي .
ابقوا متحدين ومتحايين . سلامي لك يا جوليا ، فأنا أغلب الوقت أفكر
فيك . . .

إنه لأمر مؤسف ، ولكن كان يجب أن أكون حراً الآن .

الاثنين ٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٠

والدائي الغاليان

من بعيد جدا أكتب إليكما ، ولكم أشعر بالأسى إذ أقول لكما إن ابنكما قد
انتزع منكما في أواخر أيامكما ، في هذه المرحلة التي كنت قد صممت أن أكون
لكما نعم السند . ليس البشر دائماً عادلين ، إلا أنهم لا يفعلون ذلك عامدين
متعمدين .

أحسب أن ليفيك مبتهج للحكم الذي صدر عليّ .
وبعد ، لقد أخلي سبيل الشقيقين بواييه . بريثان سلما من العقاب ! وكأني
بمتهميّ قد اكتفوا بي ضحية .

والدائي العزيزان

تأكدا أني لست مجرمًا . ستوضح لكما الحقيقة فيما بعد ، إنني متأكد أنها
ستوضح ، لكن للأسف بعد فوات الأوان . . .

بعد صدور الحكم عليه لم يحتمل عقل جول دوران الظلم . إليكم ما يقوله
قرار محكمة التمييز بتاريخ ٢٨ فبراير (شباط) ١٩١١ : «يقول التقرير الصادر

في ٢٦ يناير (كانون الثاني) عام ١٩١١ عن رئيس أطباء مستشفى الأمراض العصبية في الكاترمار إن دوران في حالة ذهول مزمنة، مصحوبة بنوبات انفعالية عنيفة، من وقت لآخر وأنه لم يطرأ أي تحسن على حالته، بحيث يجب اعتبارها غير قابلة للشفاء».

لقد هزت قضية دوران جماهير العمال في فرنسا والخارج، وفي ٩ أغسطس ١٩١٢ ألغت محكمة التمييز حكم محكمة روان. بيد أن براءة دوران لم يعترف بها رسميًا بعد. وههنا وثيقة وجدتها في أرشيف المحافظة، وهي تتعلق بوالد دوران الذي حاول الانتحار في محطة قطار روان، مساء صدور الحكم.

الهافر، ٢٤ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٣

السيد جينستال

عمدة الهافر

السيد العمدة

نقترح عليك أن تدشن يوم الأحد القادم – الواقع في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) – ضريحاً تخليداً للذكرى والد جول دوران، يدور عليه ما يلي:

«جوستاف دوران، ٥٨ عاماً

إن الأحزان والشقاء التي عانى منها من جرّاء حكم الإعدام الصادر على ابنه البريء قد أوصلته إلى القبر». هذا الصباح قال لنا مسئول المقبرة إنه لا يستطيع تحقيق رغبتنا ما لم نأته بإذن من رؤسائه. كما طلب منا أن نحذف كلمة بريء.

وقد خاطبت في هذا الشأن السيد جانكين فقال إنه لا يستطيع أن يقرر شيئاً دون إذنك .

أظنك ترى ، سيدي العمدة ، أن لا شيء مَخْلًا بالأمن في أن يدون على قبر والد دوران المرحوم بعض العبارات الصادقة ، ونحن نعتمد عليك في أن تطمئن السيد جانكين والسيد مسئول المقبرة .

وتفضل سيدي العمدة بقبول فائق احترامي .

التوقيع ج . ديشيردار

الهافر ، ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٣

السيد . . .

جوابا على الرسالة التي وجهها إلي السيد ديشيردار ، لي الشرف في أن أقول لك إنني لا أرى مانعا في أن يدون على ضريح السيد دوران النص التالي :

«إن الأحزان والشقاء التي عانى منها من جراء حكم الإعدام الصادر على ابنه البريء قد أوصلته إلى القبر» .

وتفضل . . .

لقد غيّرت أيضا اسم شركة السفن . إنها لا تزال موجودة ، لكن أساليبها الاستثمارية تطورت كثيرا خلال خمسين عاما . . . بل يمكنني أن أقول إن الفحم نفسه قد تلاشى من على أرصفة الهافر الذي تحول إلى ميناء بترول .

أخيرا فإن الشخصيات البرجوازية ، شخصيات «التل» متخيلة . لكنها ليست وهمية . لقد أردت أن أظهر إلى جانب مصاعب العمل مصاعب أرباب

العمل ، وأن الموت يحوم أيضاً حول التجار الذين كانوا يعرفون كيف يضحون بأنفسهم في سبيل الفكرة التي يكونونها عن واجبهم . ووراء اسمي بوجنهارت وسيامان لا يمكن أن نذكر أي اسم حقيقي ، إن لم يكن كافة الأسماء تقريباً وقتئذ . لن أشير في هذا الشأن إلا إلى مرجع لشاعر جعل من نفسه طوال أربعين عاماً مؤرخاً لمدينة الهافر ، وهو جوليان جيلومار . إليكم بضعة أسطر مأخوذة من كتابه «روح الهافر وملاحها منذ نشأتها» . .

«لقد تحدثت عن شلة برجوازية في نهاية القرن الماضي . فالطبقة الراقية أي البرجوازية الكبيرة كانت تشكل في الهافر طبقة مغلقة جداً من ذرية كبار أصحاب السفن ، وكبار التجار الذين راهنوا بنجاح على القرصنة ، وتجارة الرقيق الأسود وصيد الحيتان ، واستجرار المواد شديدة الطلب ، لقد كانوا يمتلكون ثروات ضخمة وطيدة الأركان ، رغم تقلبات المضاربة على البن والبهار والصدف والقطن . . .

ثم إن منازلهم التي كانت عبارة عن قصور صغيرة حقيقية وسط حدائق غناء تشهد على متانة الثروة الموروثة والمنمأة ، مشكلة خلفية جميلة ألا وهي الهضبة التي تشرف على المدينة من أولها إلى آخرها .

إن رجال المال هؤلاء كانوا يبدون في معظمهم نوعاً من اللامبالاة المتعالية إزاء كل من لا يدانيهم ثراء ، بل إن بعضهم كان يتناسى فيما يبدو أنه لولا ثروة والده لما تمكن من أن يصبح على ما هو عليه ، ومن جانب آخر فإن هؤلاء التجار المعتزين بمنازلهم والقساة في أغلب الأحيان على عمالهم ، كانوا يلتزمون في العلاقات التجارية تصلباً فريداً من نوعه ، كان مصدر قوة صفقات البن ، والقطن ، والصوف ، والشهرة العالمية للموقع . فعندما لا يتوقع صاحب

السفن ، أو التاجر ، أو صاحب المصرف الذي يمر بصعوبات مالية ، أي تعويم عائلي وسري ، فإنه يتتحر أحياناً في المكتب الذي طالما عمل فيه .

متى ، كيف ، من سيمثل هذه المسرحية ، في أي بلد ، أمام أي جمهور؟ لا أعلم شيئاً حتى الآن . إنما للمرة الأولى في حياتي الأدبية ، أشعر أنني كتبت ما كنت أرغب تماماً في كتابته ، وأني أنهى هذا الكتاب وأنا مرتاح الفكر.

رب قائل يقول إن بطل هذه القصة لا يظهر ذكاء فريداً . إنما هذا ما يجعله أعظم في نظري . إن طبيته الشديدة هي التي تؤثر في ، ولئن كانت هذه الطيبة تجعل من جول دوران مسيحاً مصلوباً ، فإن ذلك لا يقلقني ، وأنا لم أحاول أن أتجنب هذه العقبة . في المعركة لا تتعدد الخيارات .

يمكننا أن نتساءل عن جدوى هذه المعركة وجدوى آلام جول دوران ، إن الألم يتجلى لي دائماً في جو وتلوين عبيين ، فباستشهاد جول أو عدمه كان الفحم سيتلاشى من على أرصفة الهافر . لكن إلى أي فضائح قد تقود بعض الأنانيات؟ كيف يؤدي الكذب إلى الجريمة؟ كم المحاباة آثمة! هذا ما تلفت نظرنا إليه قضية دوران التي مضى عليها زمن ، وأيضاً إلى أن هناك موقفاً وحيداً جديراً بالإنسان أمام الحقيقة وهو أن يفتح عينيه وأن يقول هذه الحقيقة .

٢ فبراير (شباط) ١٩٦٠

إني إذ أختتم اليوم ، الأحد ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١ ، جولتي في توركوان ، والهافر وروان ، أصبحت أعلم الآن من مثل هذه المسرحية أول مرة ، وأمام أي جمهور ، وبعد كم من المغامرات التي سأرويه في يوم جد قريب بكل دقة ، لأنها تنطوي على عبرة طريفة عندما نتوق للضحك .

بعد صدور الكتاب والانتهاء من أعمال الطباعة، ما كنت أتوقع تلك الضجة الكبيرة، فالمسرحية - أي مسرحية - لا تثير اهتمام نقاد الأدب، والنقاد المسرحيون ينتظرون العرض. لذا فقد فوجئت بالمقالات الطويلة التي خصصتها صحف اليمين واليسار لمسرحية «شارع دوران»، ولقد تلقيت خطابات غير متوقعة حقاً. وفي سبيل إطلاع القارئ على نوعية هذه الخطابات أقدم له أحدها كعينة، وهو موجه من الأستاذ روبير دوبري.

٢ يونيو (حزيران) ١٩٦٠

السيد سالاكرو

أسمح لنفسي أن أكتب إليك هذه الرسالة دون سابق معرفة. لقد سمعت عندما كنت شاباً بما قيل عن دوران، ومحاکمته، وبراءته. إن ذكريات كهذه لا تمحى ولقد احتفظت بها في داخلي وهاهي مسرحيتك تعرض لتلك المأساة، فإذا بي أشعر برغبة شديدة في أن أعبر لك عن تقديري وإعجابي بالموضوع الذي اخترته وبموهبتك الأدبية الفذة.

روبير دوبري

وكنت قد أرسلت نسخة من «شارع دوران» إلى السيد رئيس الجمهورية، فجاءتني رسالة من أمانة سره الخاصة تشير إلى استلام النسخة، وتخبرني أن سيادته سيشكرني بنفسه لاحقاً.

كان سروري كبيراً، لكن رئيس الجمهورية سافر إلى الولايات المتحدة، ومن ثم إلى بريطانيا، ولدى عودته ذكرت الصحف أنه سيستريح الأحد والاثنين والثلاثاء في كولومبي لي دوزيكليز. ويوم الأربعاء وجدت في بريدي

مغلّفاً مكتوباً عليه بخط اليد: السيد آرمان سالاكرو، من أكاديمية
جونكور. . . وإذ نظرت إلى ختم البريد تبين لي أن الرسالة قادمة من كولومبي
لي دوزيكليز. . . فضضت الرسالة فإذا هي رسالة من رئيس الجمهورية
وبخط يده. ولكم أدهشني رجل الدولة هذا الذي يستريح وهو يقرأ كتاب
أديب لا يعرفه، أديب ليس كاتباً رسمياً إنما يريد أن يعرف وبخط يده أنه قرأ
كتابه.

وفي نفس الأسبوع جاءتني رسالة أخرى من مصدر آخر وقد أثارتني
بدورها:

«اتحاد نقابات العمال

في الهافر ومنطقة ساركل فرانكلين.

الهافر

السيد آرمان سالاكرو

خلال جلستها الأخيرة قامت اللجنة التنفيذية لاتحاد نقابات العمال في
الهافر ومنطقة ساركل فرانكلين بتقييم كتابك «شوارع دوران» ولئن أبدى
البعض بعض التحفظات إلا أن كل الأعضاء الذين قرأوا عملك باهتمام بالغ
قد امتدحوا بإجماع صدقه ونزاهته.

ولقد قرر الأعضاء أن يوجهوا إليك هذه الرسالة تعبيراً عن التقدير والشكر
على كتابك الذي يعرف الجمهور العريض بقضية اتخذتها الطبقة العمالية منذ
خمسین عاماً رمزاً لها في كفاحها من أجل حقها في الحياة.

ونحن نتمنى أن تترك هذه المسرحية صفحات الكتاب إلى خشبة المسرح
لتنال النجاح الذي تستحقه. . . .»

أظن أنه لو جاءتني رسالة من ورثة دوران ، أظن لو أن هؤلاء أقنعوني أني لم أحسن عرض قضية دوران ، وأن عمال الهافر لم يتعرفوا في مؤلفي على آبائهم ، أظن بصدق أني كنت أوقفت محاولات من أجل عرض « شارع دوران » على خشبة المسرح .

بيد أن الطريق كان يبدو لي وقتها سالكا ، وذلك بعد أن تلقيت رسالة رئيس الجمهورية ورسالة ورثة دوران .

وهنا أذكر أني بقيت لسنوات أبحث عن وثائق من أيام دوران ، وأحاول الاتصال بأشخاص عاصروه . كنت أسأل هل ولد ابن جوليا وجول دوران؟ هل كان صيبا أم بتتا؟ ماذا حل به أو حل بها؟ لا أحد كان بمقدوره أن يجيبني . ومن هنا كان هذا الرد في المسرحية على لسان جوليا :

«جوليا : ابنه . ابنه . قد يكون بتتا!»

وذاذ يوم وإذ كنت في سويسرا استلمت هذه الرسالة وكانت في الأصل موجهة إليّ على عنواني في الهافر:

١٠ يناير(كانون الثاني)١٩٦١

سيدي

لابد لي أولاً من أن أعرفك بنفسني : إني ابنة جول دوران . لطالما شاهدت والدتي - رحمها الله - تجهش بالبكاء ، وأنت تدرك يا سيدي أن حياتها وحياتي قد تحطمتا . في صباي لم أشهد إلا الأحزان والدموع ، وما كنت أسمع إلا نثفا من أحاديث .

إن جارة لنا لطيفة هي التي أخبرتني أني ابنة جول دوران الذي حكم عليه بالإعدام، فيما بعد فإن جدتي هي التي روت لي كل شيء عندما أصبحت صبية.

إني من مواليد ١٤ مارس (آذار) ١٩١١، شارع رينيار، مسكن ١٤. في هذا المكان أتى والدي لزيارتي، لكن للأسف كانت بوادر الجنون تلوح عليه.

أؤكد لك أن كتابك رائع، وعلى الرغم من أني لم أعرف والدي، فإنه يؤثر في ويؤلمني كثيرا عندما أفكر كم قاسى وتعذب.

تأكد يا سيدي أنه لا من باب المنفعة ولا من باب التباهي أوجه إليك هذه الرسالة، بل فقط كي تعلم أن الطفل الذي كان يفترض به أن يولد في كتابك هو أنا، ابنة جوليا وجول دوران، طبعاً إن والدتي قد سمتني جوليت تخليداً لذكرى والدي، لدي دفتر عائلة والدي.

وتفضل يا سيدي بقبول فائق احترامي.

كان كتابي يقرأ بشكل خاص في الهافر، وروان. وقد حضرت إليّ إحدى بنات من أدعوه بكابرون. كما التقيت أيضاً شاباً أخبرني أنه ابن الشرطي الذي كان يرافق جول دوران أثناء محاكمته. وذلك الشرطي قد أثر فيه جول دوران، والمحاكمة، والحكم بحيث حدث ابنه عن كل ذلك بعد عشرين عاماً. أخيراً، وخلال العروض الأولى تقدمت إليّ سيدة عجوز بيضاء الشعر، قالت لي إنها عرفت جول دوران، حيث كانت جارة له، وإني في مسرحيتي اختصرت النهاية، فجول دوران، لدى خروجه من السجن، جاء إلى الهافر حيث استقبل في المحطة من قبل كافة النقابات. إن لديها صوراً عن وصول

جول دوران بقبعته المستديرة بين والده ووالدته ، لكنه بدءاً من اليوم التالي ألقى بأثاث المنزل من النافذة ، كما ازدادت نوباته ، فكان لابد من نقله إلى مستشفى الأمراض النفسية .

هذا وما أخبرتني به السيدة العجوز أن جول دوران خلال إحدى نوباته خنق بكلتا يديه حماماته التي كان يحبها كثيراً .

مازلت لا أعتبر نص «شارع دوران» نهائياً ، فأنا خلال التدريبات على المسرحية أغير النص : إني أحذف ، أبذل ، أحاول التخفيف . وهكذا دمجت في مشهد واحد (المشهد الثاني عشر) المشهدين القديمين : الثاني عشر والثالث عشر . كنت أود أن أحذف أكثر من ذلك ، بيد أن المخرج أندريه رايباز كان يعارض كافة الاقتطاعات التي أقترحها .

إن قام يوماً ما بعرض هذه المسرحية في باريس ، فأنا أمل خلال التدريبات الجديدة أن أقوم بهذا العمل الضروري ، والذي لا يمكن القيام به إلا لحظة خروج النص من الكتاب إلى أضواء المسرح ، لحظة يتوقف المؤلف عن الإصغاء إلى صوته وكأنه في حلم ، فيسمعه يتردد بين شخصيات تتحرك فجأة أمامه بحضورها المذهل .

وهنا أورد إليكم مقتطفات مما قالته الصحف الباريسية غداة الإعادة النهائية للمسرحية في الهافر:

في هذه المسرحية تبرز غنائية مصدرها الرؤية الداخلية والفهم الجواني ، وتدعمها الرغبة الشديدة في التواصل مع الجمهور ، لا عن طريق السهولة والاسترضاء أو التملق ، بل بمخاطبة القلب والفهم .

لقد بقي المسرح الشعبي حلما لفترة طويلة ، والبعض مازال ينكر إمكانية تحقيقه . لكن تواجدنا بين جمهور الهافر أكد لنا أن الحلم قد غدا حقيقة . ورغم قوة الذكريات ، فإن «شارع دوران» ربما لم تكن بالنسبة للكثيرين سوى شارع من شوارع الهافر . بفضل سالاكرو ورايباز أصبح هذا الاسم يوحى الآن بالتلاقي بين كتاب وجمهور وعى أخيرا تاريخه .

آندريه ألتير

(تيمواناج كريتيان)

«بعيدا عن أن تبدو تبسيطية سخيفة أو ديباغوجية ، فإن هذه السلسلة من الصور المؤثرة والحوارات العنيفة تفتت الأكباد .

من يدري إن كانت الأزمات الاجتماعية لا تشكل «في الوقت الحاضر» أفضل مادة مسرحية» . (لوموند)

«عمل عظيم وحديث» (الأومانيته)

«أمسية عظيمة ورائعة» (الأورور)

«قلب سالاكرو . إنه إنما يستمر في الخفقان طوال هذه اللوحات الأربع عشرة ، الأمر الذي يؤدي بالمسرحي إلى التخلي عن كثير من الفن كي يمجّد الكثير من الحقيقة . وما يميز «شارع دوران» عن أي ميلودراما طبيعية* هو صدق الوقائع . علينا أن نردد ذلك فنفهم لماذا لم يتردد سالاكرو في أن يوارى أسلوبه الخاص خلف سداجة وبراءة رسائل دوران» .

لاكروا

* نسبة إلى المذهب الطبيعي .

«لقد شاهدت في الهافر مسرحية «شارع دوران» لمؤلفها آرمان سالاكرو، هذه المسرحية التي يحوم حولها منذ وقت طويل ويحذر أشهر مخرجينا، وإني والله مسرور جدا لحذرهم، لأنه أتاح لفرقة حديثة من فرقنا المسرحية، ولآندريه رايباز الذي يديرها، والذي أخرج المسرحية أن يتصدى لعمل شعبي بحت، بسيط، وقاس، عمل قام بإنجازه وبكل ثقة المسرحي سالاكرو، وهو يذكّرنا بأن ممارسة الفن المسرحي تتضمن أيضا الحق في التأثير فينا بواسطة مشاعر كبيرة وطيبة» .

(الفيجارو لبتير)

الشخصيات

حسب تسلسل ظهورها على المسرح

القسم الأول

تمهيد

رجل

عامل أول

عامل ثان

عامل ثالث

كابرون

جول دوران

دوران الأب

جوليا : خلية جول

المشهد الأول

عامل أول

جاستون بوايه

دولافيل

عامل رابع

عامل خامس

صاحب الحانة

المشهد الثاني

الشاب

الفتاة

لوك دوسيامان

أوليفيه بوجنهارت

إليزابيث دوسيا مان (ليز) زوجة لوك وشقيقة أوليفيه

روسيل

العمدة

مدير المدرسة

زوجة مدير المدرسة

كبير الخدم في الفندق

المشهد الثالث

والدة دوران

لويس بوايه

عامل (يلهث)

زوجة كابرون

المشهد الرابع

تاجر

تاجر آخر

المشهد الخامس

عامل مضرب أول

عامل مضرب ثان

عامل مضرب ثالث

عامل مضرب رابع

عامل مضرب خامس

عامل مضرب سادس

البقال

زوجة البقال

الجزار

زوجة الجزار

البرجوازي

زوجة البرجوازي

المشهد السادس

عاملان

المندوب

المشهد السابع

مضرب أول

مضرب ثان

مضرب ثالث
مضرب رابع
رجل أمن أول
رجل أمن ثان
رجل أمن ثالث
رئيس الأمن

القسم الثاني

المشهدان الثامن والتاسع

قاضي التحقيق
شرطي
أرجنتان (فحام)
ليفاك (فحام)
موران (فحام)
فحام آخر

المشهد العاشر

البحار
الصبي
شرطي أول
شرطي ثان

المشهدان الحادي عشر والثاني عشر

رئيس المحكمة

الآنسة لوساج

المحامي

المدعي العام

مساعدان (صامتان)

جنديان (صامتان)

الطبيب فوفال

المشهد الثالث عشر

حارس السجن

رسول

رسول ثان

مدير السجن

مدير مستشفى الأمراض العصبية

تدور الأحداث في الهافر، ثم في روان، بين عامي ١٩١٠-١٩١٢.

القسم الأول

تمهيد

(وسط الديكور المظلم للميناء يتقدم . . .)

رجل : قبل الحرب الكبرى بالتحديد شهد رجال ونساء المأساة

التي ستعرض أمامكم لكنهم أصروا على إغلاق أعينهم
وسد آذانهم كي يعيشوا في سلام مع ضمايرهم بل إن
بعضهم تظاهر بالنوم . لعلهم كانوا نائمين حقيقة ،
يعيشون هكذا في أمان تام .

اليوم سيبحث من ماتوا . . .

(حول الرجال عمال فحم يرتدون سراويل من المخمل
الأسود ، وسترات من الكتان الأسود وأغطية للرأس ،
ويلفون حبالاً حول وسطهم الذي نرى فيه كلابات
حديدية للإمساك بالأكياس من على الرصيف . أضواء
خضراء وحمراء . منارة بيضاء تدور . صفارات سفن) .

عامل أول : (مقاطعا الرجل) . . . كي ينطرحوا مرة ثانية في

الساقية؟

عامل ثان : كي يسقط الله المطر على وجوهنا أيام العواصف؟

عامل ثالث : هذا سينظفنا .

عامل رابع : (كابرون) لقد سبق لي أن قضيت نحبي على أرض هذا الشارع ، مهشم الرأس بأعقاب الأحذية ، وتريدهم أن يعيدوا المجزرة مرة أخرى؟

العامل الأول : إني ، (إلا عندما أكون مخمورا كالحمار) ، لم أعلم أبدا ماذا جئت أفعل على وجه البسيطة ، وتريدني أن أعيد الكرة؟

جول دوران : ألكي تخبرني عما يمكن أن تجديه صرخات ألم رجل وحيد محبوس في سجن قصي؟

الرجل : إنها لن تجدي شيئا ، ما لم يسمعها كافة البشر. لكنها عندما تسمع . . .

العامل الأول : حثالة القوم وحدهم يسمعون تلك الصرخات ، وهم إن سمعوها ابتهجوا! بل إنهم لهذا السبب يجعلوننا نصرخ! أما الآخرون ، مرهفو الشعور الطيبون ، فإنهم يسدون آذانهم .

والد دوران : (مخاطبا ابنه) أجل ، يا بني ، للمرة الثانية لن يقبل الخنازير أن يروا شيئا ، أن يسمعوا شيئا .

- جوليا : (امرأة شابة) ليسوا جميعا، يا جول، ليسوا جميعا!
- جول : إذن، فسوف يقولون: «إنها حكاية عفا عليها الدهر» والمرء لا يخل بشفقته ولا يبصيرته على جرائم الماضي فلكم يحب الناس العدل عندما ينظرون في جرائم الماضي! لكني أعلم صمتهم أمام الآلام الراهنة التي يظنون أنهم أبرياء منها إذ يشيخون برؤوسهم عنها.
- الرجل : وعليه فإن قصتك يا دوران، التي كانت حية، تعود إلى الحياة كل يوم وكل ساعة، في سائر أنحاء العالم، في حلل جديدة، في مدن أخرى، ومع وجوه جديدة. إن الذين عرفوك، منذ خمسين عاما، قادوك إلى الموت. وهاهم اليوم يمجدونك في المدينة حيث تعذبت، ثمة شارع يحمل اسمك «شارع دوران». إنهم يمجدون ذكراك في الوقت الذي يقودون فيه أناسا آخرين إلى الموت، أناسا سيمجد أبنائنا بدورهم ذكراهم.
- جول : أواه! تبدو لي المخلوقات الحية عالقة في شبكة مترامية من الوحشية...
- الرجل : ونفس المصيبة تواصل طريقها بخطى وثيدة، ثابتة وكأنها لا نهاية للبؤس أبدا.
- جوليا : لا! لا! يا جول، وحده حبنا لن يموت أبدا.

(الأنوار تغير المشهد)

المشهد الأول

(صوت صفارة سفينة . أنوار حمراء وخضراء تضيء . تسمع أصوات معدنية متواترة . نحن على رصيف الميناء ، في الليل ، صفير حاد يمزق سكون الليل . وفي ضوء عمود نور طويل جدا ، على يسار المشهد ، يخرج عمال من سفينة كانوا يفرغون حمولتها ، عن طريق السلم . العمل انتهى . دولا فيل ، رئيس عمال التفريغ ، يراقب الخروج) .

العامل الأول : (مخاطبا الثاني) اقرب ، فأنا عطشان .

العامل الثاني : (وهو جاستون بوايه ، من النقابة) لحظة ، بحق السماء ! أريد أن أنظر إلى ساعتني .

(يخرج ساعتته ويضعها في دائرة الضوء) إنها الثامنة وعشر دقائق ، يا سيد دولا فيل !

دولا فيل : لا أعجب لذلك ، فقد مضت عشر دقائق وأنا أصفر لكم إيذانا بانتهاء العمل .

جاستون بوايه : أنت تصفر من مكتبك ، أليس كذلك ، إيذانا بانتهاء العمل . لذا نواصل نحن العمل في العنابر .

دولا فيل : إنك لست في مكانك هنا ، من الخير لك أن تشتري حانوتا صغيرا ، وتعمل لحسابك الخاص . (مخاطبا العمال الذين خرجوا) عندكم عمل غدا الساعة السادسة صباحا .

العامل الثالث : (كابرون) غدا الأحد !

دولافيل : أظن ذلك سيحرمك من الذهاب إلى الكنيسة ومن تناول القربان .

جاستون بوايه : (بجفاء) كلا، لكن يوم الأحد، الأجر مضاعف .

دولافيل : أيتعبك أكثر أن تعمل يوم الأحد؟ وكيف تعرف أنه الأحد؟ بواسطة التقويم؟

حسنا، غير التقويم، فيصبح غدا الاثنين . ثم، أنتظن السفينة تعرف إن كان ذلك الأحد أو الاثنين؟ عليها أن تغادر «السفينة»، ينبغي لك — أنت الذي ولدت على رصيف الميناء — أن تعلم أن المد لا ينتظر.

جاستون بوايه : ولا النقابة، وهي تطالب . . .

دولافيل : اصغ إلي، يا جاستون، إن كان لديك سرير، غدا صباحاً، ابق فيه ونم حتى ساعة متأخرة .

لن أحتاج إليك غدا، لن أحتاجك أبدا بعد الآن، في مجموعتي .

أنت تتكلم كثيرا، وأنا لا أحب الخطباء (مخاطب كابرون) وأنت أبلغت من العمر حداً يسمح لك أن تعرف وحدك ما يتوجب عليك عمله؟ أو يلزمك أنت أيضا نقابة تعلمك كيف تسير؟

العامل الرابع : وأنت أيضا، كفى كلاما، إنك تشعرني بالعطش .

العامل الخامس : بكل هذه القذارة التي تدخل أفواهنا . . .

العامل الأول : هذا لا ينتهي أبدا! حتى عندما تكون نائما، فأنت تحلم به حينما تستلقي في سريرك، تراك بدلا من أن تفكر في أي شيء آخر، تستمر في ابتلاع الفحم.

(دولافيل قد ابتعد)

العامل الرابع : القذرون! سنعمل غدا!

جاستون بوايه : إن منحونا أجرا مضاعفا . وإلا فعن طريق النقابة . . .

كابرون : أنا سيد نفسي . لا أحد سيأمرني .

جاستون بوايه : ولا النقابة أيضا؟

كابرون : تأمرني عندما يروق لي أن تأمرني، وعندما لا يروق لي ذلك، أنا!م!

العامل الأول : (مخاطبا بوايه) في باريس كانوا يستعدون لنسف مكتب الرئيس وبعد أن استعدوا لذلك، وفي اللحظة التي كانوا سينسفون فيها كل شيء، حضر رجال الشرطة بسرأويلهم الحمراء، أما رفاقك - إنهم لا يزالون يبحثون عن رفاقك - لا أحد يعلم مقرهم! لعلك تعرفه أنت يا جاستون؟

(ضحكات . تظهر حانة مائلة للخضرة، يقف صاحب الحانة أمام بابه) .

جاستون بوايه : في مواجهة البنادق، على المرء أحيانا أن يعرف كيف ينتظر. . .

- العامل الرابع : ماذا ينتظر؟
- جاستون بوايه : . . . ينتظر اليوم الذي ستقرر فيه الطبقة العاملة عدم الانتظار.
- كابرون : ستخبرنا يومئذ ألا نفوت المشهد .
- صاحب الحانة : هل انتهيت من العمل ، أيها الشبان؟
- كابرون : كلا! عندنا عمل غدا!
- صاحب الحانة : عظيم! النقود ستأتي إذا! لنحتفل بذلك!
- جاستون بوايه : لا، أيها الشباب! هناك اجتماع هذا المساء في قاعة فرانكلين، الساعة التاسعة .
- العامل الأول : يا له من مهادر!
- العامل الثاني : لقد انتهى يومنا .
- العامل الخامس : نقولها لك مرة أخرى ، هذا الأمر لا يعنينا في شيء .
- صاحب الحانة : الدورة الأولى من الأقداح على حساب المحل .
- جاستون بوايه : ألم تشرب بما فيه الكفاية وسط هباب الفحم ، منذ هذا الصباح؟ لقد كرع كل منا أربعة لترات . ما عدنا نطبق الشراب .
- صاحب الحانة : ما دخلك أنت أيها المتدين؟ ألا تريد أن يعيش الناس؟
- جاستون بوايه : أو تظن أن خمرك تجعلهم يعيشون؟

صاحب الحانة : بل قل إنها مسمومة . هيا ادخلوا أيها الشباب !

(تختفي واجهة الحانة . ينتقل صاحب الحانة خلف مشربه الذي اصطففت فوقه أكواب المشروب الخضراء المترعة) .

العامل الأول : (مخاطبا بواييه) اصغ إلي ، سأخبرك بشيء حسن ، إنها اصغ إلي جيدا . . .

كابرون : (مخاطبا بواييه) ألن ، ألن تدخل ؟

جاستون بواييه : لا ، هناك اجتماع في قاعة فرانكلين .

العامل الخامس : (بلطف) هيا ادخل ، المشروب على حساب صاحب الحانة .

جاستون بواييه : حاولوا أن تأتوا هذا المساء ، إنها في كافة الأحوال سأحضر غدا صباحا .

(يغادر في عتمة الليل)

كابرون : لا عليك ، اعتمد علينا !

صاحب الحانة : نقابته ، إنها هي من أجل سرقة أموالكم !

العامل الأول : كان الأولى بنا أن نضربه .

صاحب الحانة : وكأنني بكم بحاجة إلى أن أشرح لكم . . .

- العامل الرابع : . . تشرح لنا ماذا؟
- صاحب الحانة : ما علينا، ألم يترك المدرسة في الثانية عشرة من عمره؟
- العامل الرابع : يا معلم، املاً الأقداح، إنها دورتي .
- كابرون : اجعل دورتي مع دورته . كأسان دفعة واحدة! إننا رجال!
- هاك نقودي . إنها من عرق جيني!
- العامل الرابع : (يكرع الكأسين الواحدة إثر الأخرى)
- هذا يلطف أجواء المعدة!
- العامل الأول : إذن فسيبدأ التنعيم (*) فتروي لنا مرة أخرى حكاية شارلوت .
- (العامل الرابع ينظر إلى الأول . صمت)
- العامل الرابع : (غاضباً) ماذا قلت؟
- صاحب الحانة : (مخاطباً الأول) دعه يتكلم على راحته . لا تستبق الأمور. . .
- العامل الخامس : (مقاطعاً) إنها دورتي الآن، يا معلم .
- العامل الأول : (مخاطباً الرابع) نخبك! هيا ارو لنا بسرعة حكاية شارلوت، لنذهب وننام . (يمخاطب الخامس) ألا تعلم بعد بحكاية سكرته الشديدة؟ لله كم كان مخموراً، أليس كذلك يا معلم؟ لم أر مثيلاً لها بعد ذلك!
- صاحب الحانة : حفلة حقيقية! وكأنك في السيرك!

* أي ستفك عقدة لسانك .

العامل الرابع : قدرا قدرا! (بيكي)

كابرون : (يرن نقوده على المشرب) املاً الأقداح ، يا معلم!

العامل الأول : سكران ، أجل سكران! في بعض الليالي - إنه أمر لا يصدق - يتراءى لي مشهدك ، فأستيقظ لفراط ما أضحك .

العامل الخامس : من هي شارلوت هذه؟

صاحب الحانة : خادمة عند السيد العمدة . كانت تريد الزواج به (*)
عندها قام العمدة إكراما لخادمتها بإدخاله في شرطة المحافظة .

العامل الخامس : (إلى الرابع) أكنت شرطياً؟ (**)

صاحب الحانة : (ضاحكا) هو الذي كان يراقب الحي ، في بزته الرسمية وقبعته العسكرية .

العامل الرابع : اللعنة عليكم جميعا ، ألن تتركوني وشأني؟

العامل الخامس : أحضر دورة أخرى من المشروب ، يا معلم! (ينخاطب الرابع) وبعد؟

كابرون : وبعد؟ أقول لك إني سأنام هنا!

* بالعامل الرابع .

** الكلمة الفرنسية تنطوي على التحقير .

- صاحب الحانة : كلا . لديك منزل ، عد إلى زوجتك وأطفالك .
- كابرون : أقول إني مازلت سيد نفسي . (يلقي بعض القطع النقدية على المشرب) أعطيني كأسين ، لي وحدي فقط . من يأمرني لم يولد بعد!
- العامل الرابع : الكل كانوا يسكرونني كيلا أكتب عنهم تقارير!
- صاحب الحانة : ما كانوا يسكرونك ، كانوا يقدمون إليك المقبل . (*)
- العامل الرابع : .. من غير أن يسألوني قط عن لون عمليتي!
- صاحب الحانة : (مخاطبا كابرون وقد راح يتمدد على المقعد المنجد) ليس فوق المقعد! تحته! فلا تشغل مكانا .
- (يتمدد كابرون على أرض الحانة)
- العامل الرابع : لقد شربت في تلك الليلة فوق طاقتي!
- العامل الأول : (إلى الخامس) أو تعرف أين وجدناه! في الجدول! وأزرار بزته تلمع تحت عمود النور . ثم إنه يشخر مثل صفارة سفينة .
- العامل الرابع : أوغاد! أوغاد!
- صاحب الحانة : (مقهقهها) عندها وضعناه في عربة جر ، القبة العسكرية على وجهه ، وطفنا به في الحي كله ، من شارع إلى شارع ، حتى باب مفوض الشرطة .
- العامل الخامس : في عربة جر؟ الشرطي؟ مثل كومة من القمامة؟ ها! ها!
- العامل الأول : أما نحن فكنا نسير خلف العربة ، نضرب على حبل حتى وصلنا ، يا ليتك شاهدت وجه مفوض الشرطة!

* مشروب فاتح للشهية يؤخذ قبيل الطعام .

العامل الرابع : (يبعد الكؤوس بعصية) هذا المساء ، وجهك أنت الذي سأهتم به .

صاحب الحانة : كفى . حان وقت الإغلاق .

العامل الرابع : (إلى صاحب الحانة) قبل ذلك ، اخرج من خلف مشربك ، أيها الحمار!

(الأول والثاني يمسكان بالرابع)

العامل الخامس : وماذا حل بشارلوت؟

العامل الأول : بسبب العربة تزوجت غيره .

العامل الرابع : (لصاحب الحانة) هذا المساء ليست شارلوت هي التي ستمنعني من أن أكسر رأسك (ثم يتهالك وهو يجهد بالبكاء)

العامل الأول : كأساً أخيرة ، يا معلم .

صاحب الحانة : أرني نقودك .

العامل الأول : (ما عاد لديه نقود) مادام غداً الأحد فالأجرة مضاعفة . . .

صاحب الحانة : إذن تأتي غدا فتشرب مضاعفاً . أما هذا المساء فأنا أغلق المحل .

العامل الخامس : (الأول) أثنى بالأجر المضاعف؟

صاحب الحانة : سيرفضون ذلك ، لا لسبب إلا لإزعاج النقابة .

العامل الأول : أتعني أننا بلا نقابة، كنا سنحصل على الأجر المضاعف؟

صاحب الحانة : هيا سأغلق .

العامل الأول : أو تلقي بنا خارجا، تحت المطر؟

صاحب الحانة : هناك عربات مغطاة، على الرصيف .

العامل الرابع : (وقد جلس) وعندما رأيت شارلوت، فيما بعد كانت تبكي، كانت خجلة . (بهذوء) دعني أصفعه .

العامل الأول : غداً! غداً! هيا اذهب للنوم .

(يخرجون)

كابرون : (وقد أيقظه صاحب الحانة) ماذا أفعل هنا؟

صاحب الحانة : عندما تعلم ذلك، أخبرني، ورثما يتم ذلك، تفضل من غير مطرود .

كابرون : ماذا أفعل هنا بحق السماء؟

صاحب الحانة : سواء أكنت هنا أم في مكان آخر. . . أولاً لك زوجة، لك أولاد، عد إلى منزلك .

كابرون : (ينهض) إلى منزلي؟ ماذا عساي أفعل هناك؟

صاحب الحانة : حسناً، نم في الحي، على الأرصفة مكان يسع الكل .

(يبقى كابرون وحده . الحانة التي نرى واجهتها ثانية تبتعد وتنطفئ على مهل) .

كابرون : (في الخارج) إنها تمطر مثل بقرة تبول!

(الثلاثة الآخرون قد تمددوا على الأرض ، وراحوا يستعدون للنوم) .

العامل الرابع : كان ينبغي أن أصفعه .

العامل الأول : اصمت يا أبا العربة ! بإمكانك أن تجعلنا نصاب بنزلة صدرية !

العامل الخامس : لو كان بإمكاننا أن نصاب بنزلة صدرية ، لمتنا منذ سنوات .

كابرون : (وقد جاء إليهم) افسح قليلا ، فأتمدد .

العامل الخامس : لعنة الله على هذه الحياة !

العامل الأول : وكأني بنا قتلنا أبانا وأمنا !

العامل الرابع : حتماً ليس أنا ، لم يكن لي أبداً أب وأم . لقد أتيت إلى الدنيا وحدي . ذات يوم ، إذ كنت صغيراً ، تلقيت ركلة في مؤخرتي . على هذه الحال صادفت نفسي وأنا أفرك إيتي .

العامل الأول : وشارلوتك ؟

العامل الرابع : اسكت إنك تحرك الرماد .

العامل الخامس : وعندما نفكر أن هؤلاء الإنكليز الأوغاد يمكنهم أن يحتفظوا بفحمهم عندهم .

(على الصوت المدروس لصفارة سفينة يعزف لحن الفالس الشهير «الأرملة المرحة» . الأضواء تغير الديكور)

المشهد الثاني

(في الهافر، ٢٣ أغسطس (آب) ١٩١٠ . في منزل عائلة بوجنهارت . فيلا كبيرة على التل . بعد الظهر . شمس جميلة ، أزهار ، أشجار ، يرى البحر من بعيد عندما نسمع الموسيقى يخيل إلينا أحيانا أننا نرى أناساً يرقصون . تقيم أسرة بوجنهارت حفلاً راقصاً في الحديقة ينحصر ريعه لمكافحة تعاطي المسكرات . نحن في الحديقة الشتوية التي تمتد عبر شرفة إلى الحديقة الصيفية . يدخل لوك وأوليفيه) .

لوك : لا تظني قمت بمكاشفتك من باب التخاذل أو الميل لاستدرار العطف . لا أحسبني جباناً وأنا أكره استدرار العطف . لقد أطلعتك على قرار نهائي . . .

أوليفيه : نهائي ! نهائي !

لوك : ولا أريد أن أشارك أحداً في مسؤولية هذا القرار . صدقني ، ما كنت أخبرتك بشيء ، لو لم أكن بحاجة إليك . . .

أوليفيه : بعد قرار مثل هذا ماذا عساك تحتاج ؟

لوك : أحتاج إليك من أجل الإجراءات الأخيرة عقب موتي ، بعد غد ، في لندن .

أوليفيه : لكن يا لوك من المستحيل أن . . .

(تدخل إليزابيث ، وهي امرأة شابة جميلة جدا وفارغة الرأس . إنها زوجة لوك ، وشقيقة أوليفيه) .

ليز : وهذان السيدان يتسامران وحدهما ! إنها الطامة الكبرى !
بين أخي وزوجي أراني محظوظة جداً ! إنكما لسمجان !

أوليفيه : عزيزتي ليز . . .

ليز : أتركاني هكذا وسط هذه الغوغاء ! عندما طلبتما مني أن أنظم هذا الحفل الخيري لصالح مبراتكما التي تكافح تعاطي المسكرات . . .

لوك : إنها مبرات أنت رئيستها ، يا ليز . . .

ليز : إني أقدم استقالتني (حركة من أوليفيه) حسناً تعال شاهد .
أناقة مدعوينا . صحيح إنهم يتبرعون ، لكنها سوق عكاظ ، لقد تناول تاجر من حي سان فرانسوا يدي ليضع فيها قطعة نقود من فئة المئة قرش «أيضا من أجل مبرتك ، ولي الفضل ، أنا صاحب الحانة ، أن أعطيك نقودي ، أليس كذلك ؟ لكنني من أجل عينيك الجميلتين مستعد أن أدفع أكثر من ذلك» وأضاف : «وأنا الذي أتيت كي أبتهج وأتسلى ، أضف إلى هذا أن السيد روسيل يتبعني مثل التوتو(*)» . (تخاطب زوجها) أقسم أنك دفعت له نقوداً كي يحرمني من الرقص مع مدعويك .
لتخال نفسك نازلاً من قطار أو واصلاً إلى محطة .

* التوتو: كلب .

- لوك : روسيل ليس لي . إنه لأوليفيه .
- أوليفيه : إنه ممتاز، روسيل هذا .
- ليز : أجل ، بوجهه الذي يشبه شاهد زور!
- أوليفيه : كلا والله ! إنه ليس ساذجاً .
- ليز : لقد كان كذلك حتماً . لأنه علاوة على ذلك له وجه شاهد زور كاثوليكي . فشاهدو الزور الكاثوليكيون لهم خسة في نظرتهم ورخاوة في فمهم . . أما عندنا فالأشخاص السيئون يخفون نواياهم بشكل أفضل . إنهم فيهم تصلبوا ، والبروتستانتى ليس أبداً جد حقير . إنما هذا التهاون ، هذا الخمول ، هذا التملق ، وهذه الدماثة . . .
- لوك : أريد أن أستشير أخاك في أمر ، ياليز . فهل لك أن تركبنا خمس دقائق أخرى ؟
- ليز : صوتك حزين ، يا لوك .
- لوك : لماذا هو حزين ، يا هل ترى ؟ ما رأيك أبداً على هذا القدر من الجمال . . .
- (يدخل روسيل)
- روسيل : يطلبونك ، يا سيدتي (يحیی أوليفيه) مرحباً سيدي الرئيس (مخاطباً لوك) وحفلك الخيري سوق عكاظ .
- ليز : هذا ما كنت أقوله لخمس دقائق مضت (تخاطب الرجلين) اسمعا إن لم تلحقا بي كلاكما بعد خمس دقائق

فسوف أرقص مع بائع خمر حي سان فرانسوا، وأقبض
منه عشرة فرنكات، مثل فتيات حيه .

روسيل : حقا؟ أترقصين مقابل عشرة فرنكات؟

ليز : نعم واتبعني، يا عزيزي روسيل كي تقدم تقريرك .

روسيل : (مذهولا) أي تقرير؟

(تقهقه ضاحكة . يخرجان)

لوك : حقا إن وجهه كدر .

أوليفيه : إنه يتناسب مع عمله . أن يجعل ثمانمئة عامل مرفأ،
ثلاثة أرباعهم مخمورون قبل مباشرة العمل ، يعملون أيام
يكون ذلك ضروريا . . .

لوك : (يقهقه) أتركك على الأرض مع همومك الغريبة! منذ أن
اتخذت قراري فإن كل شيء يبدو لي تافها! وبعبارة أخرى
أنا في حالة انسلاخ، الهموم الصغيرة اليومية ما عادت
تعلق بجلدي . إني أشعر بنفسي خفيفا . وكأنني أخيرا في
آخر يوم لي، سأدرك السعادة الحقيقية على الأرض .

أوليفيه : لكن قبل استسلامك للكارثة، هل أنت متأكد أنك
تفحصت جميع المخارج؟

لوك : لماذا هذا الهذر؟ أتريد حقا أن أؤكد لك أن جميع المخارج
مغلقة في وجهي، مغلقة تماما؟ إذا، إليك ما أنتظره
منك . . .

أوليفيه : (بعصبيته) إننا نعيش كابوسا! لا يمكنني أن أدعك تسير
إلى الموت دون أن أمنعك . . .

لوك : (مقاطعاً) لو كنت مكاني لاتخذت القرار الذي اتخذه .

أوليفيه : اسمع ، يا لوك . . .

لوك : انظر في عيني ، يا أوليفيه ! لو كنت مكاني لاتخذت القرار الذي اتخذه . (ينكس أوليفيه رأسه) علينا ألا نغش ، وكفى كلاماً في هذا الموضوع .

أوليفيه : لكن أصدقاءنا . . .

لوك : الكارثة تتجاوز مخاوف أصدقاءنا .

أوليفيه : لكن هب أن كل أصدقاءنا . . .

لوك : لو أنهم جميعاً - وأنا أعلم أن أحداً لن يتأخر - جاءوا لنجدي لما عدلت عن قراري ، ولفضلت أن أفقدهم . عندما يعرف كل شيء فلن يدهش موتي أحد ، ولسوف يجذون كتمانني .

أتراني أول شخص في هذه المدينة ، ومن بين كبار أثريائها ، أشهر إفلاسه من المقبرة؟ سأغادر اليوم على السفينة الذاهبة إلى ساوث هامبتون . وغدا أكون في فندق براونز ، الغرفة ١٧ التي حجزتها أمس برقياً .

مساء الاثنين سأنام . تعال ظهر يوم الثلاثاء . ستجدي قد توفيت بالجلطة . تعال برفقة الكاهن ، فهو يرغب منذ أمد في زيارة لندن . سيساعدك في إجراءات الدفن ، وربما جنبنا تشريح الجثة . لا جدوى من قول الحقيقة لليز ، فقد تسبب لها الأسى . . . لا داعي لذلك ، فقلبها رهيف .

(تدخل ليز والعمدة ، يتبعهما روسيل)

ليز : (لزوجها) يا بن عمي ، لقد تفضل السيد العمدة
بالمجيء ليزيد بحضوره من رونق حفلنا ، وهو يرغب في
تحيتك .

العمدة : أجل ، دعني أهتلك ، يا سيد دي سيمتر ، دون أن أنسى
السيدة زوجتك ، على الدعم الذي تقدمه إلى مبراتنا التي
تكافح تعاطي المسكرات ، أنت والسيد بوجنهارت .

روسيل : يعلم السيد العمدة أنه في سان فرانسوا ، في الجزيرة توجد
حانة ، ليس في أسفل كل بيت فحسب بل في
الطوابق . . .

ليز : بالنسبة لي ، إن صعدت السلم فسيكون ذلك كيلا
أشرب هذا الافستين ذا الرائحة القوية . . .

العمدة : إن عمل هؤلاء الرجال شاق جدا ، يا سيدتي ، وهم قلما
يملكون وسائل هو في منازلهم البائسة .

ليز : لكن ألن يستطيعوا ، بما سيدخرونه من مال عندما
يقلعون عن الخمر ، أن يجعلوا منازلهم أكثر إيناسا؟

العمدة : أعرف هؤلاء الرجال يا سيدتي ، إن لهم عذرهم .

روسيل : أنا أيضا أعرفهم ، ثلاثة أرباعهم بهائم . . .

العمدة : هل من السهل يا سيدي أن ينجو المرء من بهيمية الفاقة؟

روسيل : . . . عندما لا يكونون مجرمين فارين!

العمدة : (كي يغير مجرى الحديث ، برقة بالغة) أجل ، حتى إنهم
ليسوا بناخبين ، كما ترى يا سيد روسيل .

أوليفيه : سيدي العمدة، إني واثق من إنسانيتك بحيث لن يتبادر إلى ذهني أنك تدافع عن هؤلاء الناس، الذين يبدو أن الله قد تخلّى عنهم، لأسباب انتخائية .

روسيل : وبخاصة أننا نعلم كيف يقترع الذين مازال لديهم حق الاقتراع، يوم الانتخاب للمرشح الذي يدفع أكثر! إنهم يأتون في طابور يتقدمهم رئيس يضع في يد الناخب القسيمة ومئة قرش في آن واحد.

العمدة : أعلم، أعلم، بل إني أعلم، مثلك تقريبا، من يدفع إليهم كي يقترعوا ضدي .

أوليفيه : لا، يا سيدي العمدة، ليس ضدك، بل من أجل مرشحنا .

روسيل : إن تفريغ الفحم وسط هباب لزج يضطر العامل المجهد لابتلاعه، إنه عمل شاق . والسيد الرئيس (*) كان أول من أقر بذلك وأول من سعى إلى تجريب آلة أوتوماتيكية ستوفر علينا ١٥٠ رجلاً دفعة واحدة . لذا فنحن سنضطر، يا سيدي العمدة إلى طلب معونة الشرطة من أجل هذه الآلة التي يريد العمال تحطيمها .

العمدة : لعلمهم مازالوا بحاجة إلى الطعام، أولئك الذين ستأخذ آلتكم مكانهم؟

أوليفيه : سيدي العمدة، أنت تدير مؤسسة خاصة تصنع الأرز الذي يأتينا من الهند الصينية . وأعلم أنك بعد أن تستخدم عمالك طوال الأسبوع تفكر فيهم أيضا يوم الأحد، وفي أسرهم وأولادهم . . .

* أي أوليفيه .

- العمدة : نعم وهذا الاهتمام بسعادتهم يشعرني براحة كبيرة .
- أوليفيه : (بجفاء) إني لن أطيق مثل هذا الاهتمام!
- العمدة : لا أفهم .
- أوليفيه : قد أصاب بدوار؟
- العمدة : أي دوار؟
- أوليفيه : عندما تكون الريح طيبة، لا أشكر الريح . عندما تؤخر العاصفة سفني لا تبدو لي بجمال لوحة رومانسية . فهي ليست جميلة ولا قبيحة . وأنا لا أطلب من عمالي صورة يوم زفافهم .
- روسيل : علينا أن ننقل أطناناً من البضائع ، وأن نستلم ونوزع أطناناً أخرى من الفحم . عندنا مواقيت يجب احترامها ، هناك معدلات يجب التقيد بها ونحن لسنا مسئولين إلا أمام أرقام .
- أوليفيه : وإذا ما برز لأرقامي المصفوفة - متصبية في أعمدتها - عيون وأنوف وأفواه ونظرة ، فبدت لي فجأة في هيئة رجل له روح . . . فإن مع هذه الحرارة الإنسانية التي تتولد من جمعهم وطرحهم ، ستراقص في رأسي وتحرقني مثل شياطين لوحة «الجحيم» لبروجيل .
- روسيل : إذا ما توقفنا عن النظر إلى عمالنا على أنهم آلات ، حولتنا حوادث العمل إلى مجرمين أرباحهم ملطخة بالدماء . في كل إنسان ، عاملاً كان أم رب عمل ، قدر وآلة . وهذه

الآلة ، يا ليتك تعلم الطريقة التي تجربنا بها المنافسة على استخدامها ومعاملتها! مثل كومة حديد! أجل يا سيدي العمدة ، مثل كومة حديد . ثم إنه إذا ما نشبت الحرب غدا بين ألمانيا وفرنسا ، فهل يسأل القائد جنوده كم ولدا لدى كل منهم ، وكم يحبون زوجاتهم؟ في رأسه فكرة واحدة ، لا غير . أن يربح المعركة بجنوده ومدافعه وإذا بجنوده يغدون أرقاما ، آليات ، مدافع .

العمدة : لكن ، يا سيد روسيل ، دعني أقل لك إن أحدا لا يبكي من أجل موت مدفع .

لوك : لماذا نبكي الأموات؟ إنهم ما عادوا في خطر . الأولى بنا أن نخاف على الأحياء .

أوليفيه : أصبت يا لوك ، فنحن لم نخلق لنكون سعداء ، بل لنحاول أن نفوز ، ونحزن. نتقلب بين الرعب والأمل ، بخلاصنا الفردي .

العمدة : لماذا إذن هذا التصميم العنيد على تنمية شركتك على صعيد ، ربما عالمي ، لكنه لن يكون بمقدوره أن يكون شاملاً وأبدياً؟

أوليفيه : لقد خلقني الله في هذا البلد وهذه المدينة ، ووضعني بنجاحاتي البحرية في مركز قدره لي فلا يمكنني أن أرفضه . مادام الله يطلب مني أن أشغل هذا المكان فأنا مسئول ، دون أي تحفظ مهما كان نوعه ، عن تنمية شركاتي من أجل عظمة بلدي وازدهار مدينتي .

العمدة : وهذا ما نشكرك عليه كل الشكر، يا سيدي الرئيس، كما
نشكر السيد والسيدة دي سيمنز على هذا الحفل
الظريف معتذرين لكم عن هذا الحديث الذي
لا يتناسب كثيرا مع رقصات فالس حاملة.

ليز : أعشق الاستماع إلى الأحاديث التي لا أفهمها. إني أسر
بها مثل طفلة أجلس يوم عيد ميلادها إلى مائدة الكبار.
(تحيات) سأرافقك، يا سيدي العمدة، واتبعني
يا عزيزي روسيل.

(يخرجون)

أوليفيه : لم يثر هذا البكاء الخيث أعصابي أبدا مثل هذه المرة.

لوك : (بمرح) لقد أضحكني اليوم.

أوليفيه : كيف تريدني أن أضحك، أنا الذي سأبقى وحدي؟ كم
ستكون الآن ساعات وسنوات حياتي بطيئة. لكن
كيف، بحق السماء، تركت نفسك تعلق في مثل هذا
الإعصار.

لوك : إن الإعصار الذي يهم بابتلاعي سيتلع آخرين. لقد
أثرت هذه الزوبعة، في الجهة المقابلة، على الطرف الآخر
من البحيرة. هبوط الأسعار مصطنع، إن بورصتنا هي
التي نالوا منها ويريدون تحطيمها. بعد القطن سيأتي دور
البن. لست سوى الضحية الأولى. ستشاهد أنت
الآخرين. قبل مضي خمس سنوات ستكون نيويورك
الرابحة. لن يشتري بعد الآن، ولن يباع عندنا كل بن

وقطن العالم ، بل عندهم فتغدو بورصتنا متحفا . أن ألقى في حفرة لاقرار لها بائنة إليزابيث ، لن يفيد في شيء . احتفظ أيضا بمجوهراتها التي ورثتها عن أمك . لديك بنت ، لتكن لها فيما بعد . لا تسلم مأمور التفليس إلا المجوهرات التي اشتريتها بنفسي .

أوليفيه

: دون أن أستطيع أن أمد إليك يد المساعدة!

لوك

: احتفظ بهذه الجملة فاعطها إلى بحار أو إلى أحد صياديننا ، يوم عاصفة . هم أيضا لا يمكنهم أحيانا أن ينجدوا بعضهم بعضا أو بالأحرى إنهم يمدون أيديهم ، لكن ما عاد بمقدور الأيدي أن تتشابك . لقد كافحت ، ليس من أجلي ، فأنا كنت ثريا كما تعلم ، بحيث كان بمقدوري أن أعيش دون أن أفعل شيئا ، لكن ثمة فكرة كانت تدفعني ، فكرتي عن أهمية موقعنا ، وبورصتنا في العالم . لقد راهنت ، لقد ابتلعتني الزوبعة ، لقد خسرت ، لا يهم موت رجل ، كان بإمكانني أن أفوز ، وهذا الفوز الذي يفلت مني ، أما كان حريا أن يبرر جميع المخاطر التي ركبته .

أوليفيه

: أما تخشى أن يستنكر الله هذا الانتحار؟

لوك

: أتراني أستطيع أن أفعل شيئا آخر . لقد عشت على هذه الأرض في مهنة معقدة وصعبة ، كلها مخاطر ، مهنة ما كان بوسعني أن أرفضها . يجب أن أضع حدا للمغامرة . منذ

هنيهة تكلم أحدهم عن حوادث العمل ، ولقد كان على حق . لكن ما يجوز على عمالنا يجوز علينا . بل إنه مبررنا الوحيد . مثل أدنى عامل أموت في حادث عمل . وهذا لا علاقة له بالإنسان وبروحه . لو شاء الله أن أستمّر ، ألا تظن أنه كان يسر لي ذلك . في غرفة الفندق في لندن ، لن يموت سوى تاجر مفلس ، لن يستطيع الله أن يلومني على انتحار غير موجود . ليست الروح التي وهبني إياها التي أتمنى قتلها ، إني أترك التجارة فحسب .

(يبتعدان . صخب ، يندفع شاب وفتاة داخليين ، في أيديهما قضيبا ديابولو(*) ، ويتبعهما مدير الثانوية وزوجته)

الشاب : (يشير إلى نقطة في السماء) من هنا ، يا سيدي المدير ، انظر ، هاهو . .

زوجة مدير المدرسة : (محبة) مرحباً أيها السادة .

الفتاة : يابن عمي لوك ، ألا أجد عندك منظارا .

مدير المدرسة : إنى مذهول . (يحیی) أعتذر ، أيها السادة ، من اندفاعي ، تحت تأثير الاستغراب . . .

الشاب : إنه ابن عمي !

مدير المدرسة : هناك ، في السماء ، وحده في السماء؟

(*) ديا بولو: لعبة من ألعاب الأولاد تتألف من بكرة قوامها «غروطان متقابلان برأسيهما» ، ومن قضيين موصولين بخيط يشد تحت البكرة لقذفها والتقاطها .

زوجة مدير المدرسة : وفوق الماء! رباه، إنه علاوة على ذلك معرض للغرق!

مدير المدرسة : لقد توقعت صحف هذا الصباح محاولته .

الشاب : أمس ، في منزل جدي ، قال : «إن كان الجو جميلاً غداً، فسوف أحاول القفز من فوق مصب النهر» .

مدير المدرسة : إلا أن هذا الفتى لا يفقه كلمة لاتينية واحدة . لحن! عجمة! إضافة إلى عدم مبالاة بالأخطاء! وها هو يظهر رباطة جأش عظيمة .

(تدخل ليز، يتبعها روسيل)

ليز : إن هوبار رائع .

مدير المدرسة : هذا أمر بسيط للغاية، إنه إيكاروس ، إيكاروس(*)!

زوجة مدير المدرسة : إيكاروس! إذن فسيموت .

مدير المدرسة : كلا! إنه إيكاروس منتصراً!

(صبيحات : «عاش لا تام!» ومقاطع من نشيد المارسيليز)

أوليفيه : (لليز) أما زال السيد العمدة بيننا؟

ليز : لقد انسل خارجاً منذ هنيهة، لكي يرأس اجتماع الطيران .

أوليفيه : كان يسعدني أن أقدم إليه صديقنا وهو في السماء!

* إيكاروس : ابن ديدالوس ، المهندس اليوناني باني متاهة جزيرة كريت ، وقد فر معه من هذه المتاهة بواسطة جناحين معلقين بواسطة الشمع ، لكنه اقترب كثيراً من الشمس فذاب الشمع وانفصل الجناحان فسقط في البحر .

زوجة مدير المدرسة : (بإعجاب) رباه، كيف لا يخاف، وهو وحده في
الأعلى؟

ليز : أوه! إني أعرفه! هو خائف! وإلا لما ذهب!

زوجة مدير المدرسة : (التي لم تفهم) حقا إنه لفتى غريب الأطوار!

مدير المدرسة : لم يكن يحب فيرجيل(*)، ولا يفهم
هوراس(**)، وسيزار(***) كان يضجره، وأنا اليوم
مستعد أن أتخلي عن كل لاتيني لا أكون مكانه.

زوجة مدير المدرسة : أنت، لكنك لا تحب أن تخاف، لأنك عندما تخاف،
تخاف!

ليز : قال هوبار أمس إنه فشل العام الماضي في عبور المانش،
لكنه سينجح في ذلك هذا العام.

زوجة مدير المدرسة : عبور المانش؟

الفتاة : ولسوف ينجح!

زوجة مدير المدرسة : من فرنسا إلى بريطانيا عبر الغيوم؟

مدير المدرسة : إننا على أبواب بدع مدهشة.

روسيل : وهاهي أولها، بدءاً من الآن ستكون الحروب
مستحيلة.

زوجة مدير المدرسة : سيكون ذلك بالأحرى أمراً حسناً.

* فيرجيل : شاعر لاتيني صاحب الإنياذة.

** هوراس : شاعر لاتيني.

*** سيزار : يوليوس قيصر صاحب كتاب (تعليقات على حروب الغال).

روسيل : كيف تريد الآن أن تجمع جيشاً؟ في الليل فوق المعسكر، ستأتي طائرة فتلقي بقنبلة، فيصبح المعسكر في خبر كان.

زوجة مدير المدرسة : يا للبشاعة!

روسيل : بما أن الألمان سيمتلكون بدورهم، ذات يوم، طائرات...

الفتاة : لا، لا أظن!

زوجة مدير المدرسة : ارضخي للأمر الواقع، يا آنستي، فالتجسس موجود، للأسف!

روسيل : وبالتالي فهم أيضاً سيتمكنون من تدمير معسكراتنا. وعندما يصبح بمقدور الفرقاء أن يدمروا بعضهم بعضاً تدميراً متعادلاً وكاملاً، تغدو الحرب مستحيلة. هذه الطائرة التي تمر في الجو وعلى متنها ابن عم الرئيس، هي السلام يعبر.

الشاب : وبعد، ماذا عن الألzas واللورين؟

الفتاة : بيتر على حق، ماذا عن الألzas واللورين؟

زوجة مدير المدرسة : (تزعق) إنها تسقط. تسقط!

الفتاة : (تخرج) لا، إنها تبتعد.

مدير المدرسة : لا تزال تتوهج في الشمس.

(يخرج الشاب ومدير المدرسة وزوجته)

أوليفيه : (يقود لوك من ذراعه) ألا يجعلك المستقبل تحجم عن فعلتك؟

- لوك : المستقبل؟ لكن المستقبل غير موجود. المستقبل قد أصبح ماضي أولادنا. (يخرجان)
- روسيل : (مخاطبا ليز التي كانت تهم بالخروج) سيدتي، هل يمكنكني أن أطلب منك معروفا كبيرا؟
- ليز : بكل تأكيد، يا عزيزي السيد روسيل.
- روسيل : ومساندتك.
- ليز : مساندتي؟
- روسيل : أليس مفروضا أن يرافق قسك هنا عمك، وزير التجارة؟
- ليز : بلا شك.
- روسيل : إني في حالة اضطراب نفسي شديد، أرغب في أن أكلم قسك في شأنها. ما عدت أطيق الاعتراف الكاثوليكي وأرغب أن أطلب منه أن يسمح لي أن أصلي في المعبد يوم الأحد.
- ليز : أن تصلي معنا (تقهقه) لكن ذلك مستحيل.
- روسيل : سيدتي، أراك تجهلين عنادي.
- ليز : لكنك لا تعرف قسنا. إنه يحمل كل شيء على حمل الجذ. إني لأخشى أن يشبط من عزمك.
- روسيل : ستكون المرة الأولى، يا سيدتي، التي يشبط فيها عزمي.
- ليز : كيف أشرح لك. أما زلت كاثوليكيًا؟
- روسيل : قليلا جدا، ومنذ بضع ساعات ما عدت كاثوليكيًا البتة.

- ليز : هذا لا يمنع أنك اعترفت فيما مضى؟
- روسيل : أجل... .
- ليز : حسنا، إني كل يوم، تقريبا كل يوم، أرتعش عندما أفكر، لو كنت كاثوليكية، في أنه قد يكون خوري، وأنا قد أضطر إلى الاعتراف لرجل من هذا القبيل! رجل ربما لم يرتكب إثما أبدا، حتى إني أتصور أنني يمكن أن أغير عقيدتي أنا أيضا. كلا. ربما أفعل مثل سيسيل... .
- روسيل : سيسيل؟
- ليز : ابنة دوفال لافاله التي تأخذ القطار إلى باريس، فتذهب إلى أب يسوعي جليل القدر، شديد الفضول، فيما يبدو، لكنه متفهم جدا.
- (تسمع مقطوعة «الأرملة المرحة».)
- روسيل : هل تسمحين لي برقصة الفالس القادمة؟
- ليز : أتمجيد رقصة الفالس؟ يا عزيزي إنك تثير إعجابي. ذات يوم سأتنكر فأذهب لأرى كيف تقود عمال أخي، على أرصفة المرفأ.
- (يعود الجميع من الشرفة)
- الشاب : لقد اختفت.
- مدير المدرسة : لقد اختفت من السماء مثل نجمة عند طلوع النهار.
- زوجة مدير المدرسة : إننا أخذنا أربع أوراق من يانصيبكم الخيري، لكنني، وكأن الأمر متعمدا، لا أربح أبدا!
- رئيس الخدم : السيد الوزير يتزل من السيارة مع السيد القس.
- الفتاة : تعال، سأعرفك بهما.

- الشاب : نعم، يا دولي .
- (يخرجان بسرعة)
- مدير المدرسة : سيسعدنا جدا أن نقدم آيات الاحترام إلى السيد الوزير وأن نشكر قسك على الاهتمام البالغ الذي يبديه في تعامله مع ثانويتنا .
- ليز : (تخاطب الرجلين) ستبعانني حسنا، تعال يا عزيزي روسيل ، القس هنا !
- (تنفجر ضاحكة ، تخرج ليز وروسيل ومدير المدرسة وزوجته)
- لوك : (لأوليفيه) ليتك تذهب وتحييها نيابة عني .
- أوليفيه : كلا ، يا صديقي ، إن العم روني لن يفهم غيابك .
- لوك : هيا إذن نسلم على هذا الرجل العزيز . إن حزنه سيكون صادقا جدا يوم الثلاثاء ، لاسيما أن كارثتي المالية ستخلق له مصاعب سياسية لن يتمكن من حلها .
- أوليفيه : (مشيرا إلى ليز الخارجة) وليز ، ماذا عن ليز؟
- لوك : إن وضعها كأرملة شابة حزينة سيستهويها .
- أوليفيه : أنت إذن منسلخ عن ليز أيضا ، أنت الذي . . .
- لوك : نعم ، أنا الذي . . .

. . . حتى أمس كانت حرية أن تجعلني أصرخ من الغيرة ، لو رغبت في ذلك ، لكن اليوم . . . في أي عزلة يدخل الرجل الذي اتخذ القرار الذي اتخذت . هل حدث لك أحيانا أن نظرت عبر زجاج إلى حفلة من غير أن تسمع الموسيقى؟ كل هؤلاء الراقصين الذين يدورون

في صمت ما عاد لهم من معنى . إنهم مضحكون
يشعرونك بغربة عقيمة ! وبالتالي ، ما عدت ، اعتباراً من
هذه الليلة ، أسمع موسيقى الحياة . إني أنظر إليكم
جميعاً وأنتم ترقصون في صمت رهيب .

أوليفيه : لكن ماذا لو تغيرت البورصة غداً؟

لوك : إن الذين في الجهة المقابلة لم يلعبوا لعبتهم من أجل
إخافتي فحسب ، بل من أجل القضاء عليّ .

أوليفيه : لكن هب أن البورصة ارتفعت غداً بشكل مفاجئ .

لوك : سيخيب أملي كثيراً .

أوليفيه : سيخيب أملك؟

لوك : أن أعود ، فأنزل ثانية ، وأفتح حقائبي ، وأبدأ مرة أخرى ،
فأعتاد مجدداً على العقيم ، والتافه ، والذي لا يدوم .

أوليفيه : لكن ماذا عساك تفعل؟

لوك : طبعاً سأذعن ، لكن بأسف شديد . لا تظنني قد
انسخلت في بداية الأمر بسهولة . لقد خبرت يأس الناس
الطائشين . فانتظرت ساعة بعد ساعة هذه المعجزة التي
مازلت تأملها من أجلي . بيد أن تلك الأرقام التي
أقلقنتني جداً ، تبدو لي الآن في غاية التفاهة . . . إن
دعاني الله إلى البقاء فسوف أبقى ، وأعدك أن أطلع ظهر
يوم الاثنين في لندن على أسعار البورصة هناك . قبل أن
أرحل هذا المساء سأتعشى مع ليز ، في مطعم من مطاعم
المرفأ . أطلب إليك أن تأتي معنا ، أن تكون هناك .

أوليفيه : أتعلم ليز أنك مسافر إلى لندن؟

- لوك :** ليس بعد .
- أوليفيه :** في سبيل إراحة أعصابي أرغب أن أمتطي جوادي وأطلق له العنان . . .
- لوك :** بالمناسبة ، حاول الاحتفاظ بلا بلويت . لا أريد أن أتصوره وابن دوفال لافاله على ظهره . إن هذا الغر سيشتريه مهما كان ثمنه ، إذا ما طرح للبيع . وبعد ، لم لا ؟ أن يمتلك جوادي ؟ انتقامه ! وهذا الأبله سيكون في غاية السعادة . إنك ترى بأي شيء يسر الناس في هذه الدنيا .
- أوليفيه :** لكن قبل أن تصبح أخي ، كنت صديقي ، لقد بلغنا الثالثة من عمرنا ، فالعاشرة ، ثم الخامسة عشرة ، وأحدنا بجانب الآخر .
- لوك :** حاول قدر إمكانك أن تأخذ جميع مستخدمي عندك . ما كان لهم أي علاقة بأرباحي ، فليس من العدل أن يدفعوا ثمن خييتي .
- أوليفيه :** لوك !
- لوك :** هيا نسلم على العم رونه .
- أوليفيه :** لوك !
- لوك :** لا تبتس ، بالله عليك ، أنت أيضا ستموت ذات يوم .
- أوليفيه :** يا صديقي العزيز ، لو تعلم كم أنا معجب بك !
(يتعانقان . نسمع أصوات الفالس ، أضواء)

المشهد الثالث

(العصر- يظهر الفناء حيث تقطن أسرة دوران . فناء داخلي ، تحف به منازل بائسة . في وسط الديكور يفتح مطبخ - السيد والسيدة دوران - متواضع ونظيف . السيدة دوران تقوم بغزل جوارب بالصنارة ، جوليا خليلة جول تغزل شالا صوفيا بالصنارة المعقوفة (الكروشيه) السيد دوران يقرأ صحيفة وهو جالس قرب موقد الطعام . جول يمشي وهو يتكلم).

جول : نحن في نظرهم لسنا سوى أرقام ، تتجسد آلامنا في دفاترهم على شكل عمليات طرح وجمع . سيان عندهم بؤسنا . مادام ميزانهم التجاري في حالة جيدة ، دون أن يفقدوا قرشا واحدا من أرباحهم . نحن نطالب بحقنا في الحياة وهم يتعللون بألف حجة وحجة .

(صمت)

الأم : لعب الدومينو مع والدك لتريح فكرك .

الأب : لا أرغب في اللعب .

(صمت)

جوليا : إذن هيا بنا يا جول نطعم الحمام .

جول : لماذا هذا الكلام الذي لا معنى له ؟ تعلمين جيدا أنه لم

يحن بعد وقت إطعام الحمام !

(صمت)

- الأب :** وحمامك الزاجل : من الذي تريد أن ترأسله بواسطته؟
- جول :** أريد أن أراسل كل كائن حي ، الطبيعة ، كل الأرض ،
والسما . هذه الحيوانات الصغيرة التي لا تخشى أن تطير
حتى الموت ، كي تبلغ هدفها ، والتي تعلم بالغريزة
ما يجب عليها عمله . .
- الأب :** والتي يمكنها أن تنقل رسائل سرية إبان الثورات!
- جول :** (بدهشة) ماذا تقول؟
- الأب :** هذا ما قيل لي .
- جول :** من قال لك ذلك أبله .
- الأب :** ربما نعم ، وربما لا .
- الأم :** ما جدوى النزاع؟ إنه عنيد مثل الحمار!
- جول :** أُمي على حق إننا لسنا متفقين حول الأحداث ، إذن دعنا
نغير مجرى الحديث .
- الأم :** لكن قبل أن تشغل نفسك بما لا يعنك ، عليك الاهتمام
بنفسك وأسرتك ، ودع الآخرين يتدبرون أنفسهم
وحدهم!
- جول :** أهذا ما تتعلمينه عندما تذهبين إلى الكنيسة يوم
الأحد؟

الأم : تخطيء في عدم الإصغاء إلي . إني عجوز وأعلم ما أقول :
عندما يكون المرء فقيرا ، فإنه ينقطع انقطاعا تاما عن
الآخرين .

جول : حسنا ! أنا سأظهر نفسي !

الأم : ستظهر نفسك ! ستظهر نفسك ! لمن ؟ وما جدوى ذلك ؟
لا تنس يا جول أننا فقراء . ستظهر نفسك ! ها أنت
تظهر نفسك أكثر من اللازم ! لكن بالله عليك لا تلحق
بنا العار ! لقد عاش أبوك طيلة حياته شريفا .

جول : العار الحقيقي يلحق بنا فقط عندما لا نقوم بواجبنا .
وفي نظري أن المرء الذي لا يكافح في سبيل التقدم ليس
بالإنسان الشريف .

الأب : وماذا يكون ؟

جول : بهيمة أو انتهازيا ! والانتهازيون ليسوا بين أرباب العمل
فحسب ، بل بين العمال أيضا .

الأب : (بعضية) ألي أنا تقول هذا ؟

جول : أقول هذا لكل الناس ولي أنا أولاً ، لي أنا خصوصا عندما
أرغب في أن أطأطأء رأسي ، فأقبل مالا يقبل .

الأم : لا أظنكما على كل حال ستشاجران ؟ (تخاطب جول)
إذن فأنت أخو البشر جميعا ، لكن أما عدت تعرف
والدك ؟

الأب : مادمتم تتحدث عن الانتهازية فاعلم أني قد أفقد عملي . بسببك .

جول : بسببي؟

الأم : أنت من يثني عليه الرؤساء منذ ثلاثة وعشرين عاماً؟!!

الأب : (للأم) ما كنت أريد أن أقول لك ذلك ، والله . . .

الأم : لا تغضب يا عزيزي فأنت عجزوز .

الأب : لقد طلبني اليوم الرئيس الأعلى إلى مكتبه الفخم ، وقال لي : «أنت معنا هنا منذ ثلاثة وعشرين عاماً ، إنك مجد في عملك ، وكنا ننوي أن نعين ابنك وكيلًا خارجيًا لنا . . .» .

الأم : (بانفعال) وكيل خارجي! أسمع يا جول؟ دائماً في أبهى حلة ، وتلبس ياقة بيضاء ، وسيد نفسك تقريباً - إضافة إلى ثقة رؤسائك في المرفأ - تشرف على عمليات الوصول والتحميل . وكيل خارجي ، أنت! ما كنت لأجرؤ على التفكير في ذلك . (تخاطب زوجها) وهل شكرت أولئك السادة؟ لأنك ستقبل يا جول ، وبعد يا جوليا ، مادام لا يستمع إلا لك ، قولي شيئاً . . .

جول : (لوالده) وماذا أضاف أولئك السادة؟

الأب : «إننا مازلنا نشق بك . . .»

- الأم : أنت ترى يا ولدي ، أن الأوان لم يفت بعد كثيراً .
- الأب : « . . . لكنك لن تحتفظ بهذه الثقة إلا إذا تمكنت من تهدئة ثائرة ابنك . إن الحديث يكثر عنه منذ بعض الوقت . . . »
- جول : منذ أن عُينت أنا سكرتيراً لنقابة عمال فحم المرفأ؟
- الأم : ابني أنا على رأس هذه الشلة من العابثين . أجل إنهم لشلة عابثين !
- جول : وان لم تتمكن من تهدئة ثائرتي؟
- الأب : عندها «قد يظنون أنني أتبنى أفكارك» ، وأضاف : «وأذكرك يا سيد دوران ، أننا نظاميون ومنطقيون ، ونحن لا نحب كثيراً من يبغى مقاسمتنا ثرواتنا» .
- جول : الذي يتقاسم ! أجل هكذا يدعوني الذين يذهبون إلى الكنيسة يوم الأحد . ولماذا تراهم يذهبون إلى الكنيسة؟ كي يتقاسموا مع الآخرين آلامهم ، على حد زعمهم . وعليه ماذا يعيبن عليّ . أنا الذي لا أسعى كي أخفف هذه الآلام ، إلا إلى جعل الأغنياء يتقاسمون ثرواتهم مع الفقراء؟ تلك هي القسمة التي أطلبها والتي يمنعونها عني . . .
- الأم : لكنك لست كاهناً . لا أحد يطلب منك أن تعظ الناس بدلاً من رجال الدين .

جوليا : (تخاطب الأب برقة بالغة) لما مرضت منذ ستين ، هل
رئيسك الأعلى ، في مكتبه الفخم ، هو الذي ساعدك؟

الأب : لا، إنه جول ، وأنا لا أنسى ذلك .

الأم : (لجوليا) ألا تعرفين إذاً إلى أين يريد أولئك السفلة
المجرمون أن يوصلوه؟

الأب : (لجوليا) تعرفين أننا نحبك . لم يكن جول محظوظاً مع
زوجته الأولى ، وحالما نعلم أين ذهبت ، فسوف يطلقها
ابننا ليتزوجك ، ونحن نعتبرك هنا مثل كتنا . . .

الأم : إن زوجي كان ليفضل وضعاً أكثر شرعية . (للأب الذي
يعترض) نعم ، كنت لتفضل ، لقد قلت لي ذلك!
وبخاصة أن هناك طفلاً على الطريق . (تثور ثائرتها ،
لجول) ألا تقبل أيها الأحمق أن تكون وكيلاً خارجياً
فيصبح ولدك مهندساً! علماً بأن والدك بدأ حياته عاملاً
عادياً! هذا هو التقدم ، في نظري .

جوليا : (مبتسمة) ابنه ، ابنه ، ربما كان بنتاً؟

جول : سأحبها بنفس القدر .

الأب : وأنا أيضاً ، إن الله لم يرزقني بنت ، سواك يا جوليا ، منذ
سكنت معنا . (يقرع الباب) ادخل .

(يدخل عاملان : الشقيقان بوايه وهما جاستون
ولويس)

لويس : مرحباً .

جاستون : هل جئنا في وقت غير مناسب؟

- لويس : لقد كلفنا بالمجيء إلى جول ، فليينا الطلب بسرعة .
- الأب : اجلسا
- لويس : لا داعي لذلك . . .
- جاستون : نريد فقط أن نقول له (لجول) إنهم بحاجة إليك على رصيف الشحن .
- الأم : على الرصيف ؟ في هذه الساعة ! لماذا؟
- جول : مهلا ، يا أمي ، إنهما سيخبراننا بالأمر .
- لويس : هاك إذاً . المذرة ، لابد لنا من إخبارك بما جرى : في الساعة الخامسة أوقفت عمال دولا فيل عن العمل ، الساعة الخامسة هي وقت انتهاء العمل . إلا أن السفينة «البروفانس» ، كما تعلم ، يجب أن تغلق هذا المساء . لذا فقد انتهزت الفرصة . وطالبت - باسم النقابة - بأجر مضاعف عن الساعات الإضافية .
- جول : حسناً فعلت .
- لويس : عندها طردني .
- الأم : ماذا كنت أقول !
- جول : دولا فيل ؟
- لويس : نعم .
- جاستون : (مبتسماً) بيد أن جميع الرفاق استئناف العمل .
- جول : (مبتهجاً) آه !

- جاستون : عندها ذهب يستطلع رأي روسيل في الأمر . .
- لويس : هاتفيا .
- جاستون : (صائحا بفرح) للمرة الأولى رضيت الشركة أن تدفع أجرا مضاعفا!
- جول : الواحد في سبيل الكل ، والكل في سبيل الواحد! عاشت النقابة! يا جوليا! يا جوليا! أرى انفراجا كبيرا من الضوء في السماء . . . لقد آن الأوان!
- جاستون : إلا أن دولافيل لم يشأ، يا جول، أن يعيد لويس إلى العمل . . .
- الأم : أويدهشك ذلك؟
- جاستون : عندها نظر لويس إلى الرفاق ، والرفاق رفضوا استئناف العمل دون أخي . إنهم الآن واقفون على رصيف الشحن ، وقد عقدوا أيديهم على صدورهم .
- لويس : عليك أن تحضر .
- الأم : (للأب المغلوب على أمره) لا شأن لك في ذلك ، يا عزيزي!
- جول : (للويس) إما أن يعيدوك إلى العمل (مخاطبا جاستون) وإما الإضراب الشامل .
- الأب : أتود أن تدعو إلى الإضراب؟
- الأم : أنت الذي كنت خوفا في صغرك! وحسن التربية!
- جول : لقد فهم الرفاق . إنهم مستعدون . علينا أن نستغل الاستفزاز .

- الأب : أتريد أن تقف في وجه دولا فيل؟
- جاستون : وكأنه الرئيس الأوحدا!
- لويس : إنه مجرد نكرة، دولا فيل هذا!
- جاستون : روسيل هو الذي يصدر الأوامر.
- الأب : (مذعورا) لكن خلف السيد روسيل يقف كل رجالات البورصة والتل.
- جول : رجالات التل! رجالات التل! إنهم أبناء وأحفاد تجار رقيق! لقد أثروا على شواطئ افريقية من بيع السود. والآن بعد أن تحرر أشقاؤنا السود، غدونا نحن، معذبي الأرض، المسحوقين الجائعين . . .
- الأم : لم ينقصك شيء أبداً عندنا.
- جول : يريدون خنقنا . .
- الأم : هذا ليس صحيحاً! إنهم يقدمون لك وظيفة وكيل خارجي!
- جول : وأترك الرفاق الذين يخنقون وسط هباب الفحم، فلا يخرجون منه أبداً، إلّا على رؤوس الأشهاد!
- جاستون : أنت تدركين تماماً أن ذلك صحيح يا سيدة دوران.
- الأم : بدلا من كل هذا النزاع، لو أنكم تغيرون فقط مهنتكم!
- جول : يرفضون أن يمنحونا عشرين فلسا زيادة، وفي اليوم نفسه، يقررون أن يعطوا مئة ألف فرنك، أسمعين، مئة ألف فرنك كجائزة لسباق طائرات في السماء، ليلعبوا النطيطة فوق البحر!

الأم : هم أحرار في أموالهم . هل يمنعونا من إنفاق أموالنا كما نحب ونشتهي؟

جول : في المستقبل ، أقول لك ، لن يكون هناك سوى مصارعات سيوف ، وهي مصارعات كان الواحد يقتل فيها الآخر على مرأى من الجمهور ، سيدهش الناس من أن بشراً يدعون أنفسهم أرباب عمل تركوا بشراً آخرين يدعونهم بالعمال يموتون جوعاً ، وذلك باسم مبدأ يرددونه مثل البيغاء : «كلكم إخوة ، كلكم إخوة» . إننا ذاهبون إلى رصيف الشحن .

الأم : أرجوك يا جوليا رافقيه !

جول : لكننا ثلاثتنا يا أمي ، ثلاثة رجال هادئين .

(قرع على الباب . صمت . ينظرون إلى بعضهم بعضاً . تتوجه جوليا إلى الباب وتفتحه) .

عامل : (يلهث) لقد قال لي لويس إنني سأجدكم جميعاً هنا . (يحكي الأب والأم) المصدرة . لقد ركضت يا جول ، إنهم قد تراجعوا . الرؤساء جثوا على الأرض في الوحل ! لقد أعدت يا لويس إلى العمل . بيد أن الرفاق أجابوا : «المشكلة أن لويس ، يا سيد دولا فيل ، قد ذهب . إننا ذاهبون إليه الآن ، لنعود به . . . غدا صباحاً ، في المرة القادمة يجب أن تقولوا نعم في الحال» . يا ليتك شاهدت وجه دولا فيل ، وحده على رصيف الشحن ، وسفينة أمامه !

(يحتضن جول جوليا)

الأم : إذن ليس هناك إضراب؟ جوليا، أشعلي الغاز، وأنت (لزوجها) افتح زجاجة خمر التفاح، مادام ليس هناك إضراب.

جول : ليحضر الجميع غدا في الساعة المحددة تماما . وأنت أولاً يا لويس ، دعنا نظهر لهم أننا قوة منظمة ، وأن نقابتنا كلمتها واحدة ، وهي تحترم هذه الكلمة .

الأم : هذا عهدي بك يا جول!

الأب : تناولوا بعض الشراب ، فأنتم لابد تشعرون بالعطش جميعا ، لفرط ما تتكلمون .

جاستون : شكرا يا سيد دوران .

العامل : بكل سرور .

الأم : وأنت ، ألن تشرب مع الجميع ، ما دمت قد اطمأن بالك أخيراً؟

جول : نعم يا أمي ، كالعادة . . .

جوليا : (بلهجة عقاب رقيق) جول ، إكراما لوالدتك .

جول : أيها الأصدقاء ، اشربوا خمر والدي ، حتما إنها لذيذة وهو يقدمها لكم عن طيب خاطر . أما أنا فقد أقسمت ألا أشرب إلا الماء القراح مادام الرفاق يسكرون في الحانات المتواجدة في أماكن العمل . إن سادة التل يعلمون أنني لا أشرب إلا الماء ويسخرون مني لهذا السبب ، فيما يبدو ، لكنهم مستعدون أن يدفعوا الكثير لمن يجعلني أشرب أول كأس أفستين . إن كوب مائي يخيفهم .

الأم : بودي لو كنت مسرورة مثلك يا بني ، لكنني لا أستطيع .

جول : غدا مساء اجتماع في قاعة فرانكلين لإعداد مسودة مطالبنا : فرنك لكل ساعة عمل ، أجر مضاعف يوم الأحد ، إغلاق الحانات ، حمام بعد العمل . . .

الأب : حمام؟! :

جاستون : نحن نطلب ذلك .

جول : نخطر الشركة ، وإن رفضت نضرب إلى أن يتم الاعتراف بحقوقنا . لكنهم يقولون لنا يا والدي : « يجب أن تقلع السفن » لهم ذلك ، لكن من جهة أخرى يجب أن يعيش الرجال ، أليس كذلك؟ ما جدوى السفن في البحر إذا خلت الأرض من الأحياء؟ في طريق العودة ، عرجوا على الرصيف وتأكدوا أن لا أحد يعمل .

العامل : كل الرفاق انصرفوا .

جول : (للعامل) رافقهما . وإلى الغد على الرصيف ، ساعة بدء العمل سأكون هناك .

الآخران : إلى الغد يا جول . (للآخرين) نرجو المذرة .

(تحيات . خروج . صمت . يشرب جول كوباً آخر من الماء)

الأب : أوتظن أن أصحاب الشركة سيتركونك؟

جول : يدهشني لو أرسلوا إليّ أزهارا .

الأم : أو تظن أن جميع عمال المرفأ سيطيعونك؟

- جول : أجل ما لم يكونوا مخمورين .
- الأب : إذا فهم سيسكرونهم
- الأم : (لجول) أما أنت فتتشي بالكلام!
- (تدخل السيدة كابرون حاملة طفلاً بين ذراعيها . إنها تسكن في نفس المبنى) .
- السيدة كابرون : أرجو المَعذرة . جئت أستطلع الأمر . (لجول) ماذا يجري على رصيف الشحن؟
- الأم : (بسرعة) لا شيء على الإطلاق .
- السيدة كابرون : سمعت من الابن مسنيل أنهم يعتزمون الإضراب عن العمل .
- جول : كلا . ستقرر ذلك النقابة غدا .
- السيدة كابرون : (تجلس بإعياء) لقد خرجت أترقب عودة زوجي . آه يا سيد جول! ألا يمكنهم إغلاق الحانات يوم قبض الأجور؟
- الأم : الذنب ليس على الحانة ، بل على من يذهب إليها .
- السيدة كابرون : (تنهض) إني صاعدة إلى مسكننا . إن كان لابد من الإضراب ، فليكن! لكن كيف سيتدبر أمره من لا يملك شيئاً ، والذي كف البقال عن التعامل معه؟
- كابرون : (من النافذة ، وقد رأى زوجته) أنت ، أمازلت هنا؟!

السيدة كابرون : وأنت ، من أين أنت قادم ؟ (لآخرين) أنا صاعدة إلى بيتنا . مادام يمشي مثل السرطان فهو حتما لا يزال سكران !

كابرون : (داخلا من الباب) السلام على الجميع .

السيدة كابرون : هيا بنا إلى مسكننا .

كابرون : دعيني ألتقط أنفاسي قليلا . (لجول) وبعد ، هل هناك عمل غدا أم لا ؟

السيدة كابرون : قبل العودة سأذهب لأحضر بعض الخبز ، أعطني نقودا .

كابرون : وهاتي أيضا بعض الحلوى للأولاد . ستدفعين غدا . . .

السيدة كابرون : بماذا ؟

كابرون : لا تشغلي بالك بهذا الأمر ! لقد قال لنا دولا فيل إنه سيعطينا هذه الليلة ثلاثة أضعاف .

السيدة كابرون : والله إن حصل إضراب وعملت ، أصغ إلي جيدا ، لألقينك في البحر وأنت مخمور هكذا ولن أحتاج إلى مساعدة من أحد .

كابرون : عندما لا أعمل تعاملني بخشونة ، وعندما أريد أن أعمل لا تقبل .

السيدة كابرون : وأولادك الثلاثة الذين يتضورون جوعا .

كابرون : من ذا الذي أنجبهم هؤلاء الأولاد الثلاثة؟ أنا أم أنت؟
مادمت أنجبتهم فعليك الاعتناء بهم .

السيدة كابرون : كفى ، دعنا نصعد إلى مسكننا .

كابرون : ها هي ذي المتعة التي أجدها عندما أعود إلى المنزل ،
فقر! فقر!

جوليا : سأمر بعد قليل على المخبز من أجلك يا سيدة كابرون ،
فأصعد إليك بخبزك .

كابرون : يا للمرأة اللطيفة!

السيدة كابرون : ألا تخرجن! أرجو المَعذرة، فأنا إنما أتيت أستطلع
الأنباء .

(يخرجان . صمت)

الأم : عندما يكون الزوج سكيراً ، يجب على المرأة ألا تنجب
أطفالاً .

الأب : أو من أجل رجال من هذا النوع ترفض الوظيفة المعروضة
عليك؟

جول : عندما أنظر إلى رجل مثل كابرون فكأنما أرى نفسي .

الأم : ما هذا الهذر؟

جول : أرى نفسي مكانه ، أراه في حين أنظر إلى نفسي . الصدقة
وحدها هي التي أتاحت لي ألا أكون تعيشاً مثله .
كابرون؟ إني لأفهمه وكأنه أخي .

الأم : هذا العرييد أخوك؟ حقا لا اعتبار عندك لعائلتك .

جول : أن أضع نفسي مكان الآخرين ، أن أصبح الآخرين ! أن أكون الآخر! لذا فإن هباب الفحم يعوق تنفسي ، هنا وفي كل مكان ، ليل نهار .

جوليا : والله يا أمي أظن أن جول على حق .

الأم : ما دمت توافقيه الرأي ، فما بقي لي إلا أن أصمت .
يا زوجي ، لقد كبرنا في السن ، أنا وأنت . وفي هذه الأيام
تقر الموضة أن الشبان هم وحدهم الذين يفهمون
ويتحكمون في كل شيء .

الأب : هيا إلى الفراش ، فقد تأخر الوقت .

جوليا : أنا ذاهبة مع جول لإطعام الحمام .

جول : تصبحون على خير (معانقات . يخرج جول وجوليا إلى
الفناء ، يطفئ الأب والأم المصباح ، يتوارى مطبخ أسرة
دوران في الظلام ، يجلس وجوليا على مقعد في الفناء ، نجوم
في السماء) . كيف تريدني أن أشرح لوالدي اللذين
يحبانني أني كنت دائما ولدا تقيسا . ما كنت أو من بالله ،
وما كنت التقيت بعد بالناس . كنت وحيدا ، وحيداً ،
أسمع يا جوليا ، لا أفهم شيئا البتة . هل حدث لك أن
حلمت أمام الأمواج التي تصل إلى الشاطئ؟ هكذا كنت
أرى كل جيل يأتي ، خلال خمسين عاما ، فينبسط ، الواحد
إثر الآخر على شاطئ العصور ، ثم يزول . وأنا اليوم ما عاد

يخيفني كوني مجرد رذاذة محيط . افهميني يا جوليا ، ما دمنا
كلانا سنقوم قريبا على تربية طفلنا حتى لو أني ولدت غنيا ،
فلن أستطيع أن أظل غنيا ، لأنني أعلم الآن عن أي بؤس
يخرج هذا المال . إن رفضنا مشاركة الآخرين عذابهم يعني
قبولنا بهذا العذاب ، وتبريرنا له ، ويجعلنا مسئولين عنه .

لا ، ماعدت أعيش وحدي ، عندما ترأست النقابة كانوا
ثلاثين . نحن الآن أربعمئة . وغداً يصبح جميع الرفاق
نقابيين . سنكون ثمانمئة . وروسيل هذا الوغد ، لا ، إنه
ليس وغداً ، إنه أعمى وأصم ، سيتوجب عليه أن يذعن ،
أو يكون الإضراب ! منذ عام حدث أربعة عشر إضرابا في
جميع المنظمات ، إلا عند عمال الفحم ، وقد نجح الأربعة
عشر . ولسوف ننجح بدورنا ، عليك أن تفهمي يا جوليا ،
حتى تساعديني ، لأنني حتى لو كنت وسط الرفاق -
أحيانا ، خلال طرفة عين - أعود إلى وحدتي ، فأنا مازلت
أشعر بنفسي وحيدا بالقدر الذي كنته لما كنت صبيا تائها
أمام زبد الأمواج ، والخوف يخنقني .

جوليا : أحبك يا جول . . . من كل جوارحي .

جول : أتؤيديني في أمر الإضراب ؟

جوليا : طبعا . وقل لي إن طفلنا سيكون سعيدا .

جول : بكل تأكيد يا حبيبي .

جوليا : ما أجمل الليل !

جول

: ملء بالنجوم المجهولة! كم من أناشيد أمل خرجت من صدور رجال نحو كل هذه الأنوار! لكن في أي صمت انطفأ كل ذلك الأمل . اعتباراً من الآن فإن ما يحظى باهتمامي هو الإنسان الذي أستطيع أن ألمس يده، الذي أستطيع أن أمسك بيده، الذي بوسعي أن أقول له: «تشجع أيها الصديق! غداً نحيا معاً، ونكون أقل تعاسة!» .

جوليا

: أسمع الحمام الذي يطالب؟

جول

: نعم، هم أيضاً يطالبون بالحياة مطالبة كبيرة ليس من السهل تهدئتها . إن أذعنت الشركة، وفرنا علينا إضراباً .
إني أفضل بالأحرى . . . الإضراب شاق جداً عندما يكون لدى المرء زوجة وأولاد . . . لكن لا يمكن للشركة ألا تدعن أمام اتحادنا . آه! يا جوليا، إني مستعد أن أهب حياتي من أجل سعادة الآخرين!

المشهد الرابع

(الشارع بسياج مطلي بلون أحمر أمام البحر. أوليفيه يرتدي ثياباً سوداء، ويضع قبعة مرتفعة ويمسك بعصا ذات قبضة فضية. روسيل يرتدي ثياباً رمادية، ويضع قبعة مستديرة، ويمسك بعصا ذات رأس منحن. إنهما في طريقهما إلى البورصة، من حين إلى آخر يلتقيان بتجار، بسامسة، فيتبادلان معهم تحيات مجاملة).

أوليفيه : كنت أظن يا روسيل أنك وضعت أشخاصاً يعملون لحسابك، داخل نقابة عمال فحم المرفأ هذه؟

روسيل : قد فعلت ذلك يا سيدي الرئيس .

أوليفيه : كيف تفسر لي إذا التصويت بالإجماع على هذا الإضراب؟

روسيل : لأنني، أنا أيضاً، مقتنع بضرورته . . .

أوليفيه : ماذا؟

روسيل : . . . من أجل تحطيمه يا سيدي الرئيس، وفي الوقت نفسه تحطيم هذه النقابة الفتية المشاغبة جداً. إن إضراب فحم إبان الصيف لا يمكن أن ينجح. لو كنا في الشتاء لقام السكان ضدنا. إن أيام البرد الشديد لا تزال بعيدة.

(تاجران بقبعتين مرتفعتين. تحيات مجاملة)

- تاجر : طاب يومك ، يا عزيزي بوجنهارت !
- أوليفيه : طاب يومك يا عزيزي دولاموت !
- روسيل : (متابعاً حديثه) غدا تقول الصحف إن الإضراب يجبر سفننا على التوجه إلى روان ودنكارك . إن استمر الإضراب خمسة عشر يوما ، اضطررنا إلى تحويل سفننا الأخرى إلى هامبورغ . هل يترك السكان مجموعة من السكارى المعوزين يقضون على مرفئنا لصالح المرافئ الألمانية؟
- أوليفيه : إن رؤساءك لهم ثقة كبيرة في تحليلاتك وعزمك .
- روسيل : أشكرهم على ذلك ، من المهم حقاً أن تتخذ بعض القرارات جماعياً ، من غير أن تعلم المدينة أن ثمة اتفاقاً بيننا . إن شئت الحقيقة ، فلا أحد سينطلي عليه الأمر . بيد أن التقيد ببعض المظاهر يعطي قوة إضافية لمؤسسات ليس لسرها أن يذاع دون داع . يعلم الله أني لا أنظر إلى الحياة على أنها مقامرة ، إلا أنه كما في المقامرة ، يتوجب علينا أن نتقنع ، ونراوغ ، ونخفي أوراقنا .
- أوليفيه : أمتأكد أنت كل التأكيد أن كل هذه الأعمال ليست مجرد مقامرة جد بائسة؟
- روسيل : عندما نخسر ، ربما .
- أوليفيه : (بعصبية) عندما نخسر ماذا؟ ونربح ماذا؟

تاجر : (تحيات) وكيف تتحمل أختك الغالية جدا موت زوجها
الرهيب؟

أوليفيه : بإيمان ورضا بمشيئة الله! (تحية . يخاطب روسيل) وإن
طال الإضراب؟

روسيل : بعد عام ستكون هذه النقابة الفتية قد كونت ثروة حربية
صغيرة نوعا ما، تساعدنا على الوقوف في وجهنا. إنها
اليوم تبدأ المعركة بصندوق معونات فارغ. لن يستمر
الإضراب أكثر مما يسمح حساب البقال، وعندما،
وبأمر مني، يستأنف عمالي واحداً إثر الآخر، العمل،
بعد أن كانوا خلال الاجتماعات الأولى دعاة إضراب
متطرفين، فإن تراجعهم سيثبط معنويات الآخرين
كثيرا. وليس غير مجد أبدا تشييط معنويات الخصم.

أوليفيه : استقبل إذا وفدهم، وارفض كل مطالبهم.

روسيل : أستقبل دوران وشلته؟ أتريدني أن أهب هذا الشخص
المشاغب الذي أهاننا، منذ ثمانية أيام، بتأخيره إقلاع
«البروفانس» أربعاً وعشرين ساعة، تريدني أن أهبه
شرف مناقشتنا؟ سيتكلمون خارجاً، أمام بابي المغلق.

تاجر : (يمر، تحيات). وبعد، أيها العزيز، يقال في البورصة
إنكم مهددون بالإضراب.

أوليفيه : لقد علمت ذلك لتوي. إني آسف.

روسيل : أليس من المؤسف أن يستطيع عمال دون مسئولية مالية أن
يشلوا حركة أكبر مرافئ البلاد لصالح صاحب الجلالة
غليوم الثاني؟ وأن يكون ذهاب وإياب سفن شحنتنا تحت
رحمة هؤلاء السكارى؟

التاجر : نحن وراءك جميعا، يا عزيزي روسيل .
(تحيات . خلال تغير الأضواء نسمع أصوات بائعي
صحف).

الصوت : آخر أنباء الإضراب!

أسماء السفن المتوقفة في المرفأ.

قلق دائم في البورصة .

آخر أنباء الإضراب .

المرفأ مشلول تماما .

مجلس المحافظة يأخذ موقفا .

آخر أنباء الإضراب .

(تتابع الأضواء)

المشهد الخامس

(خلفية من المنازل . في مقدمة المسرح إلى اليمين ، شكل محل بقالة ، إلى اليسار شكل محل جزارة . عمال الفحم ، وقد وضعوا علامات حمراء على سواعدهم وحملوا في أيديهم صناديق تبرعات معدنية ، يجمعون الأموال في الشوارع باسم لجنة الإضراب).

العامل الأول : من أجل نساتنا!

العامل الثاني : من أجل أطفالنا!

العامل الثالث : من أجل عمال الفحم المضربين!

(فريق آخر)

العامل الرابع : من أجل نساتنا!

العامل الخامس : من أجل أطفالنا!

العامل السادس : من أجل عمال الفحم المضربين!

(الفريق الأول أمام البقال)

البقال : هذا من أجل الذهاب للحانة ، أليس كذلك؟

العامل الأول : هذا من أجل صندوق التضامن .

- العامل الثاني : كنا نكسب تسعة فرنكات باليوم .
- العامل الثالث : بالتحديد أربعة فرنكات ونصف كل أربع ساعات .
- العامل الأول : وفي أسابيع الخير كنا نعمل ثلاثة أرباع اليوم .
- زوجة البقال : ما عليكم سوى تغيير مهنتكم .
- العامل الأول : لماذا أنت صاحبة بقالة؟
- البقال : لأننا اشترينا محل بقالة . (يضحك)
- العامل الثاني : أما نحن فلا يمكننا أن نشترى شيئاً .
- العامل الثالث : نحن الذين نُشترى ، ولا أحد يدفع لنا الثمن .
- البقال : إليكم عشرة فلوس .
- الزوجة : وكلوا هذه ، إنها علبة تونة .
- العامل الأول : سنتركها للأولاد ، فهم جائعون أكثر منا .
- العامل الثاني : وهؤلاء الأطفال المساكين لا يعلمون حتى لماذا هم جائعون!
- (الفريق الآخر أمام محل الجزارة)
- زوجة الجزار : إن إضراباتكم تضر بصغار التجار .

الجزار : أولاً، لماذا أنتم مضربون؟

العامل الرابع : لأنه تم التصويت على الإضراب .

العامل الخامس : لقد وضعوا ماكينات على أرصفة الشحن . إن إحداها وهي التنكارفيل قد تسببت قبل الإضراب في تسريح مئة وخمسين رفيقا .

زوجة الجزار : هذا هو التطور .

العامل السادس : حسناً، لكن خلال ذلك الوقت، يجب بالطبع أن نأكل!

العامل الرابع : من أرباح الآلة نريد عشرين فلساً زيادة!

الجزار : أتريدون من رؤسائكم أن يدفعوا لكم نظير مراقبة الآلة وهي تدور؟

العامل الخامس : هب أن تعاونة راحت تباع المقائق بنصف الثمن أمام بابك، سيكون هذا تطوراً أيضاً، ماذا ستقول ساعتها؟

الجزار : يكفي! يكفي! هاكم عشرة قروش، لكن لا تعودوا ثانية .

العامل الأول : (من الفريق الأول) من أجل نسائنا!

العامل الثاني : من أجل أطفالنا!

العامل الثالث : من أجل عمال الفحم المضرين!

(يمر برجوازي وبرجوازية)

البرجوازية : الفوضويون! هيا بنا من هنا! إني خائفة .

العامل الأول : (طالبات التبرع) كي يخف الفقر!

العامل الثاني : كي لا يكون هناك فقراء بعد الآن .

البرجوازية : هيا يا زوجي! إنهم مجانين! إن لم يعد هناك فقراء، فلن

يكون هناك أغنياء! وبالتالي ماذا سنغدو نحن؟

العامل الرابع : (من الفريق الثاني) من أجل نساتنا!

العامل الخامس : إلخ .

(أثناء تغير الضوء على . . .)

المشهد السادس

(نهاية سهرة . في الفناء يظهر مطبخ عائلة دوران . الأم وجوليا تحوكان) .

- جوليا : إن لم يفعل جول ما يفعله فلن يكون سعيداً .
- الأم : لا أريد إلا أن يكون سعيداً ، لكن ألا يمكنه أيضاً أن يفكر بعض الشيء في سعادة الآخرين ؟
- جوليا : أترين أنه لا يفكر كفاية في سعادة الآخرين ؟
- الأم : لا أكلمك عن الآخرين الذين لا نعرفهم ! بالنسبة لي فإن الآخرين هم والده ، ووالدته ، وأنت .
- جوليا : لن يشبه جول أبداً الرجل الذي حلمت به عندما كان صبياً ، كان وقتها يجهل كل شيء عن الحياة . لكنه قد فتح عينيه ، وابنك لن يستطيع إغلاقهما بعد الآن . هذه هي الحقيقة .
- الأم : لن يستطيع بعد الآن إغلاق عينيه .
- جوليا : لا . وما رآه أراني إياه ، وأنا بدوري أراه الآن أبدأ الدهر . لا يحق لنا أن ندفع الناس الجائعين إلى السرقة ثم نلومهم عليها ، ونبيعهم الخمر ثم ننتعهم بالسكرى .
- الأم : لكنه لا ناقة له ولا جمل في كل هذا .
- جوليا : بمجرد أن يعلم المرء ، فإن صمت كان مسئولاً نوعاً ما .
- الأم : عندما تشيخين بدورك ، وتتعين . . .

- جوليا : عندما أشيخ فسوف أترك الشبان يحيون كشبان .
- الأم : لماذا تحرضينه؟ أنا من كنت أنشد الطمأنينة لنا أربعتنا،
مع أولادك الذين بإمكانهم أن يكبروا من حولنا!
- جوليا : يكبرون مثل الكتاكت! ريشا تقصف أعناقهم
كالدجاج؟ إن ابنك لم يخلق ليعيش في قن الدجاج .
(صمت)
- الأم : أتعلمين أين عمك الآن؟ استدعته الإدارة بعد العشاء
لأن لوائح دعم للإضراب تم توزيعها . . . وتمكنت
الإدارة من الحصول على نسخ من هذه اللوائح، ويقال
إنهم سيوقفون كل المكتبيين عن العمل، وعمك قد
اكتب بسبب جول!
- جوليا : أو تجدين ذلك حسناً؟
- الأم : وإن سرح عمك، فهل سيكون ذلك أفضل؟ أصحاب
الشركات لا يجذون المضايقات .
- جوليا : ولماذا يجبروننا على مضايقتهم؟ (صمت) أنا أيضاً،
مثلك تماماً، قلقة وخائفة .
- الأم : مم أنت خائفة؟
- جوليا : جول، وحده أفرغ المرفأ من العمال . لابد أن أصحاب
الشركة يفكرون أنه إذا ما اختفى جول . . . أخشى
مكيدة، مشاجرة مدبرة . أخشى يا أمي أن يلقوا به في
حوض السفن .

الأم

: أجننت؟ كيف لك أن تتصورى أن سادة التل . . . في هذه الأيام لا يغتال الناس النزهاء عمداً، وقد كنا دائماً عمالاً نزهاء في عائلتنا لم يكن هناك أبداً مجرمون ولا جرائم . . . جوليا! جوليا! أتفكرين في مثل هذه الفضائح ولا تطالين جول بالبقاء في المنزل؟ أين هو في هذه الساعة؟

جوليا

: في لجنة الإضراب التي تعقد جلساتها بلا انقطاع.

الأم

: وكما هو الحال أمام المرض، لا يمكننا أن نفعل شيئاً، إلّا . . . الانتظار الانتظار . . . والصلاة! من يمكنه أن يقول لك أبداً، يا جوليا، كم انتظرت في حياتي! لما سقط جول، من خمس سنوات، وهو عائد من المرفأ من على الدراجة . . .

جوليا

: أتدريين لماذا؟

الأم

: لماذا سقط؟

جوليا

: أتدريين كيف؟

الأم

: كيف سقط؟

جوليا

: لقد ارتقى عمداً على رصيف الشارع، مع علمه أنه قد يلقي مصرعه.

الأم

: عمداً!

جوليا

: لقد اندفعت هرة مذعورة أمام عجلته وحتى لا يدهسها، أدار المقود نحو الرصيف . . .

- الأم : كان يمكن أن يموت من أجل هرة شاردة . . .
- جوليا : وقتها ألم يكن عمي يمتلك هرة يحبها كثيراً، على ما أظن؟
- الأم : يا للحيوان القذرا! لم تكن تريد أبداً أن تأتي للنوم. وفي المساء، في الفناء كنا ننادي «بس! بس!» «ما كان عمك يستطيع أن يذهب لفراشه قبل أن يدخلها، وبمقصه الذي كان يقطع به رثة الذبائح كان يطرق على صحنه مناديا «بس! بس!» آه. كانت تلك صلاة كل عشاء . . .
- جوليا : من هنا أراد جول أن ينقذ الهرة الأخرى، مهما كلفه الثمن. لقد قال في سره بسرعة البرق «لابد أن هناك رجلا يحب هذا الحيوان كما يحب والدي حيوانه» بالنسبة لجول ليس هناك من أحياء مجهولي الهوية. إنه يفكر دائما في الغير وكأنه هو نفسه هذا الغير.
- الأم : وماذا لو جاءوني به مهشم الرأس؟ أعيد فأقول: لعل جول يفكر دائما في الآخرين، لكنه لا يفكر أبدا بي!
- (يدخل جول)
- جول : صباح الخير يا أمي، مرحبا يا جوليا.
- (يقبلهما)
- الأم : (وقد زال غضبها) ما كنت أود أن أقوله لك، سأقوله لك غدا، فأنت هذا المساء تبدو مرهقا، يا ولدي.

جول

: (وقد فاضت قريحته) ليس صعباً أن نرى مساوئ الماضي
عندما نضع الأمور الجديدة في نصابها، لكن أن نكشف
يوماً بعد يوم، أن نفضح المظالم . . . حتى عندما نكون
متأهين، ليس سهلاً. إننا نعيش بشكل لصيق الظلم
بحيث نعتاده، ونجده طبيعياً. لا مفر منه، بل إننا
لا ندري أنه ظلم، والمذنبون يحسبون أنفسهم أبرياء. كم
في المدينة هذا المساء من أناس سيتناولون طعام العشاء
في استحياء، لأن أطفالنا سينامون دون عشاء؟ لا أحد!
وكيف لرجل أن يأكل وضميره مستريح بينما يصرخ طفل
بجانبه من الجوع؟

جوليا

: هل سيأتي مندوب اتحاد العمل العام من باريس؟

جول

: نعم، من أجل اجتماع صباح الغد. (صمت) غرفة
التجارة تدخلت ضدنا.

جوليا

: أتستغرب ذلك؟

جول

: قبل الإضراب ما كانوا متفقين أبداً، لكن منذ الإضراب
هم متواطئون في البورصة فيما بينهم. الشرطة تبحث بين
المضربين عمن ليس لديهم إقامة، هؤلاء الذين كانت
تغض الطرف عنهم. غدا سيخبرون بين استئناف
العمل، والسجن.

الأم

: لا تعمل من الحبة قبة، ستستأنفون العمل، هذا كل
ما في الأمر!

جول : . . بالنسبة لعامل لم يأكل طوال خمسة عشر يوماً ، فإن العودة إلى العمل مطأطىء الرأس ، أمام رؤساء الورديات الهازئين . . .

جوليا : مادام اتحاد العمل العام الباريسي يرسل إليك مندوباً يساعدك .

جول : هذا أُملي الوحيد الآن .

الأم : لقد سخَّنت لك الحساء .

جول : شكراً يا أُمي ، لست جائعاً .

الأم : أَلست جائعاً؟

جول : أكلت مع رفاقي في الندوة .

الأم : أترفض طبق حساء والدتك؟

جول : جاستون على وشك الحضور . أعطيه إياه . فهو لا أم له ، ثم إنه مرهق أكثر مني ، مسكين ، أمين صندوقنا الخاوي !

الأم : لقد نشدت سعادة الكل ، وها أنت محزون ، فوق ذلك لا أحد يريد الإصغاء إليّ ، ليس للفقراء إلا العمل ، والسكوت ، ورحمة الله !

جول : من قال لك هذا؟ قساوسة أغنياء؟

الأم : هناك أيضاً قساوسة فقراء .

جول : ليس في الفاتيكان ! ليس في روما ! والفاتيكان الموشى بالذهب هو الذي يأمر وينهي !

الأم : لكن ماذا يهمك من كل هذا الكلام ، في مطبخنا التائه في عالم الفقراء؟

جول : لو كان يسوعك حيا اليوم، لكان معي وسط هباب الفحم، حيث لم ألتق أبداً بقس واحد. (يلوح كابرون في الفناء، وهو مخمور تتبعه زوجته).

كابرون : عندما لا أعمل تقومين بالزعيق، وعندما أعمل تزعقين أيضا.

السيدة كابرون : سيخجل أولادك منك في المدرسة.

كابرون : أما يجب أن يأكل أولادي؟

السيدة كابرون : (وقد دخلت إلى منزل دوران) أتعلمون من أين جاء زوجي؟ من أرصفة الشحن!

كابرون : (وقد دخل بدوره يخاطب جول) حسنا! دعني أقل لك وأمام والدتك أيضا. لا شيء يستحق المباهاة عندما تعكرون صفو حياة الأسر!

السيدة كابرون : منذ ستة أيام يعمل على مدار الساعة!

كابرون : وهي تقول إني كسول!

السيدة كابرون : كم كنت أخذت، يا سيد دوران، لو أنه أضرب مثل الآخرين؟

جول : خمسين سنتيما في اليوم له، وقدر ذلك لزوجته، وقدر ذلك أيضا لكل ولد. لكن اعتبارا من الغد، سيكون المبلغ خمسة فلوس فقط في اليوم.

السيدة كابرون : جوليا، كم يكون ذلك في ستة أيام؟

جوليا : ستة أضعاف الفرنكين ونصف، خمسة عشر فرنكا.

السيدة كابرون : حسناً! سأحتفظ بفرنكاتي الخمسة عشر، وهاك من أجل صندوق التكافل ما تبقى مما أحضره لي.

كابرون : أتمولين الإضراب بنقودي؟! لا أظنك مغمورة؟ والله لن تري بعد الآن لون عمليتي، وغداً تطلين من النقابة أن تطعمك. أولاً هذا حقك، ما دمت أنا أيضاً من النقابة.

جول : كلا، ما عدت في النقابة. لقد فصلت.

كابرون : فصلت؟

السيدة كابرون : لأنك تعمل أيها المحتال!

جول : لقد دعوت إلى التصويت على فصلك في اجتماع حضره جميع الأعضاء! إن اسمك قد شطب من لوائحنا!

كابرون : هذا أفضل! لن أجلس بعد الآن وسط شلتكم، شلة الكسالى! فأنا رجل.

(يخرج)

السيدة كابرون : سأحاول أن أستبقيه في البيت يا سيد دوران، كيلا يعود إلى المرفأ. (تخرج وتبحث في الظلام) أين أنت أيها السكير؟

جول : والله يا أمي، لو أحاطتنا رحمة الله لتكاثرت هذه القطع النقدية، مثل خبز الصحراء، ولأنقذت إلى الأبد الناس من براثن الفقر. أنا نفسي لا أراني جديراً بأن ألمسها. أنت يا جوليا التي ستأخذينها غداً إلى صندوق التكافل.

السيدة كابرون : (وقد وجدت زوجها مختبئاً في الفناء) ها أنت أيها الثعلب الماكر!

كابرون : لو استمر دوران في التدخل في أمور أسرتي، فسوف أبقر بطنه، أسمعيني!

(يترنح)

السيدة كابرون : اصعد إلى البيت واذهب إلى فراشك، أيها الشقي! (مندوب اتحاد العمل العام، برفقة عاملين)

عامل : من هنا.

المندوب : شكراً أيها الرفاق، لا جدوى من انتظاري. سأتدبر أمر عودتي مع دوران.

العامل الآخر : يمكننا أن نمر عليك فنأخذك إلى قاعة فرانكلين.

المندوب : إذاً، نحو الساعة الحادية عشرة. شكراً، إلى اللقاء (يقرع المندوب باب منزل دوران. يتوجه جول مستغرباً إلى الباب ويفتحه) المواطن دوران؟ تافال ريمون، مندوب اتحاد العمل العام.

جول : أهلاً بك أيها المواطن! إنني أنتظرك بفارغ الصبر. (يقوم بتقديمه إلى أمه وجوليا). أمي وصديقتي.

المندوب : (متعب وسئم) أسمعون؟ (يتناول كرسيًا) إني معتاد على التطواف في جميع أنحاء فرنسا، لكن هذا المساء... (لجول) كنت أريد أن أراك وحدك قبل اجتماع صباح الغد.

الأم : ما قولك في طبق حساء ساخن؟

- المندوب** : أكون شاكرا لك جدا .
- الأم** : أيمكنك أيضا أن تقول لابني أن يتناول بدوره طبقا معك؟ (المندوب ينظر إليه مستفهما) إنه يرفض أن يأكل بدعوى أن الآخرين جوع .
- المندوب** : (مذهولا) ترفض أن تأكل؟
- الأم** : إلى من عساه يسيء إذا ما تناول طبق حساء عند والدته؟
- جول** : كيف يمكنني أن أطلب من الرفاق أن يموتوا جوعا؟ ما لم تكن معدتي فارغة أولاً؟
- المندوب** : أيها المواطن دوران ، ليست معدتك الخاوية هي التي ستجعل مطالب العمال تتحقق ، بل القرارات التي ستخذها في هدوء ، ووضوح الأفكار . المجاعة ممتازة ، لكن من أجل حشد قواتنا فحسب . وما دام أرباب العمل من الغباء بحيث يطعمون العمال طوباً بمرق الحصى ، فلنغتسم الفرصة ! لكن علينا أن نعطي هؤلاء العمال المضربين أوامر مجدية . وليس طبق الحساء هو الذي سيمنعنا من إعداد هذه الأوامر . بل العكس تماما هو الذي سيساعدنا على ذلك .
- الأم** : (فرحة ، حاملة طبق حساء) جوليا ، هاتي أيضا السراطين التي اصطادها عمك يوم الأحد . إن كنت تحبها . . .
- المندوب** : أجل أحبها ، وأنا لا آكل منها غالبا للأسف .
- الأم** : ليس لأن هذا يغذي ، لكنه يساعد على الحديث .
- جوليا** : إليكم الخبز والشراب . والآن ندعكما وحدكما . . .

- الأم : لكن أين ستنام؟
- المندوب : عند رفيق ، قرب قاعة فرنكلين .
- جول : سأرافقك إلى هناك أيها المواطن .
- جوليا : (للمندوب) إذا نادني قبل رحيلك . لأذهب معكما ، كي أؤنس جول في طريق العودة .
- المندوب : لا داعي لذلك ، سيأتي بعضهم في طلبي .
- الأم : وعليه أن ينهي حساءه تماماً ، أليس كذلك؟
- جوليا : هيا يا أمي ، (لجول) سأقوم بالحياكة في الغرفة المجاورة .
- الأم : تصبحون على خير .
- (تخرجان)
- المندوب : وبعد ، أيها الرفيق ، كم يوماً تراك تستطيع الصمود؟
- جول : كم يوماً؟ قدر ما يلزم! الفشل غير مقبول على الإطلاق . إن فشلنا ضاع كل شيء .
- المندوب : لا شيء يضيع أبداً . أحياناً ، محلياً ومؤقتاً . وحتى عندما نظن أنه قد ضاع كل شيء فإننا نجد دائماً شيئاً ننقذه .
- جول : الشركة تحوّل سفنها إلى موانئ أخرى ، ونقابات فحم الموانئ الأخرى لم ترفض العمل .
- المندوب : هل طلبت ضمانات قاطعة قبل البدء بالإضراب؟
- جول : لا .
- المندوب : وبعد؟!

جول : لكن لو حدث إضراب في دنكارك، أتظن أني كنت سأقبل أن نعمل هنا؟ من جانب آخر، هناك تعاونية تفريغ يقال إنها عمالية، لكنها في الواقع رأسمالية، تمتلك آلات . . . قبل الإضراب لم يتفقوا أبداً حول أسعار التأجير. . . لقد رضيت التعاونية أن تلعب دور الخاتنة للعمال. إن في حوزة التجار الآن آلات أوتوماتيكية. . وفي سبيل تأمين تشغيلها يبحثون عن خونة يدفعون لهم ما يشاؤون لإفشال الإضراب، في حين يرفضون زيادة العشرين فلساً التي نطلبها.

المندوب : ماهي الإجراءات التي اتخذتها لمنع الخونة من العمل؟

جول : نفصلهم من النقابة.

المندوب : وهل هذا سيمنعهم من العمل؟

جول : في سبيل الحصول على حق جمع التبرعات من أجل صندوق التكافل، فقد التزمت أمام العمدة بأن أحترم حرية العمل.

المندوب : وماذا بعد؟

جول : كيف «وماذا بعد»؟ الكلمة المعطاة يجب أن تحترم.

المندوب : لأنك تظن أن أرباب العمل، عندما يعدون بشيء . . .

جول : هل بدأت المعركة كي أشبه رب عمل؟

المندوب : عندما يبدأ المرء معركة، فعليه أن يكسبها. وليس بالعدالة نكسب المعارك، بل بالقوة. يجب أن تكون الأقوى، هذا كل شيء. دعنا نعد إلى الأمور الجادة حسب تقديراتك، إن استطعت أن تمنع إقلاع كافة السفن، فكم من الوقت يمكن للمرفأ أن يصمد؟

- جول : شهراً، وربما ستة أسابيع .
- المندوب : وماذا عن تأمين الفحم للمصانع؟
- جول : إنهم الآن يزودون المصانع من مخزونات المنازل المعدة للشتاء .
- المندوب : أترأى ظننت أن من الدهاء أن تبدأ إضراب فحم في عز الصيف؟
- جول : ما كنا نستطيع الانتظار أكثر. لا يمكنك أن تتصور فقر رفاقي . وقد تم التصويت على الإضراب بالإجماع .
- المندوب : أجل ، حتى خونة اليوم صوتوا عليه . . . إن سراطين والدك شهية بالفعل . اشرب . هل والدك هو الذي يعد هذا النبيذ؟
- جول : شكراً، سأشرب الماء .
- المندوب : أحقاً تقول ! لقد قالوا لي ذلك . لكن هل تشرب الماء حتى عندما تكون وحدك؟ لقد أخبرت أيضاً أنك ، منذ ستين شهدت ضد عامل في محكمة العمال .
- جول : كان قد سرق .
- المندوب : إن كان سرق ، فإن وضعه كعامل هو الذي ساقه إلى ذلك . إن وضعه كعامل هو الذي كان يستحق التجريم ، لا العامل نفسه !
- جول : لم أكن قاضياً ، بل شاهداً ، وقد شهدت السرقة . يجب ألا نشكك أبداً في قول نقابي . هل يحق لنا أن نلطمخ قضية عادلة؟

- المندوب : كل شيء عادل في قضية عادلة .
- جول : حتى الكذب؟
- المندوب : كل ما يخدم قضية عادلة يغدو عادلاً . وكل ما يسيء إلى قضية عادلة يجب أن يستنكر . ليس لأن الإضراب عدل ترانا نبدوّه ، نبدوّه عندما نكون متأكدين من نجاحه . نحن لسنا سياسيين ، لا أنت ولا أنا . نحن نقاييون ، هذا كل ما في الأمر . لكن خارج النقابة أنت فوضوي؟
- جول : فوضوي ثوري .
- المندوب : أخبرت أيضاً أنك من أعضاء رابطة حقوق الإنسان؟
- جول : كي أَدافع فيها عن كرامة الإنسان .
- المندوب : كرامة الإنسان تأتي لاحقاً أيها المواطن دوران . في الوقت الراهن نوجه الضربة ، وكن واثقاً من تجربتي أن لا كرامة إنسانية في الحرب ! أجل الحرب ! والحرب الاجتماعية من أشرم الحروب .
- جول : ما المساعدة التي تأتيني بها من باريس؟
- المندوب : إنها مساندة معنوية دون تحفظ .
- جول : وعملياً؟ إذا ما تكلمت مثلك .
- المندوب : يبدو لي أن إضرابكم فاشل !
- جول : وهل ترضى بفشل إضرابنا؟
- المندوب : أعتقد أنه يمكن إجراء حوار مع المسؤولين من أجل استئناف العمل؟

جول : إنهم يرفضون استقبالنا . إنهم يريدون تحطيمنا ، وإذلالنا وإفقارنا .

المندوب : بالطبع ! ضع نفسك مكانهم .

جول : مكانهم؟ معاذ الله .

المندوب : أنت مخطيء يجب أن تضع نفسك دائما مكان الآخر .
فمن ذلك المكان ، إن أحسنت التفكير ، ستري نقط
ضعف غريمك ، فتوجه إليه الضربة هناك .

جول : لم أنظم مباراة دومينو . ثم إني عندما أضع نفسي مكان
الآخر ، فليس هذا من أجل ضربه حينما ترى بؤس
رفاقي . . .

المندوب : وبعد إضراب فاشل ، هل سيكونون أقل شقاء؟

جول : أيها المواطن المندوب ، هل لي أن أسألك لم تجشمت مشقة
ركوب القطار؟

المندوب : أولاً لأنك طلبت مساعدتنا ، ثم لأننا نريد أن نساعدك ،
إن كان ذلك ممكناً .

جول : صندوقنا فارغ . هل يمكنك أن تملأه؟ الموانئ الأخرى
تقبل تفريغ السفن التي كان يجب أن تجمد هنا . عليك
أن تؤمن لنا إضراب عمال الفحم في الموانئ الأخرى . . .
المندوب . . . موانئ فرنسا ، ونافار ، والخارج؟ وأيضا
عمال السكك الحديدية الذين ينقلون بضائع هذه
السفن ، وعمال البريد والبرق الذين ينقلون الأوامر ،
وموظفي الصحف التي تسرد الأكاذيب؟ وبكلمة
موجزة ، نريد إضرابا شاملا . . .

- جول :** لم لا؟
- المندوب :** ... وعالمياً؟ أليس كذلك؟ أتظن أنه لو كان الإضراب الشامل ممكناً اليوم، كنا انتظرنا كي تعطي إشارة البدء؟ وخاصة أنك تبدو غير قادر على تحديد ساعة البداية.
- جول :** حسناً! إن كنت ركبت القطار كي تثبط معنوياتي، فقد ركبت القطار بلا طائل!
- المندوب :** لا أريد تشييط معنوياتك، أنا أحلل الموقف، على كل حال سأتكلم غدا في قاعة فرنكلين، فأطلب مواصلة الإضراب إلى أبعد حد...
- جول :** مع علمك أنه فاشل؟
- المندوب :** في سبيل إنقاذ رفاقك من هباب الفحم، ولو لم يكن عليك أن تقتل سوى رب عمل واحد، فهل تقتله؟
- جول :** ليس هذا وقت السؤال.
- المندوب :** بل وقته في نظر أرباب العمل. فهم من أجل إنقاذ موقفهم، إن اضطروا لقتلك، فلن يترددوا في ذلك.
- جول :** ما أدراك؟ ولماذا نحذو حذو ما نريد الخلاص منه؟
- المندوب :** مع السفلة كل شيء مباح.
- جول :** طبعاً أنت ضد الصراع المسلح؟
- المندوب :** وبعد؟

جول

: لكنك من أولئك الذين قد يشهرون السلاح في وجه دعاة الصراع المسلح؟ فستمكن من خوض الحرب، لأنك ضد الحرب! أما أنا فما أريده هو الخروج من الحرب. لن نتكلم غدا في الاجتماع. أنا وحدي من سيخبرهم بالحقيقة. (ينادي) جوليا! جوليا! نأستدعي الرفاق حولي، فأطلب إليهم أن يبقوا إلى جانبي ليل نهار في ساحة فندق دوفيل، بلا طعام ولا حراك، كالأموات إلى أن ينجل أرباب العمل من أنفسهم! (يتخاطب جوليا التي دخلت) أسمعين يا جوليا، كأموات يخنقهم الهباب والشقاء!

المندوب

: أيها المواطن دوران، عندما تخسر المعركة، يجب عليك أن تتقبل الهزيمة. أنت إنما ترى نقابتك، ورفاقتك، والوجه القذر والباسم لرؤساء الورديات، أما أنا فأرى مجموعة متكاملة. ثم من يدري؟ كل شيء قد يتغير غداً، أول إضراب قمت به، كنت في السابعة عشرة من عمري. ذلك الإضراب أيضاً كان يبدو محكوماً عليه بالفشل. لكن أصحاب المنجم استعانوا بالفرسان. وقد سقط قتيل، إنه والدي.

جول

: والدك؟

المندوب

: إلى جانبي. البطن مفتوح بضربة سيف. إني صبي قديم رأى أحشاء والده الحي، وكنت أنظر إليه وهو يتلوى من الألم والذعر، وهذه اليد قد تمرغت في الدماء السائلة. لكن، في حيننا، لم يستطع أصحاب المنجم أن يتخلصوا من

تلك الدماء! لقد ظللوا لسنوات يتجنبون السير على بلاط الشارع حيث لقي والدي مصرعه . (يضحك) دعهم يغتالوك غداً، أيها الرفيق دوران، ولك عليّ الإضراب الشامل لدفنك! (ثم جاداً) أنا أيضاً، حتى ذلك اليوم، كنت عاطفياً . لكن أرباب العمل عملوا على تربيتي . وأنا الآن من جنسهم . أقاتل مثلهم – ضدهم! الخلاف الوحيد هو أنني أقوم بعملي مجانا، دون مقابل – وإن عملت فمثلك يا مواطن دوران، كي أحرر الطبقة الكادحة .

(يدخل والد دوران وعلى رأسه قبعة مستديرة)

الأب : هل تحرران هنا الطبقة الكادحة؟ إنكما والله تستعدان للتحرير بشكل مضحك!

جول : (للمندوب) إنه والدي! أبي، هذا مندوب باريس .

الأب : أتيت في وقتك! يمكنك أن تقول لأتباعك إنني بفضلهم وفضل الآخرين، قد سرتحت من عملي، بعد ثلاثة وعشرين عاما من الخدمات الجلييلة . نعم لقد اعتبروني عنصرا مرييا مشاغبا، ولا أعلم ماذا أيضا، إلا أنه ما عاد يحق لي أن أذهب غدا إلى العمل . ما عاد يحق لي أن أعمل! لا أدري إن كنت أنت أيضا قد تسببت في طرد والدك؟

المندوب : ما دعواهم في طردك؟

جوليا : لقد قام والد جول بتوزيع قوائم الاكتساب من أجل صندوق مساندة الإضراب .

جول : أنت؟ إنك إذا توافقتني الرأي؟ ولو تدري أن والده هو... عفوك أيها الرفيق... .

المندوب : هل كان يحق لهم تسريحك؟ لا، إذا فأنت تدرك الآن ضرورة معركتنا.

الأب : لقد قالوا لي : «ابنك الذي يدمر المرفأ يسكن الآن معك، إنك تطعمه. بماذا؟ بالنقود التي نعطيك إياها. ضع نفسك مكاننا، أتريدنا أن نطعم من يقاتلنا؟ اطرده ابنك من المنزل، أو نظردك نحن».

جوليا : لا تيأس يا جول. ليست بعد المعركة الفاصلة. والمعركة الفاصلة فقط هي التي ستريحونها كلكم.

الأب : ما ظننت قط أنه قد يحدث منهم ذلك، هم الذين كانوا يبدون في غاية الرقة والتهذيب. الخنازير! الخنازير!

المندوب : نعم، يا مواطن دوران، إن لعبة الدومينو التي كنت تتحدث عنها، سوف نربحها لأن انتصارنا هو في منطق التاريخ، ففي البذرة تتواجد الزهرة والثمرة. لسنا سوى بستانين، لكن لنحاول ألا نغرس في الظل الأزهار التي تحب الشمس، وفي الطين الأشجار التي تحب جذورها الحصى، ولتسلح بالصبر. على البستاني أن يعرف كيف ينتظر الموسم. ليس عام ١٩١٠ بالتاريخ الأزلي. إنه عام يمضي. لن يتوقف التاريخ عند عام ١٩١٠. الآن انظر إلي وثق بي، الأيام تقترب.

جول : والدي، سامحني، لكنهم هم المذنبون.

جوليا : ستوضح الأمور غداً.

جول : (للمندوب) لكن غداً. غداً في الاجتماع...

المندوب : هل يمكنك أن تصمد ثمانية أيام أخرى؟ حسناً، من الآن وحتى ثمانية أيام سنرى .

جول : أنا الذي كنت آمل أن تساعدني، لأنني دون مساعدتك . . .

(يخرج المندوب . يحتضن جول جوليا . تحضر الأم التي نهضت لتوها من الفراش ، وقد وضعت شالاً على كتفها)

الأم : (للأب) ماذا جرى؟ ماذا قال لك أصحاب الشركة؟

الأب : أصحاب الشركة؟ إنهم خنازير!

جول : أنجعل أيضاً النساء والأطفال يتضورون جوعاً لفترة ثمانية أيام بلا طائل؟ وقد لاموك على إطعامي؟ ما كان لي أن أتناول الحساء! ما كان لي أن أتناول الحساء! جوليا، كيف السبيل إلى إخراج هؤلاء الرجال من الهباب حيث يختنقون؟

(أضواء على)

المشهد السابع

(... الوقت ليل . المرفأ، الرصيف . قرب كومة من البراميل أربعة عمال مضربين).

المضرب الأول : ها هي البراميل .

المضرب الثاني : أهى التى نبحت عنها؟ متأكد؟

المضرب الثالث : كل التأكيد . فى هذا المكان فرغوا السفينة «ليزانتى» .

المضرب الرابع : يا لرائحة الروم الحلوة!

المضرب الأول : ناولنى مثقابا .

المضرب الثانى : أنت ، اذهب وراقب فى الجوار ، لن أشرب كل شىء ، وحدي .

المضرب الأول : إنه روم من الصنف الممتاز!

المضرب الثالث : إليك الشافط .

المضرب الثانى : لا تنم فوق البراميل!

المضرب الثالث : (ينخاطب الآخرين) ماداموا لا يعطوننا طعاما ، فلا أقل من أن يعطونا الشراب!

المضرب الثانى : (للأول) ألم تنته بعد من الشرب؟

المضرب الرابع : لا تأت على البرميل .

المضرب الثانى : اصمتا ، ولا تزعجانا قبل أن يأتى دورى .

المضرب الأول : (للتالث) دورك!
المضرب الرابع : ثم إن الروم مشبع بالسكر، إنه مغذ!
المضرب الأول : إنه سهل على المعدة، على الرغم من أني لم آكل منذ يومين.

(في الجهة المقابلة، عند مطلع السلم).

دولاقيل : ألسـت مجنوناً إذ تذهب في هذه الساعة إلى الرصيف؟
كابرون : لقد سئمت من فحمك . ولماذا لا أذهب إلى الرصيف؟
دولاقيل : لأنهم إن صادفوك فسوف يقطعونك إرباً .
كابرون : يقطعونني، أنا؟ (صارخا) فليأت هؤلاء العاجزون!
دولاقيل : ما دام لديك سرير على متن السفينة!
كابرون : صحيح إنما لي أصدقاء في المدينة . إن لديّ زوجة وثلاثة أولاد . وأنا لا أريد أن يتسكع أبنائي الثلاثة في الشوارع .

دولاقيل : مادام لديك كل الخمر التي تريدها على متن السفينة .
لأنه إن قبض عليك الـ . . . المضربون الغلاة .

كابرون : أي مضربين غلاة؟

دولاقيل : المتضورون جوعاً . . .

كابرون : حسناً دعهم يقتربوا! (يصيح) تعالوا، يا شلة الفاشلين!

دولاقيل : (يعطيه مسدسا) خفف من الضوضاء وخذ هذا المسدس .

كابرون : (مندهشا) مسدس؟

دولاقيل : إن أزعجوك أطلق في الهواء . فيهربوا مثل الأرانب .

كابرون : معي ، سيجد مضربوك العنيدون من يتصدى لهم ! لأنني عامل كافح دائما ضد البطالة ، وهذا هو السبب الذي دعاني لدخول النقابة .

دولاقيل : لكنك مازلت نقائياً .

كابرون : كلاً! لقد قال لي دوران «يجب أن يشطب اسمك»!

دولاقيل : هدىء من روعك . ويمكنك أن تقول لهم جميعاً إنني أشغل من يريد . وإن هناك طعاماً على متن السفينة ، وأمكنة للنوم ، وثلاثة أضعاف الأجر .

كابرون : أنا أكلمهم؟ سأعاجلهم بطلقات مسدسي إن أرادوا الحديث .

(يصعد دولاقيل إلى السفينة . يتقدم كابرون في الظلام .
الحانة الخضراء تضيء في البعيد) .

المضرب الأول : اثنان وعشرون! هناك شخص آت .

المضرب الثاني : سنعود . ألا تغلق تلك الحانة أبوابها في الليل!

المضرب الرابع : فاخر هذا الروم!

المضرب الأول : (وقد تبين كابرون) من أين أنت قادم؟

كابرون : من أين أنا قادم؟

المضرب الثاني : (بلهجة حادة) أكنت تتزّه؟

- كابرون : صدقت يا صاح ، إني أتنزه .
- المضرب الثالث : والله لو لم تقل ذلك ، لما صدقناك .
- المضرب الرابع : لو سألني أحد عنك ، لقلت له : «كابرون ، إنه يعمل» !
- كابرون : وكنت أخطأت ، لأنني أتنزه كما ترى .
- المضرب الأول : تنزهه !
- (صمت)
- كابرون : وبعد ، ماذا في الأمر؟
- المضرب الأول : ماذا تريد أن يكون في الأمر! ما دمت تنزهه . .
- المضرب الثاني : . . . وما دمنا نحن أيضا نتنزهه . . .
- المضرب الثالث : هانحن جميعا متنزهون .
- (صمت)
- كابرون : ما قولكم في كأس؟
- المضرب الأول : قلنا لك إننا لسنا عطشى !
- كابرون : لأنه ، لو كنتم عطشى فإن لديّ نقودا .
- المضرب الثاني : لديك نقود؟
- المضرب الرابع : ومن أين حصلت على هذه النقود؟
- كابرون : وكأني بكم لا تعلمون البتة! من ذلك الهباب الأسود اللعين الذي يعلق بأحشائكم مثلما يعلق بجلدكم .

المضرب الثالث : من حسن الحظ أنه يعلق بالجلد، هذا الهباب اللعين،
وأنه أسود ولولا ذلك لما لبست الأصفر(*) على
الإطلاق؟

(ضحكات باردة)

المضرب الأول : أجل، أجل الأصفر!
كابرون : الأصفر! بيد أني قد شاركت في إضرابكم.. في الأيام
الأولى...

المضرب الثاني : لماذا تدافع عن نفسك؟ لا أحد يقول لك شيئاً!

كابرون : كنت بحاجة إلى الطعام!

المضرب الرابع : ونحن؟

المضرب الثاني : لقد أسأت فهمنا! هذا كل ما في الأمر.

كابرون : إذاً، هيا نتناول كأساً، فتشروا لي...

المضرب الأول : نقول لك إننا لسنا عطشى

كابرون : ما دمت أنا الذي سأدفع!

المضرب الثالث : أولاً لا شيء عندي أقوله لك...

كابرون : هذا لا يمنع من تناول كأس!

المضرب الرابع : (منزعجاً) اللعنة! إننا نقول لك منذ ساعة إننا لسنا
عطشى!

كابرون : هل أفهم من ذلك أن الحانة تداينكم؟!

المضرب الثالث : أو تريد تفاصيل؟ إذاً فأنت لست خائناً فحسب، بل
جاسوساً أيضاً.

* يقصد أن كابرون يعمل، مما يؤدي إلى إحباط الإضراب. فلفظة أصفر تطلق في الفرنسية على الذين
يكسرون الإضراب.

- كابرون : جاسوس؟ أتراني أنعتك بالكسل؟
- المضرب الأول : أتتعلنا بالكسل؟
- كابرون : وبالتسول!
- المضرب الرابع : والله إنك لتستحق الضرب!
- المضرب الثاني : نعم، إنك تستحق!
- المضرب الثالث : ما دمت عطشان. فسوف نلقي بك في الحوض، فتشرب منه.
- كابرون : أتريدون أن تلقوا بي في الماء؟ أنا، البائس، تلقونني في الماء...
- المضرب الثاني : مع أصحابك من القطط النافقة، وجرذان المجاري!
- كابرون : (خائفاً) إنكم لا تخيفونني. لست وحدي، معي مسدس.
- المضرب الثالث : (مشدوها) معك مسدس.
- كابرون : أحيي به الذين ينظرون إلي شذراً، ويرفضون أن يشاركوني الشراب.
- (يخرج مسدسه. صمت)
- المضرب الأول : السافل! القذر!
- المضرب الثاني : مسدس!
- المضرب الرابع : حسنا، سنضربك!
- (يهجمون على كابرون الذي يطلق النار)

- المضرب الثالث : لقد أطلق الوغد!
(يسقط كابرون)
- المضرب الأول : بكعب الحذاء، على فمه، حطموا وجهه!
- المضرب الثاني : آه! أيها المعدم!
- المضرب الأول : حطموا وجهه!
- المضرب الثالث : لقد نعتنا بالمتسولين .
- المضرب الرابع : حطموا وجهه!
- المضرب الأول : دعه يتسول بدوره! (يمسكون برأسه فيطرقونه بالأرض .
بين كل صدمة وأخرى يزعم كابرون) من أجل العمال
المضربين .
- (ارتطام، صراخ)
- المضرب الرابع : اصمت، أيها الوغد!
- المضرب الثاني : من أجل نساتنا الجياع .
- (ارتطام، صراخ)
- المضرب الرابع : اصمت، أيها الوغد!
- (ارتطام، صراخ)
- المضرب الثالث : من أجل أطفالنا .
- (ارتطام، صراخ)
- المضرب الرابع : اصمت أيها الوغد!
- المضرب الأول : من أجل رفاقنا المضربين .

(ارتطام، صمت)

المضرب الرابع : أفهمت الآن؟

(يحضر رجلا أمن)

رجل الأمن الأول : ماذا تفعلون؟

المضرب الثاني : (مبهوتا)نحن؟

رجل الأمن الثاني : أجل، أنتم!

المضرب الرابع : نحاول أن نشرح لزميل لا يفهم بسرعة...

رجل الأمن الأول : لكنه ميت، هذا الرجل!

(يتناول صفارة ويصفّر)

المضرب الرابع : كلا، إنه ليس ميتا، إنه يتظاهر بعدم السماع لأنه لا يريد أن يفهم.

(صغير جديد)

رجل الأمن الثاني : لا أحد يتحرك وإلا أطلقت النار!

المضرب الرابع : أتراني مخمورا بحيث أرى الأشياء مضاعفة، إنها مسدسان!

الخمار : (وقد خرج) أهو شجار آخر. (يقترّب ويخاطب رجلي الأمن) ما عاد لديهم نقود، ومع ذلك يسكرون! ينبغي أن نعلم كيف!

المضرب الرابع : (لأحد رجلي الأمن) كنا نفهمه أن ذلك من أجل نسائنا وأطفالنا.

(يحضر رئيس الأمن مع رجل أمن ثالث).

رئيس الأمن : ما هذا؟

رجل الأمن الأول : لقد مات الرجل ، أيها الرئيس!

المضرب الرابع : لا يمكن أن يكون قد مات ، إذ أننا كنا نتحدث فقط!

رئيس الأمن : (للمضربين) ارفعوا أيديكم.

المضرب الرابع : غدا نرفع أيدينا لأنني هذا المساء سأنام . . .

(يتمدد على الأرض)

رجل الأمن الأول : (يركله) قم! وإلا حطمت عظامك!

رئيس الأمن : اطلبوا سيارة السجن ، وانقلوا السكارى الأربعة إلى

المخفر. (صغير) والآخر إلى المشرحة.

المضرب الأول : لماذا ترسلونه إلى المشرحة؟ أتراه متعباً من جراء العمل؟

رجل الأمن الثاني والثالث

: (وقد راحا يحركان المضرب الرابع) ألن تنهض؟

المضرب الرابع : (وقد أنهض) ما هذه الضوضاء! (يدندن) إنها المعركة

الفاصلة، وغداً . .

رجل الأمن الأول : ها هو يغني الآن!

المضرب الثاني : (لرجل الأمن) لا يمكنكني أن أذهب وأحضر كأس من

على البرميل؟

رجل الأمن الثاني : لا تتحرك وإلا أطلقت النار!

دولاقيل : (وقد حضر) هل هناك شجار؟

رئيس الأمن : شجار تحول إلى مأساة! وأربعتهم تفوح منهم راحة الروم إلى مسافة عشرين متراً.

(يسمع صفير)

رجل الأمن الأول : هيا، تحركوا! لقد حضرت السيارة!

المضرب الأول : سحقاً لهذه الحياة!

المضرب الثاني : أجل سحقاً لها!

المضرب الرابع : ثم لو أنهم يدعوننا ننام.

(يخرج المضربون الثلاثة الأوائل ، وقد رفعوا أيديهم فوق رؤوسهم ، مع رجل الأمن الثاني ، بينما يستند الرابع على رجل الأمن الأول).

دولاقيل : إني أعرفه! هو أحد عمالي.

رئيس الأمن : كيف تعرفت عليه؟ إنه مشوه جداً.

دولاقيل : (متكلماً بسرعة) هذا مسدسه!

رئيس الأمن : أكنت تعلم أن معه مسدساً؟

دولاقيل : لقد أخبرني بذلك وما كنت أريده أن يغادر السفينة...

رئيس الأمن : عليك أن تحضر إليّ غداً لأخذ أقوالك. (للخيار) وأنت أيضاً.

الخيار : أنا لم أر شيئاً.

دولاقيل : عامل جيد، مجد، جاد، زوجة، ثلاثة أطفال...

رجل الأمن الثالث : (مخاطبا الرئيس) لا داعي لانتظار السيارة . يمكنني أن أسحبه من قدميه ، فالمشرحة على بعد عشرين مترا . . .

رئيس الأمن : هيا افعل ، واحضر معك أوراقه الشخصية ، إن كان لديه أوراق ! (يسحب رجل الأمن الثالث كابرون على الأرض ويخرج)

سأكون بانتظاركما غدا كما اتفقنا ، تصبحان على خير.

(يخرج من الناحية الأخرى)

الخمار : مع هذا الإضراب الطويل كان ذلك متوقعا . لو أنكم تقللون من الشراب الذي تعطونهم إياه إلى المنازل . . .

دولافيل : ماذا؟

الخمار : نعم ، من جراء هذا الإضراب اللعين ، فإن حائتي خاوية ! الذين يعملون يشربون مجانا ، عندكم ، والذين لا يعملون يشربون مجانا ، على مرأى مني وتحت أنفي .

(يشير إلى البرميل) . الشرطة تعلم ذلك ولا تحرك ساكنا . وبعد يجب أن يعيش كل الناس ! ضع نفسك مكاني لقد دفعت ثمن حائتي (صغير سفينة طويل) ومع ذلك تقلع السفن ! إن القيام بإضراب يستحق العناء ، فقط من أجل الإضرار بالمساكين !

دولافيل : نعم . . . نعم . . . وهذه الحادثة سيكون لها صدى كبير غدا ! أنا ذاهب لأتصل . تصبح على خير.

الخمار

: تصبح على خير (إنه قريب من البراميل) وما هو
كأسهم. أوغاد. (ينادي) مرجريت! احضري لي إناء!
إناء كبيراً! هلمي. ولا تحدثي صوتاً (صغير سفينة)

ستار

القسم الثاني

المشهد الثامن

(على منصة مرتفعة، مزدانة بالأعلام الحمراء، يخطب جول دوران، إلى جانبه الشقيقان بوايه).

جول : رفاقي النقايبين، ليلة أمس، عند مدخل حانة، تضارب بعض السكارى، وقد لقي عامل مصرعه (همهمات)، أجل عامل. لقد كان خائناً، أعلم ذلك. وغداراً، أعلم ذلك. رفيقاً ضالاً، حقاً! لكنه، على كل حال، رفيقنا في البؤس. لقد صوت على الإضراب وكان يعمل، أعلم ذلك. إنه كان جباناً. أكان حرياً أن يكون كذلك لولا الخمر، والعوز، ومكر أرباب العمل؟ في كافة الأحوال ما كان يحق لأحد أن يحاسبه على خيائته. ثم ألم نعد باحترام حرية العمل؟ ماذا كنا نريد؟ الإقناع؟ أو الضرب؟ لذا أعلن أنه من المستحيل اليوم أن نواصل حركة تحرير إنسانية ونحن نجر خلفنا جثة أخ لنا. لقد انتهى الإضراب إذاً. من كل مطالبنا العادلة لن يلبي أي واحد، سنظل أشقياء كما كنا من قبل، إضافة إلى الديون التي سيتوجب علينا دفعها. سيستأنف العمل غداً عند الفجر. لكن وسط الاختناق والفحم، أستحلفكم بالله

أن تحتفظوا بذكرى اتحادنا ، لأن الأيام غدت قريبة!
عندما تتشابك أيدي عمال العالم قاطبة ، كلهم ، في آن
واحد وأمام ذلك الثبات الرهيب ستفكك الرابطة
العاجزة لأصحاب الشركات . أيها الرفاق ، إننا ونحن
نفكر في هذه المعركة الفاصلة سنعود غداً إلى الهباب
شاذلي الرؤوس . بلا يأس ، لأنه لا يحق لمن يناضل في
سبيل الحرية أن ييأس . سنعود جميعاً ، بلا دموع ، لكن
ونحن نشد قبضتنا ، دعونا ننشد قبل أن ننصرف النشيد
الذي سيوصلنا يوماً إلى الفوز!

(ينفض الشقيقان بواييه ، ينشد المضربون نشيد
الانترناسيونال . تنطفئ الأنوار ، لتضاء تحت
المنصة . . .)

المشهد التاسع

(. . . غرفة قاضي التحقيق . القاضي ورئيس الأمن)

رئيس الأمن : كان الأنفار الأربعة قد مضى عليهم يومان بلا طعام، ومع ذلك فقد تجرعوا لتوهم برميلا من الروم . وفي المخفر راحوا يتمتمون بكلام مبهم ، وقد اضطرت في مكثبي إلى إفاقة أحدهم وكان قد نام أثناء استجوابي له .

قاضي التحقيق : هل أربعتهم من أصحاب السوابق؟

رئيس الأمن : ثلاثة، اثنان منهم يمكن ترحيلهما، أما الضحية فهو أيضا صاحب سوابق، وكان قد عمل يومين وليلتين، وفي حالة سكر شديد هو أيضا . هل شعر بالخوف؟ محتمل من سوء حظه أنه كان مسلحاً . أمام المسدس فإن الآخرين بدلا من أن يهربوا، انهالوا عليه ضربا . . .

القاضي : ضرب أدى إلى الوفاة؟

الرئيس : وإن جاز لي القول، من غير قصد، إننا حيال شجار سكارى تقليدي، إلا أنه صباح هذا اليوم جاءني شخص يدعى سيفان فأخبرني أنه قد تم التصويت، في نقابة عمال الفحم منذ ثلاثة أسابيع، وبناء على اقتراح قدمه دوران، على قتل كابرون، برفع الأيدي، علناً، في قاعة فرانكلين . لا شيء غير هذا . وأن فريقا من الفتوات، وسكيرينا الأربعة قد كلفوا بالمهمة . لقد طردته . ولم

يلح . إن سيفان هذا جاسوس للشركة ، أبله كالخمار ،
وقد أراد أن يظهر إخلاصه !

(يدخل شرطي فيناول ورقة مطوية لقاضي التحقيق) .

القاضي : (للشرطي) أدخل هذين السيدين . (لرئيس) إن
السيدين بوجنهارت وروسيل يطلبان الإذن بالمقابلة !

الرئيس : حسناً ، يا سيدي قاضي التحقيق ، إني ذاهب .

القاضي : ماذا يريدان ؟ إن الميثة المأساوية للسيد دي سيمنز في
لندن ، والتي مضى عليها أكثر من شهر ، ليست من
شأننا . . . من حسن الحظ ! أظنك تدرك الأمر . طلب
أو عدم طلب تشريح الجثة !

(بأدب جم وبقبعتين مستديرتين عاليتين يدخل الرجلان
فيحييان رئيس الأمن الذي يهم بالخروج)

بوجنهارت : (ينحني) سيدي قاضي التحقيق .

القاضي : أقدم إليك رئيس الأمن .

روسيل : نعم المصادفة . سيمكنك ، يا سيدي رئيس الأمن ، أن
تؤكد لقاضي التحقيق المعلومات التي نحملها له .

أوليفيه : إن عاملاً من عمال مؤسساتي ، قد قتل أول أمس على
رصيف الشحن !

القاضي : إنه يدعى كابرون ، وقد توفي متأثراً بجراحه . . .

روسيل : في كمين مدبر .

(صمت)

القاضي : مدبر؟ (بعد نظرة متبادلة مع رئيس الأمن) إني أستمع إليكما، أيها السيدان.

أوليفيه : إني برفقة سكرتيرنا العام الذي، بعد تحقيق فوري، اكتشف الأسباب المريبة لهذه القصة المحزنة. . .

روسيل : وهي ليست بالعراك المألوف من أجل السرقة، بل جريمة مدبرة تم تنفيذها بأمر. إن موت كابرون المسكين قد قرر وصوت عليه، لثلاثة أسابيع خلت، في قاعة فرنكلين، خلال اجتماع لنقابة عمال الفحم المضربين.

رئيس الأمن : (وقد فقد أعصابه) إنك تمزح!

أوليفيه : ليس من عادتي، يا سيدي رئيس الأمن، أن أزعج نفسي وأزعج الآخرين كي أمزح.

روسيل : بعض المضربين اقترحوا أول الأمر أن يتم تلقين كابرون درسا قاسيا. فأجاب دوران أمام سبعمئة شاهد «التأديب لن يفيد في شيء. يجب قتلته هو وكل من يعمل».

الرئيس : لقد حضرت بنفسني جميع اجتماعات النقابة. . .

أوليفيه : أولا يشير أي من تقاريرك إلى هذه الدعوة إلى القتل؟

روسيل : كل معلوماتنا متوافقة وهناك ثلاثون شاهداً ينتظرون الآن أمام غرفة السيد القاضي. بل إن النقابة قد اختارت مجموعة من الفتوات لتنفيذ هذه المهمة.

الرئيس : كلا ثم كلا ، هذه المجموعات تم تشكيلها بالاتفاق مع السيد العمدة ، مقابل احترام حرية العمل ، من أجل جمع التبرعات في المدينة .

أوليفيه : مرة أخرى ، يا سيدي رئيس الأمن ، لنكن جادين . هل كانوا بحاجة إلى «فتوات» من أجل جمع التبرعات؟

روسيل : . . . من أجل استعطاف الناس؟ هذا قليل الاحتمال . إن أطفالا شاحين كانوا يستدرون بشكل أفضل عطف مواطنينا ، العاطفين جدا أحيانا .

القاضي : (لرئيس الأمن) ألا ترى أن فرق الفتوات تلك قد حاولت بشكل متقطع أن تثير الشغب في الأماكن التي كان العمل مستمرا فيها؟

الرئيس : يعلم السيد روسيل ، كما أعلم ، أن المضربين قد احترموا حرية العمل . ثم إني تلقيت من الحكومة أوامر صريحة قام نائب العمدة . . .

أوليفيه : دعني أشكك في صدق أوامر حكومة يترأسها السيد أريستيد بريان الذي كان ، في بداية حياته ، الداعي للإضراب الشامل والانتفاضة العمالية .

الرئيس : إذاً ، فإن اللقاء والشجار والتضارب – الذي ما كان ليؤدي إلى الوفاة – كان متعمداً من قبل هؤلاء السكارى الأربعة؟

روسيل : ألا يثبت حمل كابرون لمسدس أنه كان يشعر أنه مهدد ، وبالتالي ، أن الحادث كان «متعمداً»؟

أوليفيه : لم أستمع إلى الشهود الذين أخبروا سكرتيرنا العام، لكن
أؤكد منذ الآن أن الحسنى أو التغاضى لن يكون مقبولا
إزاء دوران، سكرتير نقابة هدفها إفلاس المرفأ.

الرئيس : أفهم من كلامك أن شهودك سيحاولون أن يجعلونا
نصدق أن دوران هذا، الذي أعرفه، أجل الذي أعرفه
كل المعرفة . . .

روسيل : وأنا أيضا!

الرئيس : . . . كان من السذاجة بحيث دعا سبعةائة شخص إلى
التصويت برفع الأيدي في مكان عام، وبحضور رئيس
الأمن، على اغتيال رجل؟

روسيل : لا يقول شهودنا إنك كنت حاضرا ساعة التصويت. ألم
تتغيب أحيانا . .

الرئيس : لدي داخل النقابة خمسة مرشدين لا يعرفون بعضهم
بعضا، ولا أحد منهم أخطرنى؟ إن دوران رجل هادىء،
شارب ماء، عصامي عاطفي . . .

روسيل : أليس أستاذه الروحي هو رافاشول(*)؟

الرئيس : لن تجعلني أعتقد أبدا أن دوران قال «يجب قتل كابرون»
أو فكر في ذلك.

روسيل : سيكشف التحقيق جملة من الأشياء التي يبدو أن رئيس
الأمن يجهلها. يقولون، ويعيدون في الأوساط القريبة من
دوران وكابرون إنه، إن كان كابرون قد اختير من بين

* رافاشول : (١٨٥٩ - ١٨٩٢) فوضوي فرنسي انتهى به الأمر إلى المقصلة.

آخرين ليقتل في سبيل إرهاب العمال المخلصين لشركتنا،
فهذا لأن موت كابرون، فوق ذلك، يسوي الأوضاع
الداخلية لحياة السيد دوران. عندما أصررت على أن أنقل
بنفسي تعازي شركتنا إلى أرملة الضحية المسكين كنت
أحمل إليها مساعدة فورية: ألف فرنك منحها رئيسنا
وخمسائة فرنك قدمها تجار المدينة. أقول إن أرملة كابرون
التي استقبلتني واقفة – علما أنه كان هناك كرسيان في
منزلها البائس – رفضت ذلك المال الذي كنت أحمله لها.
أعترف أن الدهشة قد عقدت لساني، ومع ذلك كانت
هناك مفاجأة أخرى: فهذه الأرملة الغريبة كانت ترفض
حتى أن تتقدم بشكوى ضد قاتلي زوجها!

لا تجهل، يا سيدي رئيس الأمن، إن كابرون ودوران كانا
جارين. لقد كان دوران، وهو يعيش منفصلا عن
زوجته ريثما تنتهي إجراءات الطلاق، يرى من الصباح
إلى المساء أرملة كابرون المستقبل، بينما عاملنا المخلص
يعمل، من جهته، من الصباح إلى المساء، وأحيانا من
المساء إلى الصباح، لكسب قوت عياله. وجملة القول
إنهم لم يقتلوا كاسر إضراب فحسب، بل أيضا نوعا آخر
من كاسري الإضراب، أي زوجا مزعجا. كل ذلك،
ياسيدي القاضي. مجرد افتراضات وإشاعات مشوشة.
وتحقيقك سيكشف لنا الحقيقة حتما.

الرئيس : سيدي القاضي، هل تريدني في شيء آخر؟

القاضي : ليس في الوقت الحاضر.

الرئيس : (محميا) طاب يومكما أيها السيدان.

الآخران

: (ينهضان) طاب يومك ، أيها السيد رئيس الأمن .

(يخرج رئيس الأمن)

أوليفيه

: إني آسف من أجل رئيس الأمن لأنه أغفل أن يشير في حينها إلى هذه الدعوة للقتل . وهو خطأ مهني جسيم . فليتدبر أمره مع نائب الجمهورية الذي سألقاه غداً . لكنني لن أدع ، في سبيل التستر على أخطاء رئيس الأمن ، جريمة اجتماعية تتحول إلى مجرد مشاجرة بين سكارى .

روسيل

: إن أحد رؤساء الورديات موجود هنا ، مع بقية شهودنا الذين ينتظرون . . .

أوليفيه

: سيدي رئيس التحقيق ، كنت لأسف أن أراك تضطلع بالمسئولية الكبيرة لقضية ستتكلم عنها غداً كل الصحافة الفرنسية التي سيتم إبلاغها من قبلنا ، لولا علمي بشعورك بالواجب ، ووطنيتك ، ونفورك من كافة أعمال العنف النقابية والفوضوية التي يجب قمعها . . .

روسيل

: . . . إن كان لا يزال ثمة وقت ! وربما ، للأسف ، ما يكاد يكفي من الوقت !

القاضي

: هل لي أن أسألك كيف ، تتقبل السيدة دي سيمنز الفاجعة الأليمة التي حلت بها بهذا الشكل المفاجيء ؟

أوليفيه

: اعتادت شقيقتي مذ كانت يافعة على الرضوخ لمشئمة الله ، إنها تسعى إلى أن تجد في حزنها أسباباً تدعوها للأمل . فإله لا يتلينا أبداً بالنوائب عبثاً .

(تحيات وانصراف)

القاضي

: (يروح ويحييء، في مكتبه، ثم) بثس الأمر! بثس الأمر!
وبثس الأمر! (يرن الجرس، يدخل شرطي) قل للسيد
دولافيل أن يدخل.

(يجلس. يدخل دولافيل برفقة جمع غفير من العمال في
ثياب جديدة، ويبقون في الظلام).

القاضي

: (وهو جالس) دولافيل؟

دولافيل

: (واقفاً) رئيس عمال. إليك أسماء الواحد والثلاثين
عاملاً، كلهم يؤكدون أن الاغتيال المدبر قد صوت عليه
برفع الأيدي. وهاك الرسالة التي يوجهونها إليك من
تلقاء أنفسهم، والتي يقرون فيها بالوقائع التي تدين
جول دوران، دون إغفال الشقيقين بواييه، وهما أيضاً
من رؤساء النقابة. فوكيه، اقترب وقل ما تعرفه. . .

فوكيه

: (ينخرج من الظلام) فوكيه، مراقب عمال. كنت قد
أخطرت كابرون بقرار قتله. ثم أعرته مسدسي ليدافع به
عن نفسه.

دولافيل

: أرجنتان، اقترب. ماذا تعرف؟

أورجنتان

: (ينخرج من الظلمة) أدعى أرجنتان وأنا عامل فحم. لقد
قالت أرملة كابرون المستقبلية أمامي للضحية المستقبلية
«سأحطم وجهك، وإن دافعت عن نفسك رميتك في
الماء». وكانت تحمل طفلاً بين ذراعيها.

دولافيل

: ليفيك، اقترب وقل ما تعرف.

ليفيك : أدعى ليفيك وأنا عامل فحم . كنت موجودا في الاجتماع الذي مضى عليه ثلاثة أسابيع . لقد قال دوران في معرض حديثه عن الضحية المستقبلية والبائسة ، وذلك أمام سبعمائة واثنى عشر عاملا « لا أريد أن يضرب كابرون أريده أن يقتل » ! .

دولاقيل : دوران ، اقرب . . . ماذا تعرف ؟

موران : (يخرج من الظلمة) يجب أن يقتل ، أن يصرع

عامل آخر : (وقد خرج من الظلمة) بل إنه أضاف : « لو عمل والدي لقلت عنه نفس الشيء : ينبغي أن يقتل » كان يتكلم عن والده . . .

القاضي : والسبعمائة واثنى عشر عاملا صوتوا على قتله .

موران : جميعهم !

العامل الآخر : ما عدا واحداً . أحد رجالنا ، وهو أصم ، فما كان يسمع ما يقال .

(يتحول الضوء إلى . . .)

المشهد العاشر

(النهار، فناء عائلة دوران . صبي صغير يستمع إلى بحار يغني . نسمع النغمات الأخيرة)

البحار : ... أجل ، في بلاد الروم والأناناس !

الصبي : ... هل تنقلت في كل بلاد الأرض ؟

البحار : تقريبا .

الصبي : حتى في بلاد الجانب الآخر التي هي الآن في الليل ؟ فأنا
لدي كرة أرضية ، صغيرة لكنها تدور . . .

(ضوضاء)

البحار : اصغ إليهما ! إنهما من جنس واحد ولا يقدران على
التفاهم .

الصبي : من هما ؟

البحار : قردي وبيغائي .

الصبي : قرد وبيغاء من جنس واحد ؟

البحار : وهو جنسنا أيضا ! إنهما يتنفسان مثلنا . إنهما مضطران أن
يأكلا مثلنا ، كلاهما ولدا في أحد الأيام مثلنا ، ومثلنا ذات
يوم سيموتان ، إن رجلا أسود من هناك هو الذي قال لي
ذلك : «إنهما من جنس الذين كتب عليهم الموت» .

الصبي : وماذا بعد ؟

البحار

: يجب ألا يشعر المرء بالخوف . لو تدري ، عندما يطلع
النهار، وإذ أنت وحيد في البحر، مع الشمس الصاعدة
وحدها أيضا في السماء، كما أنت وحيد على سطح
السفينة، يحيط بك الأفق، أقول إنك، دون أن تفقه
شيئا، تشعر بالسعادة، فتغني، اسمع . . .

(يبدأ البحار بالغناء وفي الحال يظهر مطبخ أسرة دوران .
جوليا تعد المائدة، السيدة كابرون موجودة وقد ارتدت
السواد)

السيدة كابرون : ماذا يحل بيناتي الثلاث إن توفيت بدوري؟ هل كان
زوجي يهتم بذلك؟ لا أظن، لكن لا أحد يدري أبداً،
فهو في كافة الأحوال سيكون موجوداً هنا. أنت لم تعرفي
بؤس مؤسسة المساعدة الاجتماعية، فهي التي ربّنتني، لما
كنت صغيرة كان لدي مرضعة جيدة، وهي لا تزال حية
ترزق. لكن حالما وضعت في المزارع! كنا نعامل أقل من
الحيوانات : فاستبدلنا لا يكلف شيئاً، ذات مرة تجرأت
على الشكوى للمفتش، كنت وقتها في الرابعة عشرة من
عمري. «فوق ذلك أنت لست راضية! لولانا ملت
جوعاً، وها أنت تشكين!

جوليا : طالما أنا هنا فلن يذهب أولادك أبداً إلى مؤسسة المساعدة
الاجتماعية .

السيدة كابرون : وهل يحق لك الاعتراض؟ إنهم يقرون دائماً قوانين تأتي
مخالفة لما يدعون أنهم يريدونه .

جوليا : من رأي جول أن نطلب من النقابة أن تتبنى بناتك الثلاث، إن كنت موافقة، وأن يعين وصي عليهن.

السيدة كابرون : آخذ نقود النقابة؟ كلا، إنها جد فقيرة. وطالما أستطيع العمل...

جوليا : وعندك ثلاث بنات في البيت؟

السيدة كابرون : بناتي المسكينات اللواتي سيشار إليهن باستنكار في المدرسة، لأن والدهن مات خائفا. حالما أحصل على عمل فسوف أنضم إلى النقابة، وإن لم تكن النقابة موجودة، فسوف أؤسسها. سيساعدني السيد دوران.

جوليا : عندما يستعيد عزيمته... لكن متى؟

السيدة كابرون : لقد أخطأ في إيقاف الإضراب. هل الذنب ذنبه إن كان زوجي يعمل؟

جوليا : هذا ما يعتقده، إنه يلوم نفسه لأنه لم يعرف كيف يقنعه. وهو طوال الوقت يتهم نفسه كي يجد عذرا للآخرين.

السيدة كابرون : من تراه المذنب إذا كان زوجي قد هدد رفاقه بمسدس؟

من أعطاه ذلك المسدس؟ مادام ليس لدينا واحد. لقد أتوني من الشركة ومعهم أوراق للتوقيع، ونقود يشترون بها توقيعي. ما كانوا يريدونه أن أتقدم بشكوى. فأجبت إني أريد أن أتقدم بشكوى إنما ضد الشركة التي اعتبرها مسئولة عن وفاة زوجي.

جوليا : هل يعلم جول ذلك؟

- السيدة كابرون : من جهتي ، لم أخبره بعد . أين هو؟
- جوليا : في قاعة فرنكلين . . إنه آت لتناول طعام الغداء ، فيأكل بضع حبات من البطاطا . . .
- (يدخل جول ، عناق صامت . تحية خرساء من السيدة كابرون)
- جول : أين والدي ؟
- جوليا : يبحث عن عمل .
- (يهز جول كتفيه)
- جول : وأمي ؟
- جوليا : ذهبت إلى المدينة لابسة قبعتها .
- جول : لابسة قبعتها؟ (صمت) يحزنني أن أراك يا سيدة كابرون . ألا يمكن للمجتمع الجديد الذي أحلم به أن يبرز إلا وسط رذاذ من الدماء؟ كيف يمكن أن نثق في مستقبل مجتمع ليس بوسعه أن يولد إلا وسط الجريمة والقتل؟ كان لزوجك الحق في العمل . صحيح أنه كان مخطئا ، لكن ذلك كان من حقه أيضا . وكان يتعين علينا أن نحترم هذا الحق . لن يتحرر المرء من شقائه بسعيه إلى شقاء الآخرين .
- جوليا : متى سعييت إلى شقاء الآخرين؟ أنت وحدك تتهم نفسك! كل الرفاق يؤيدونك . يوم طلبت استئناف العمل ، كان لا يزال هناك أربعمئة عامل حولك .

ولسوف يستأنفون النضال عندما تقرره . شكّل صندوق تعاون ، اتفق مسبقا مع نقابات المرافئ الأخرى هذا الشتاء ، بمساعدة باريس .

جول

: لم تدرك باريس شيئا .

جوليا

: لكن ، يا جول ، النساء يدركن ذلك ، كي نجعل المنزل نظيفا فلننا أولاً نوسخ . وعندما نغسل الأطباق ، فإن الطنجرة لا تستير فينا رغبة الطعام .

جول

: أو تعتقدين أن أطباقك لن تكون أكثر نظافة لو أن الماء كان أكثر نقاوة؟ يقولون لك في باريس : الغاية تبرر الوسيلة ! ماذا يعني هذا؟ أولا لو فشلنا في تحقيق الغاية لبقينا نتعلل بالأعذار في خزي ووسائلنا على ظهرنا . لكن هناك ماهو أخطر بكثير فلشد ما أخشى ألا تكون الغاية سوى ترجمة للوسائل ، تجسيد الوسائل التي نحاول بلوغها عن طريقها . الكذب يبقى كذبا ، حتى في جو عام من الحقيقة . ولئن كدسنا الكثير من الأكاذيب في سبيل بلوغ هذه الحقيقة ، فإننا في نهاية الدرب سنصطدم بكذبة هائلة ! نعم ، إن هذه الغاية التي في كافة الأحوال ، ربما لن يصل إليها أحد أبداً مستشه في نهاية المطاف كل الوسائل المستخدمة يوما بيوم لبلوغها ، في واقع الأمر لعله ليس هناك من غاية ، لعله ليس هناك سوى وسائل . وبالتالي فلتكن نظيفة !

جوليا : نعم يا جول . يجب أن يكون النضال متابعاً
باستمرار، كما تفعل أنت . كم مرة قلت لي إنه لجبن أن
ينتظر المرء ، وقد عقد يديه على صدره ، المستقبل معولاً
على الغد والتطور! يتحدث البعض عن مسيرة البشرية ،
لكن البشر هم الذين يسيرون ، عجباً أترغب أن تنام الآن
على أمل أن تستيقظ على عدالة المستقبل وقد تكبدت
السماء ، كما الشمس عناء الشروق أثناء نومك؟

جول : أنا متأكد أنك محقة ، يا جوليا . وأن مستقبلنا ينبغي
علينا أن نعيشه في اللحظة الراهنة . بيد أني جد مكتئب
يا سيدة كابرون .

جوليا : (وقد غيرت لهجتها فجأة) ما قلته لتوي لا يمنع يا جول ،
أني أحبذ أن تأخذ قسطاً من الراحة .

جول : من الراحة؟ أنا لست مريضاً! وحتى لو كنت
مريضاً . . .

جوليا : ستحدثك والدتك في هذا الأمر . . .

جول : ماذا تقولين؟

جوليا : وحتى إن كان ذلك قد يحل مشكلة بنات السيدة
كابرون . . .

جول : (للسيدة كابرون) مشكلة بناتك؟ كيف؟

السيدة كابرون : لا علم لي بالأمر .

جوليا : مستشرح لك والدتك .

(يدخل الأب وعلى رأسه كاسكيت)

- الأب : مرحبا
- (معانقات)
- جوليا : ما وراءك يا والدي؟
- الأب : كل أولئك الرجال الذين كنت أتهيب منهم لأنهم أغنياء،
راحوا يكلمونني، مع ذلك برقة، لكنهم خنازير!
أتسمعين؟ كلهم خنازير!
- جوليا : هدىء من روعك، يا والدي.
- الأب : (لجول) أين أمك؟
- جوليا : خرجت بعدك بقليل.
- الأب : لكوني والدك ما عاد يحق لي أن أعمل!
- السيدة كابرون : وهل تنسحب من المعركة، يا سيد دوران؟
- الأب : (لجول) تعلم أنني أوافق على ما تفعل، لكن عندما
يرفضون أن يشغلوني، أتراهم يعلمون أنني أوافق على
ما تفعل؟ وهبني اعتقدت أنك مخطيء، وأنه بسبب
السياسة ما عاد يكلم أحدنا الآخر، فهم أحرار، في أن
يحرمونني من حقي في العمل لأنني والدك. أينما ذهبت،
عندما أذكر اسمي، يسألونني : «والد الفوضوي». إنهم
خنازير! وهذا هو الخطير في الأمر، إنهم خنازير!
- جوليا : ليكن يا والدي، ستستريح من العمل. . .
- الأب : هل أم جول هي التي أوحى إليك بهذه الفكرة؟

جوليا : يمكنني أن أبقى في العمل ثلاثة أشهر أخرى أو أربعة . . . إنهم . لا يعرفونني . . . سنذهب لصيد القواقع والسماك . وفي الخريف تصنع النيذ . ستساعد أصدقاءك ، وإذ يمضي الوقت . . . استرح إلى حين زواجنا . . .

جول : مع دعوى طلاقي التي تؤجل باستمرار!
السيدة كابرون : (لجوليا) لن تكونا أول من يغني أثناء التعميد قبل أن يغني ليلة الزفاف! (*)

(تدخل الأم ، لابسة ، مشغولة ، مهمومة)

الأب : (بلطافة) أين كنت؟

الأم : (بعزم) فعلت ما يجب عليّ فعله .

جول : ماذا فعلت؟

الأم : لا تقدر أن نستمر في العيش على هذا المنوال ! إني قادمة من صندوق التوفير حيث قمت بسحب دفترنا . (تخرج نقودا من حقيبة يدها والدفتر الأزرق) هاك تسعمائة فرنك بالتمام والكمال ! ما كنت أتكلم عنها ، وقد مضى عليّ ثلاثون عاما وأنا أدخر تحسبا لليوم الذي ستقع فيه الكارثة الحقيقية .

وها قد أزف وقت سحب مدخراتنا ، أمام أربعتنا ، ستة أشهر هادئة . (للأب) منذ خلقت لم تسترح أبداً إلا أثناء

* أي من تقوم بينهما علاقات زوجية قبل الزواج .

مرضك القصير وحيث ساعدنا جول . الآن ،
وبمداخراتنا ، ستساعد نفسك ، كما تساعد جول
بدورك . سنذهب أربعتنا إلى القرية حتى الربيع . إن
ابن العم بول لديه مكان فسيح في مزرعته بغومر فيل .

جوليا

: وإن وافقت ، يا جول ، فقد اصطحب بنات السيدة
كابرون ، التي يمكنها أن تأتي لزيارتهم يوم الأحد .

الأم

: (تصغي ، تنظر ، لا تجيب ، ثم تستطرد) سأحلب بقرة
ابن العم بول ، وسندفع له أجر الإقامة ، وأتم أيها
الرجال ، ستشذبون له أشجار السياج . وحتى في
الشتاء . هناك دائما بعض العمل في الحديقة . . . ريثما
ينسانا الآخرون !

جول

: لست ضد الفكرة . اذهبا كلاكما أولا . وحتى جوليا
تستطيع أن ترافقكما . أما أنا فأحضر إليكم يوم
الأحد . . . على الدراجة لن يستغرق المشوار سوى
ساعة . . .

الأم

: على الدراجة !! وتريديني أن أدعك وحدك هنا ! كلا ثم
كلا ! أربعتنا معاً ، وغدا ! هاهي النقود ! فقط ريثما يولد
ابنك يا جول !

جوليا

: ستة أشهر ، هذا كثير ربما ، لنجعلها في البدء خمسة عشر
يوماً ، لو تطلب من الأخوين بوايه أن يحلا مكانك في
النقابة لخمس عشرة يوماً فقط . إنها جادان . . .

السيدة كابرون : ينبغي لك أن تقبل يا سيد دوران .

جول : أأذهب وأستروح النسيم العليل بينما يَخْتَنقُ الرفاق وسط
هباب الفحم؟ ما عادي سوى تلك الراحة وهي أن
أختنق معهم!

(يدخل شرطيان على رأسيهما قبعتان مستديرتان)

الشرطي الأول : جول دوران؟

الأب : من تكونان حتى تدخل بلا استئذان؟

الشرطي الثاني : ... عامل فحم، وسكرتير نقابة مقرها قاعة
فرانكلين...

جول : أنا هو!

الشرطي الأول : نعرفك!

جول : وتخطبانني بصيغة المفرد؟(*)

الشرطي الثاني : سنخاطبك بصيغة الجمع. هات يديك، يا سيدي.

جول : يداي. (ينظر إليهما، يضعان الأصفاد في يديه) ما هذا
المزاح؟

جوليا : (وقد فهمت) لكن من أنتما؟

الشرطي الأول : شرطة!

الشرطي الثاني : مذكرة توقيف.

الأم : الشرطة في منزلنا؟

جول : هذا التوقيف غير قانوني. باسم قانون عام ١٨٨٢
أحتج...

* أي برفع الكلفة.

- الشرطي الأول : والاغتيالات ، ماذا تقول عنها؟
- جوليا : أي اغتيالات .
- الأم : لقد أخطأتما المنزل .
- الأب : نعم لقد غلطتما بالعنوان ، أيها السيدان .
- جول : وأرجوكم أن تنزعا من يدي هذا الشيء الذي يزعجني كثيراً .
- الشرطي الثاني : سترثر في الخارج . هيا تحرك ! إننا على عجلة من أمرنا .
- جوليا : (بشراسة) لكن ما ذلك الاغتيال الذي تتحدثان عنه؟
- الشرطي الأول : أليست هذه هي الخلية ، يا هل ترى؟
- الشرطي الثاني : اغلقي فمك أيتها الخلية ، أما عن التفاصيل فهي في المحكمة!
- الأم : هل سيأخذانك إلى المحكمة؟
- السيدة كابرون : تدخلان هنا بلا مبرر، كالكارثة، كالطوفان، كالحرىق . . .
- الشرطي الأول : اغتيال كابرون؟ ألم تسمعي به؟
- السيدة كابرون : اغتيال زوجي؟
- الشرطي الثاني : زوجك؟
- السيدة كابرون : إني أرملة كابرون .
- الشرطي الأول : وأنت هنا!
- الشرطي الثاني : لقد صدقوا حين قالوا إنها كانا على علاقة!!
- جوليا : أمنعكما منعاً باتاً .
- الشرطي الأول : مم تمنعنا هذه العاهرة؟

- جول : آمركما أن تسحبا قولكها!
- الشرطي الأول : ماذا تقول؟ لم أسمع جيداً. هيا كرر ما قلت
(يركله)
- الأم : أو تجرؤ على ضرب ابني أمامي؟
- الأب : إلى أين تأخذانه؟
- الشرطي الأول : إلى فندق شارع لوسسيور. . .
- الشرطي الثاني : حيث الماء الجاري والتدفئة الشتوية، فالجمهورية رفيقة
جداً مع السفلة.
- الأم : ابنتا يساق إلى السجن يا أبا جول! .
- الأب : لا أظنكما ستسيران به في الشوارع والأصفاد في يديه؟
- الشرطي الأول : إذا أسرعى وأحضري له قفازاً.
- الأم : يا أبا جول، هات بسرعة عربة. النقود موجودة. نقودنا
البائسة، رباه.
- (تهوي على الأرض وهي تجهش بالبكاء).
- جول : (لجوليا) إني ضحية. أخطري بواييه!
- الشرطي الأول : اسمع، إنه يتكلم عن بواييه.
- الشرطي الثاني : أيهما؟
- الشرطي الأول : يمكنه أن يختار في شارع لوسسيور. إنها هناك كليهما،
لا ينتظران سوى تشريفك.
- (يضحكان)

جول : ساعيني، يا أمي - أبي، هذا الخطأ الشنيع . . .
جوليا . . .

الأم : وأسرتنا التي تربت على الفضائل .

الشرطي الأول : هيا، كفى مجاملات، علينا أن نذهب .

الأم : أبا جول، أحضر عربية بسرعة، ولتكلف ما تكلف .
ما قولكما بكأس من الشراب أيها السيدان؟

الشرطي الأول : بعربة؟

(يضحك الشرطيان)

جول : لا تنسي حماماتنا يا جوليا .

الشرطي الأول : (مرتاباً) أي حمامات؟

الشرطي الثاني : سيشرح لنا ذلك بعد قليل، عندما نستجوبه بالتفصيل،
بدقة وتؤده . . . هيا تحرك، يا خريج السجون . . .

جول : ألا تتحجلان من نفسيكما أيها السيدان؟

الشرطي الأول : أتريدني أن أهرسك في الحال، قبل أن نبدأ؟

الأم : عار عليكما! لكن الله يراكما .

الشرطي الأول : هذا ما سيقوله لنا عندما نراه .

الشرطي الثاني : هيا تحرك!

(خروج فظ)

الأب : (يلحق بهم) لكن مادام الأمر . . . مجرد خطأ .

الأم : تعالي دافعي عنه ، يا جوليا .
جوليا : سأنام أمام باب السجن إلى أن يخلي سبيله .
السيدة كابرون : (وحيدة) نعم ما فعلت أيها الخائن! أجل ، نعم ما فعلت
أيها السكير!
(يتغير الضوء)

المشهد الحادي عشر

(في الشارع أوليفيه، يرتدي قبعة عالية ويمسك بعصا ذات مقبض فضية، روسيل يرتدي قبعة ويمسك بعصا ذات مقبض معقوف).

أوليفيه : تعلم كم نقدر شخصيتك، ورباطة جأشك، وآراءك السليمة جداً، وطموحك... غير أنه من واجبي أن أثبط من عزمك عندما تفكر يوماً ما أن تطلب يد شقيقتي. بلى! بلى! يا عزيزي، أنت تفكر في ذلك. لن تفكر به بعد الآن! لكنك فكرت فيه! حسناً، لا تفكر فيه بعد الآن. إنها أرملة منذ فترة قصيرة جداً، هذا إلى جانب أنك بروتستانت منذ فترة قصيرة جداً أيضاً... ومن جانب آخر فإن شقيقتي ذات طبيعة طائشة، وسيعود طيشها للظهور حينها يذهب الحزن مع الحداد. إنها تعشق الحفلات، الجولف والصيد، وسباق الزوارق، والرحلات البحرية إلى درجة لا يمكنها أن تكون معها الزوجة المحترمة لرجل محب للعمل بحيث لا يجد وقتاً للاستجمام. ومن جهة إرضاء مشاعر الأمومة لديها فإن أولادي يكفونها. لقد خلقت لتكون عمة سخية أيام أعياد الميلاد، وتعيش إلى جانبي لدى عودتها من ألعابها وتسالها. سنجد لك، أنا وهي، شابة خفيفة الروح، حديثة الشراء. اعتمد علينا ودعنا نتصرف. (بعد تبادل تحيات مع بعض المارة) ها هي شقيقتي بالمناسبة، لكن من أين خرجت؟ (تدخل ليز مرتدية السواد) على قدميك، في الشوارع، يا عزيزتي ليز؟

ليز : عربتي أمام منزل دوفال لاقاله . هل أوصلكما إلى مكان ما؟

أوليفيه : أشعر أني مرهق بعض الشيء ولا مانع لدي من العودة معك . روسيل سأنتظرك في مكثبي عند العصر.

ليز : هناك خدمة أطلبها من عزيزنا روسيل : ألا يمكنك أن تدعوني إلى محكمتك؟ (لأخيها) أرغب في أن أرى عيني امرأة تنظر إلى قاتل زوجها .

روسيل : إني لأستغرب أن تحضر الأرملة كابرون من أجل الشهادة .

ليز : لأنها منهارة؟

روسيل : بل كيلا تجيب على بعض الأسئلة المحرجة . فهي كانت وربما لاتزال ، عشيقة المتهم .

ليز : عشيقة دوران؟ أمثل هذا الأمر يحدث في عالمنا هذا؟ يا للغرابة! هذا لا يصدق .

أوليفيه : التقيت أمس بمحامي المتهم ، وهو شاب وسيم ، دمث الأخلاق ، في مقتبل العمر . لقد كان متزعجاً من لقائنا ، وأراد أن يقنعني أننا نتكرر لحركة إنسانية كبيرة ، حركة نهضة كبيرة .

روسيل : نهضة نقابية؟ أمل أن يكون باح لك بموضوع مرافعته .

ليز : لماذا ، يا عزيزي السيد روسيل؟

روسيل : لأن الدفاع عن النقابية أمام هيئة محلفين من الفلاحين سيقدم لدوران خمس السنوات السجن التي ترقبها .

ليز : خمس سنوات في غياهب السجن؟ إني سأجن!

روسيل : كونه معتادا على عنابر السفن وهباب الفحم فإن السجن سيكون راحة له ولنا! لعل دوران ليس شريرا، لكنه مجنون، ومن منظور الحقائق التجارية الكبرى لعصرنا فإن دوران مذنّب .

أوليفيه : (لأخته) سأوصلك بنفسك إلى روان، فأخذك بالمناسبة إلى أحد المطاعم الصغيرة . . .

ليز : (لروسيل) إني شرهة!

أوليفيه : . . . إن المدن الأنجليكانية تضم دائما موائد فاخرة .

ولنكن منصفين يا عزيزي روسيل ، فالكاثوليك يعرفون كيف يأكلون أفضل منا . إنهم بارعون في أفانين الطعام، وإني لأتساءل إن كنا عرفنا، منذ بدء الخليفة طاهيا بروتستانتيّا مشهوراً . استدع العربية يا ليز! أراك في المساء، يا روسيل!

(يخرج الاثنان من جهة وروسيل من جهة أخرى . ضوء على باب السجن)

الأم : هاهو باب السجن . يا للفضيحة، والد جول ينتظر أمام باب السجن!

جوليا : لكن مادام جول بريئاً!

الأم : إلا أنه يبقى باب سجن .

الأب : (للأم) لا تكوني عصبية . لقد أخبرني محاميه إنه مضطر للذهاب إلى قاضي التحقيق، الساعة الثانية ظهرا .

جوليا : ليست الثانية بعد .

الأم : (لجوليا) اطلبي من العربية أن تنتظر .

- الأب : مادام السائق لم يحصل على نقوده بعد فلن يذهب!
- الأم : هل يجوز لنا أن نصعد معه في العربة؟
- الأب : إن سمح الشرطيان . . .
- جوليا : هل يقبلان أولاً أن يركب في عربة؟
- الأم : على العموم نحن لا نستطيع أن ندع ابنتنا يسير في الشوارع، والأصفاد في يديه، مثل السارق!
- (يخرج من السجن شرطيان وجول مغلول اليدين)
- الأم : (زاعقة) ولدنا!
- جوليا : (برقة) جول!
- الأب : (للشرطين) أنا والده وهاتان أمه وخطيبته . . .
- الشرطي الأول : وأين أبناء العم الصغار؟
- جوليا : (لجول) لقد استأجرت والدتك عربة لتوصلك إلى المحكمة، إن قبل هذان السيدان . . .
- الشرطي الأول : عربة! لكنه ليس متهماً بالنصب وسوء الائتمان!
- الشرطي الثاني : (لجول) لم تقل لنا إنك صاحب مصرف فار!
- الأم : كلا والله . إننا قوم شرفاء!
- جول : اصرفي العربة، يا أمي، فنحن العمال نكسب قوتنا بشق النفس . لا تبديدي النقود . . . نعم، إن الحياة صعبة جداً على الذين ليس لهم سوى ضمايرهم وشرفهم، كفانا ما أضعناه من مال طوال هذين الشهرين من السجن الجائر . . .

- الشرطي الأول : هل انتهى الفيلسوف؟
- جول : لكن لا تخشوا شيئاً، سأعوض ما فات فأنتم تعلمين يا أمي، إننا في مهتنا، نكسب نقوداً أكثر في الشتاء..
- الأم : ألا تريد العربة إذاً يا ولدي.
- الشرطي الأول : السير على الأقدام سيفيده كثيراً والدتي. وهو صحي.
- الشرطي الثاني : نحن نهتم بصحته (لجول) هه، هل تريد أن تدخن سيجارة فاخرة؟
- جول : لا، شكراً.
- الشرطي الأول : (نافخاً الدخان في وجهه) أنت مخطيء، كنت سأشعر بسرور بالغ حين أحرمك منها.
- الشرطي الثاني : (بخشونة) إلى الأمام سر.
- جول : (يهتف لوالديه) يوم الأحد! في غرفة الزيارة!
- (يخرجون، يهم الأب والأم وجوليا باللحاق بهم).
- الأم : إنه لا يتدمر. إنه شجاع.
- جوليا : سيحاكمونه قريباً يا أمي، فنتهي من كل هذا البلاء.
- الأب : مع هؤلاء الخنازير ما عدت أؤمن بنهاية بلائنا.
- (تتحول الأنوار إلى...)

المشهد الثاني عشر

محكمة الجنايات

في الأعلى ، مضاء بقوة ، تمثال العدالة ، وهو عبارة من ميزان وسيف ، إلى اليمين ثلاثة قضاة . أمامهم جنديان مسلحان . إلى اليسار خمسة متهمين . جول في الوسط ، على جانبيه الشقيقان بوايه ، وعلى أقصى يمينه ويساره اثنان من قتلة كابرون ، أمام المتهمين محاميان في لباس أسود . قرب هيئة المحلفين ممثل النيابة في لباس أحمر ، يقف ساكناً . وسط المشهد منصة الشهود المنارة بكشاف سيضاء لإظهار الشهود ، وسينطفىء لإخفائهم . المشهد حافل بالمساحات المظلمة وبالأنوار الساطعة ، دون ابتهاج .

صوت : (في الظلام) محكمة ! (إضاءة على الشخصيات ، ثم منصة الشهود . وفي الحال) .

الشاهد الأول : (رافعا ذراعه) أقسم .

جول : هذا الرجل لا يقول الحقيقة .

رئيس المحكمة : اصمت أيها المتهم !

جول : الصمت ! دائما الصمت ! الكذابون وحدهم لهم حق الكلام هنا .

(ينحاطب الشاهد الواقف بلا حراك ، وقد أدار ظهره إلى جول) . انظر إليّ ! في عينيّ ! أعد ما قلته لتوك وأنت تنظر في عينيّ .

- الشاهد : (دون أن يدير ظهره ، ورافعا ذراعه كإنسان آلي) أقسم!
- الرئيس : وقد دعا المتهم إلى التصويت برفع الأيدي؟
- الشاهد : لا، ليس برفع الأيدي! لقد هتفوا بالموت . هذا كل ما في الأمر.
- الرئيس : المحكمة تشكر الشاهد.
- (إظلام على منصة الشهود . إضاءة على المحامين المتهمين ، القضاة يتداولون . يغمر الضوء مجددا منصة الشهود).
- الآنسة لوساج : أقسم أن أقول الحق ولا شيء غير الحق .
- الرئيس : (لأحد المتهمين) أقرر أنك لطمت بلاط الشارع برأس الضحية؟
- المتهم الأول : لا أقول كلا، لأنه لا يمكنني أن أقول كلا . لكني لا أقول نعم ، لأنني لا أدري شيئاً ، يظهر لي أننا كنا سكارى .
- الرئيس : (للآخر) وأنت؟
- المتهم الثاني : أقول مثله . بدأ ذلك عند برميل الروم . وبعد ذلك غفوت لما أفقت ، كان الشرطي يصفعني .
- المحامي : هؤلاء العمال يرتدون ثياباً سوداً ، وكاسكيتات سوداً ، وسراويل مخملية سوداً ، ثم إن وجوههم سود ، فكيف تجرؤ هذه الشاهدة على أن تؤكد أنها تعرفت ، وسط الظلام الحالك ، على المتهمين ، وعلى مسافة ثلاثمائة متر من مكان الجريمة!

مثل النيابة : فأنت على العموم لا تنكر أن هناك جريمة؟
جول : لقد طلبت احترام كافة العمال! حتى الذين ما كانوا قد
فهموا بعد . . .

مثل النيابة : ما كانوا فهموا ماذا؟ مباحج الحرب الاجتماعية؟
جول : إني أقول الحقيقة!
مثل النيابة : أتظننا نجهل رقة العمال العاطلين المضربين مع العمال
المنتظمين .

الآنسة لوساج : أقسم أن أقول الحق ولا شيء غير الحق .
الرئيس : المحكمة تشكر المتهمين المحلفين .
(نفس حركة الإضاءة .)

الشاهد الثاني : أقسم! وفي اجتماع عام! كنت حاضراً!
جول : أتراني متوحشا إلى درجة أن أقترح قتل عامل أمام سبعمائة
 وخمسة وعشرين شخصاً . . .

مثل النيابة : قل لي إذا لماذا كان المسكين كابرون يحمل مسدساً؟ لماذا
كان يتوقع كابرون أنه سيضطر للدفاع عن نفسه لولا
معرفته أنه في خطر. إن التردد واضح!

المحامي : سيدي ممثل النيابة، هناك وقائع أخرى تثير حيرتي .
أمس ، في هذه القاعة بالذات ، وأمام هؤلاء القضاة
بالذات ، وأنت أيضاً ، مثل أمام المحكمة بحار
هولندي . لقد قتل هو أيضاً بسكين كان يحملها ، أثناء
شجار جرى على أرصفة الشحن . كان قراركم ، أيها

السادة هو طعنات قاتلة من غير قصد تسببت في الوفاة .
السجن لمدة سنتين! ومع ذلك ، حينما يطعن رجل
شخصاً آخر ، ألا يمكننا أن نزن أن ذلك كان بقصد
القتل ؟ وفيما يتعلق بقضية اليوم ، أين هي الخناجر؟ إنني
لا أرى سوى مسدس ، وقد كان في يد الضحية!

الشاهد الثاني : ولما صوّتنا على الموت ، تم ذلك بمساندة الأخوين
بوايه ، الماثلين هنا!

جاستون : يوم الحادث لم نكن موجودين!

لويس : كنا نصطاد القواقع ، كلانا .

جول : وإيماننا بالواجب قبل كل منهما أن يكون خازناً لنقابتنا .

ممثل النيابة : خازنان! كنتم تمتلكون إذاً ثروة من أجل تمويل ذلك
الإضراب الذي كان يشل المرفأ ، ويفقر المدينة وبالتالي
الريف ، لصالح الأجنيبي؟ من أين أتيتم بذلك المال؟
لمصلحتك أنصحك أن توضح لنا الأمر.

جول : من المؤسف ، أيها السيد ممثل النيابة ، أنك لم تكن ، ولو
ليوم واحد فقط ، عامل فحم على الأرصفة ، وسط الهباب
الأسود الخائق . وإلا لكنت فهمتنا بشكل أفضل . . .

ممثل النيابة : ليس عليّ أن «أفهمك» ، بل أن أبين لك . لست أنا من
يحاكمك ، والذين سيحاكمونك تسعة منهم - من أصل
اثني عشر - من صغار المزارعين لا حاجة لهم بدروسك
ليعلموا ما يتعين عليهم أن يروه في عمال يعملون عندما
يطيب لهم العمل ، ويتوقفون عندما يطيب لهم التوقف ،

فضلا عن أنهم يستريحون أيام الأحاد! إنهم ليعلمون وهم
أمام محاصيلهم، التي يتسلى أصحابك الفوضويون
بحرقها أحيانا، أن ليس هناك توقف ممكن، ولا إضراب
مستحب حينما يكون المرء في الريف، حيث الطبيعة
تقدم المثال وتعمله، هي أيضا، ليل نهار، طوال أسابيع
كل أشهر السنة!

الشاهد الثاني : (مستطردا) كانوا يضربونه وهم يصيحون : «هل اكتفيت
أيها السافل؟» والرأس يرن على الرصيف .

مثل النيابة : لا غرابة، فهم كانوا يقتلونه!

جول : لطالما تحدثت بلطف إلى العمال الذين هم إخوتي . . .

مثل النيابة : إخوتك الذين تقتلهم بواسطة فتواتك! أنت أحقر
المتهمين لأنك أكثرهم نفاقاً! لقد حدثت جريمة وحتى
محاميك يقر بذلك، وهذه الجريمة، ليس مخمورك
المساكين الذين أسكرتهم للقيام بها هم المسؤولون
الحقيقيون عنها، بل أنت يا دوران، يا من أصدرت أمر
الاغتيال!

المحامي : أيها السيد ممثل النيابة، إنك تستبق الأمور . . . وكأنني
بك بدأت مرافعتك . . .

الرئيس : (للشاهد الثاني) . . . والقتل، كيف تم التصويت
عليه؟

الشاهد الثاني : صوتنا عليه . . . ونحن نصوت عليه . . .

- الرئيس : بالصياح؟ برفع الأيدي؟
- الشاهد الثاني : برفع الأيدي . أصلاً كانوا يرفعون الأيدي دائماً!
- المحامي : أشير إلى تضارب أقوال الشاهد .
- ممثل النيابة : منذ متى يستحيل على المرء أن يصيح وهو يرفع يده؟
- جول : لقد أمرت بطرد هذا الرجل من النقابة لخطيئة مهنية لا تغتفر . إنه يكذب ويحقد . وكان مخبراً أثناء الإضراب
- ممثل النيابة : أكنت تفضله قاتلاً؟
- الرئيس : المحكمة تشكر الشاهد .
- (إضاءة)
- دولاقيل : (على المنصة) أقسم . أثناء الإضراب بقي حوالي عشرة عمال موظين على العمل . كنا نستبقهم على متن سفننا حيث أعددنا لهم أمكة للنوم أيضاً ، لأنني كنت قد علمت بقرار دوران بقتلهم!
- جول : بل بحذفهم من النقابة!
- (حركة بين الحضور) .
- المحامي : عندما نقول «حذف» فنحن نقصد «شطب» وليس قتل .
- جول : إبعادهم ، هذا واضح
- ممثل النيابة : أجل ، أجل ، التخلص منهم ، هذا واضح جداً .
- المحامي : مع هذا القسر للكلام

- ممثل النيابة : إن قسرا رهيبا للكلام أدى إلى جريمة!
- المحامي : كلا! وهذه هي كل القضية!
- ممثل النيابة : لأنك، الآن، تنكر الجريمة التي أقررت بها لتوك؟
- الرئيس : المحكمة تشكر الشاهد.
- (إضاءة)
- رئيس الأمن : أقسم.
- ممثل النيابة : السيد رئيس الأمن، إنك قادم لتخبرنا كما علمنا من التحقيق، أنك لم تسمع المتهم دوران يطلب قتل كابرون. لكن، بذمتك وضميرك، أمام السادة المحلفين، وأنت تحت القسم، هل يمكنك أن تقسم أيضا، أنه في غير أوقات حضورك، لم يطلب دوران إلى فتواته المعتمدين لديه أن يقتلوا كابرون المسكين؟
- رئيس الأمن : كيف لي أن أؤكد شيئا من هذا القبيل؟
- ممثل النيابة : هذا كل ما كنت أريده منك، أيها السيد رئيس الأمن!
- المحامي : هل يتفضل الشاهد ويخبرنا برأيه في المتهم؟ هل كان امراً هادئ الطباع؟
- رئيس الأمن : نعم!
- المحامي : لا يشرب الخمر؟
- رئيس الأمن : نعم. كان عاملا حسن السلوك دائما، لم يصدر ضده أبداً أي حكم قضائي، ويعيش عند والديه اللذين يبدو أنه يحبهما بإخلاص كما كان يحب رفاقه في العمل.

ممثل النيابة : يمكننا أن نلاحظ أنه في القضية لم يمارس أي ضغط ،
حتى أن الشرطة لا تسعى إلى إدانة المتهم . للسادة
القضاة وحدهم الحق في الحكم عليه .

جول : لطالما قلت للعمال إنه يجب عليهم نبذ الخمر والغيرة .

ممثل النيابة : الخمر قد تكلمنا عنها ، أما فيما يتعلق بالغيرة فمن
مصلحتك ألا تتكلم عنها كثيرا ، وإلا اضطرت إلى أن
تفسر لنا تغيبا مريباً كنت قد اعتزمت عدم الإشارة
إليه .

جول : (لا يفهم) أتحدث عن تحاسد العمال في العمل .

ممثل النيابة : قد أصبحنا نعرف أن المتهم ذكي جدا ، فهو يفهم كل
شيء من مجرد التلميح .

(إضاعة)

ليفيك : أقسم . قال لي إن نقابته ليست كباقي النقابات ، وإنها
ثورية ، ويترأسها فوضويون .

ممثل النيابة : هل يقر المتهم أنه صرّح بأنه أسس نقابة ثورية لخدمة
الفوضوية الاشتراكية .

جول : نعم ، أنا ثوري ! من هو الإنسان الشريف الذي يرغب
في الإبقاء على نظام اجتماعي يلقي بالعمال في مهاوي
الفقر والإدمان ؟ نعم ، أنا فوضوي ! من هو الرجل
الشريف الذي لا يغدو فوضويا عندما يشاهد
الحكومات ، تحمي و تدافع عن هذه التنظيمات الفعلية
من المستغلين .

- الرئيس** : أيها المتهم، لمصلحتك أمتنع من مواصلة الكلام.
- ليفيك** : وقد أضاف إنه، لو كان هناك إضراب وامتنع والده عن المشاركة فيه، لما تردد في حذفه هو أيضا مثل الآخرين. والده، تصوروا!
- جول** : أعرف هذا الرجل. إنه ابن عمي. انظر إلي، يا ليفيك، في عيني، حسنا. والآن أمام ربك تعالى أقول إنك تعلم إني لأتمنى لك أن تحب والدك بقدر ما أحب والدي! هذا الرجل، سيدي الرئيس، الذي حضر إلى هنا ليفتري عليّ، قد أدانته محكمة العمال بتهمة السرقة...
- ليفيك** : غير صحيح!
- المحامي** : (لجول) اصمت! ثمة عفو يمنعك من الإشارة إلى هذه الحادثة.
- ممثل النيابة** : دوران، بعبارة «الله تعالى» التي ترددها، أتظن نفسك واعظاً للناس من على منبر كنيسة نوتردام؟ أو ترى أنك في المكان المناسب أيها المتهم بالقتل، لتعطينا دروسا في الأخلاق؟
- ليفيك** : استغرب سماعي، جول ينكر أقواله وكأنه خائف.
- جول** : أيها النكرة اليسوعي الشقي، متى أخفيت أني فوضوي ثوري، أنا الذي أعتز بأملي الكبير في مستقبل البشرية؟
- المحامي** : أرجو من السادة المحلفين ملاحظة نزاهة موكلي الذي لا يسعى البتة إلى تلطيف آرائه الأخلاقية والسياسية.

- الرئيس : المحكمة تشكر الشاهد .
- (أنوار)
- روسيل : (يخلع قفازه بتؤدة) أقسم .
- جول : هذا أنت إذاً ، يا سيد روسيل !
- روسيل : نعم ، يا دوران ، هذا أنا .
- جول : هانحن وجهاً لوجه ، أخيراً !
- روسيل : نعم ، وإني لأخشى أن يكون ذلك قد جاء متأخراً جداً ، وهذا من دواعي أسفي . لأنني لن أتردد في أن أقول ههنا إنك كنت موضع تقدير يا دوران . (همهمات ودهشة) . آه ، لطالما وقفت في دربي ، وفي الوقت الذي كنت أكافح فيه بكل إخلاص من أجل ازدهار المرفأ ، كنت تعمل ، بعرقلتك لمساعي ، وربما من حيث لا تدري ، على خرابه . وقد رضخت لك مرات عديدة ، لأنه كان على السفن أن ترحل بالبريد . وكنت أضع دقة المواعيد فوق عزة نفسي ، متردداً أحياناً بيني وبين نفسي . لا أجهل ، مهما قلت ، جهنم العنابر ، في قعر السفن . وما دمت أتحمل مسؤولية ذلك ، فإني أتألم أكثر منك أيضاً يا دوران ! وإني لأفهم ما لا تفهمه أنت ، فأجد طبيعياً بعد مشقة العمل هذا ، البحث عن الراحة عن طريق الكحول . . .
- جول : الكحول جريمة تضيفونها إلى جرائمكم الأخرى .
- (همهمة) .

الرئيس : أيها المتهم، «جريمة» ليست بعد بالكلمة المستحبة في فمك، حينها . . .

جول : إني ضد الكحول!

ممثل النيابة : مادامت هذه المحاكمة تتحول إلى اجتماع انتخابي، فلماذا لا نغتزم الفرصة ونسأل المتهم بالمناسبة عن رأيه في مقطري الكحول من المزارعين؟

المحامي : سيدي ممثل النيابة، إني أدافع عن شرف وحرية رجل . . .

جول : أجل أنا ضد مقطري الكحول الذين يسممون الأرياف، كما يسمم الأفسينت المدن.

ممثل النيابة : من مصلحة السادة المحلفين، وهم من الريف، أن يعلموا ما سيكون عليه مستقبلهم إذا ما قيص لرفاق المتهم الاستيلاء على الحكم.

روميل : سيدي ممثل النيابة، أسألك خدمة، وموهبتك الفذة قادرة على تلييتها. أرغب، يا سيدي الرئيس، أن أوجه إلى المحلفين نداء رافة. أولاً من أجل أولئك الذين تحت تأثير نشوة الخمر، و السخط على الإضراب المفروض عليهم، ضربوا واحدا من رفاقهم.

جول : هذه هي مأساوية الإضراب. أن يقود الإضراب إلى مواجهة بين عمال بلاتسين وأرباب عمل غير متفهمين . . .

- الرئيس : الشاهد بعيد عن أن يعطي الانطباع بعدم التفهم .
- (إشارة متساعحة من روسيل)
- جول : . . . لأمر مؤسف ، لأن رب العمل والعامل شخصان ينبغي لهما أن يتحابا من حيث هما إنسانان ، لكن أن يقود الإضراب إلى مواجهة بين العمال أنفسهم ، هذا هو التمزق بحيث يحدث تفكك وسط الطبقة نفسها . . .
- روسيل : (لجول) وكيف حاول رجل مدرك مثلك أن يعد لتخريب منهجي . . .
- جول : أنا؟
- روسيل : ألم تحاول تخريب الآلة الجديدة التي أركبها على الأرصفة خصيصاً من أجل رفع الشقاء عن كاهل الناس ؟
- جول : لأنها كانت تلغي قبل كل شيء عملهم ، أجرهم ، أملهم الأخير في لقمة خبز . .
- روسيل : هذه ضريبة التقدم .
- جول : أجل ، وبينما كتسم تضعون في جيوبكم أرباح التقدم ، فإن العمال هم الذين كانوا يدفعون الضريبة .
- روسيل : لماذا يا دوران لم تضع نفسك أبداً بتزاهة مكاننا؟ أنتم تعرفون مشاكلكم ، ومشاكلكم أنا أعرفها ، لكن أتعرفون مشاكلنا؟ قلق الرئيس القابع في مكتبه ، أمام أرقامه التي تأمر الرئيس ، كما الرئيس يأمركم ، وأحياناً بلا شفقة على الإطلاق ، لا يمكنني أن أقول لك أكثر من ذلك . لماذا؟ بالله عليك يا دوران ، لم تأت إلينا ، لتواجه معنا هذه

الأرقام؟ ونظرا لخبرتك بالأرصفة، وشخصيتك القيادية،
اللتين قدمت الكثير من البراهين المؤسفة عليهما، كان
المستقبل مفتوحاً أمامك، وأي مستقبل! لعلك كنت
اليوم رئيساً مطاعاً، بدلا من أن تصبح قاتلاً عقيماً.

جول

: لست قاتلا وأنت تعرف ذلك أفضل من أي شخص
آخر. أتجروؤ على لومي لأنني لم آت إليكم؟ كان بآبكم
مغلقة على الدوام في وجوهنا! ولما طلبت منكم إغلاق
الحانات في أمكنة العمل، هل ليتم الطلب؟ ولما طلبت
ألا تخصم الديون من إجمالي الأجر، فهل ليتم الطلب؟
ولما طلبت إقامة أمكنة للاستحمام، بجوار الفرن
الاقتصادي، هل ليتم الطلب؟ قيل لنا إنك، أنت
الذي لا تضحك أبداً، أنت المتجهم، قد ضحكت ملء
شديك للمرة الأولى في حياتك.

روميل

: قبل أن أنصرف، أرغب سيدي الرئيس من أجل مصلحة
العمل على الأرصفة وفي المرفأ، أن أجدد دعوتي إلى
الرفافة. يستحيل ألا نجد ظروفاً تخفيفية لجريمة أذع
وصفها للواقعية الرهيبة لمثل النيابة.

البعض سكارى وقد امثلوا لأمر. الشقيقان بوايه كانا
ومازالا مأخوذين بدوران، وإني لأتساءل عن الجريمة
التي يمكن أن تنسب إليهما. أما دوران، فمن يستطيع،
بأمانة، أن يقول إنه مجرم عادي؟ فذنبه يكمن في
نظرياته غير المهضومة في الدروس المسائية للجامعات
الشعبية. حقاً إن التبرئة ستكون وخيمة العاقبة، وباسم
أصحاب السفن، إن سمحت لي أن أكلمك، أقول إن

كل نظام سيصبح عندئذ مستحيلاً . التبرئة ستدمر المرفأنهايا . لكن بعد تجريم مبدئي ضروري ، دع رجلاً خبيراً في هذا العمل ، عاش المأساة ، ويعرف كل شخصها ، يلتمس للجميع ، مرة أخرى ، الظروف التخفيفية .

جول : يبدو لي أنك تطلب لي السجن؟ أو ما تحجل من نفسك؟

الرئيس : أيها المتهم ، أهكذا تشكر الشاهد الذي شهد لتوه بإنسانية تدعو للاحترام؟

ممثل النيابة : أشير إلى انعدام الإحساس المستهجن عند المتهم .

جول : لعل ذلك لأنك لا تعرف السيد روسيل . أما أنا فأعرفه . يعلم الله . . .

ممثل النيابة : ما غرضك من هذا الإشهاد الدائم لله تعالى؟ خلف أي ستار تريد أن تخفي ماديتك الخسيسة؟ أفهم أنك كاثوليكي صالح؟

جول : وأنت لماذا تتظاهر دائماً بأنك تظنني كاذباً؟ ليس الله ، في لغتي ، ذلك السيد العجوز الملتحي كما تصوره لنا لوحات المتاحف ، ولا أب الألفية الجلاد ، إن الله في لغتي هو سر ولادتي ، هو حفرة موتي المظلمة السحيقة ، هو حسرتي أمام شقاء الناس ، هو شفقتي على الأحياء ! الله هو كل ما لا أفهمه ، هو الكلمة التي أغلف بها كينونة العالم ، الله هو الاسم الآخر للصمت الرهيب الذي نحيا فيه ، وأيضاً لذلك الجهل الذي يدفع إلى

التناحر أناساً يفترض فيهم أن يتحابوا، لأنه على هذه الأرض الضائعة والخرساء التي إنما نمضي عليها بضع سنوات . . .

الرئيس : أيها المتهم ، هذه التنبؤات خارجة عن الموضوع . . .

ممثل النيابة : أقول إنه بالنسبة لنا، نحن الناس البسطاء، الله هو طفل صغير ولد لتوه، بين بقرة وحمار، عند هؤلاء الفلاحين الذين يعملون أبداً والذين تكافئهم ابتسامة هذا الطفل ليلة عيد الميلاد، لأنه بالنسبة لهؤلاء الناس، يا جول دوران، الليل يوحى بابن الرب، وليس بوقع جمجمة تحطم على أرض المدن.

روسيل : سيدي ممثل النيابة، ذلك الذي ذكرته في معرض حديثك . ألم تكن الرحمة هي دائماً ما يقدمه؟

ممثل النيابة : عليّ أن أتكلم باسم المجتمع، هذا المجتمع الذي يتعين علي أن أدافع عنه .

الرئيس : أذكر الشاهد أنه يتوجب عليه أن يعتمد في شهادته على الوقائع .

روسيل : (متزعجاً) لكن الوقائع صريحة وتكلم من ذات نفسها : إضراب، أمر، وجثة . (ينسحب روسيل . فينهض المحامون تحية له . انطباع عظيم لدى القضاة . جول مهزوم . الأضواء تتابعه . ثم إظلام على منصة الشهود، وعندما تضاء مجدداً . . .)

الطبيب فوفيل : أقسم أن أقول الحق ولا شيء غير الحق! لقد شاهدت أثناء الإضراب، العمال يتناولون في الندوة حساءهم الأسود بأنفة ووقار. أريد أن أذكر أيضا أنه بأمر من دوران تم نقل الفحم مجانا إلى المستشفى حتى لا يعاني المرضى من الإضراب.

ممثل النيابة : الواقع أن الشاهد دكتور في الطب، لكن ألا تراه يشغل منصبا ما في رابطة تدعى، فيما يبدو، رابطة حقوق الإنسان والمواطن؟

الطبيب فوفيل : إنى رئيسها المحلي.

ممثل النيابة : رابطة ذات توجه سياسي؟

الطبيب فوفيل : فلسفي، على الأصح.

ممثل النيابة : أوليس المتهم دوران أيضا عضوا في هذه الرابطة المشاغبة بعض الشيء؟

الطبيب فوفيل : أوليس لكافة الناس حقوق يعملون على إقرارها؟

ممثل النيابة : أشكرك، يا دكتور، لكنك وصلت متأخراً جداً، وبرغم صداقتك لزميلك (أي جول) وواسع علمك فلن تتمكن، ولو بدافع محبتك لرابطتك، أن تعيد الحياة إلى الضحية الذي فارق الحياة دون مساعدة طبية، ودون اعتراف من أحد بحقوقه كإنسان وكمواطن.

المحامي : هل لي يا سيدي الرئيس، أن أعرب عن دهشتي، ليس من عبقرية، بل من تعسف السيد ممثل النيابة؟

الرئيس : المحكمة تشكر الشاهد . (إضاءة . الأب على المنصة يرفع يده) لست ملزماً بأداء القسم ، فالقانون يحترم بعض التكافل الأسري .

الأب : لكن يمكنني أن أقول : أن أقول : «أقسم» لأنني مثل جول لست كاذباً .

جول : أبي!

الأب : (وقد رأى جول) ولدي!

جول : لم يتبادر إلى ذهني قط يا والدي ، أن تصل بي الأمور إلى هذه الحال .

الرئيس : (للأب) توجه نحو المحكمة . (ثم وقد راح يصغي مع كل المحكمة إلى محلف غير ظاهر) ماذا تقول؟ إنني لا أسمع! حسناً ، حسناً! (للأب) هل سمعت السؤال؟ المحلف الثالث يسأل الشاهد إن كان علم أن المتهم أراد قتله .

الأب : (الذي لا يفهم) . ماذا؟

جول : يسألونك إن كنت تعلم أني أردت اغتيالك .

الأب : إنهم مجانين!

الرئيس : أرجو من الشاهد أن يزن كلامه .

الأب : ابني يفتالني؟! لما مرضت فإن ولدي هو الذي وقف إلى جانبي ، وها أنا الآن محروم من العمل .

- المحامي : ألم تعيش دائماً في وفاق(*) تام مع ابنك؟
- الأب : لا أعلم إن كنا ذكيين، لكننا شريفان. وأم جول محقة إذ تردد إنه ليس عدلاً إن غدونا تعساء.
- جول : والدي، حينما أعود إلى البيت، نعود سعداء من جديد.
- الأب : إننا ننتظرك يا ولدي، أنا وأمك، لكن أسرع، لأن الوقت طويل جداً. في الليل خصوصاً، عندما يستعصي علينا النوم إذ نفكر فيك وأنت في السجن.
- مثل النيابة : لم يجب الشاهد بعد على سؤال السيد المحلف الثالث. أصبح أن ابنك أعلن أنه قد يطلب حذفك كما طلب حذف كابرون، لو عملت أثناء الإضراب.
- الأب : لو عملت أثناء الإضراب؟ حسناً، الآن أنا أعرف الجواب: إن كان ولدي قال ذلك، فقد أصاب القول.
- مثل النيابة : هل أنت نقابي؟
- الأب : أنا؟ لا، أبداً.
- مثل النيابة : (بلهجة انتصار) إذا كيف كان بوسع المتهم أن يطلب حذفك من نقابة لا تنتمي إليها؟ ها هي ذي لفظة «حذف» قد عرفت أخيراً على أكمل وجه، أيها السادة!
- جول : كنت أعني أنه لو كان والدي، أثناء الإضراب، عضواً في النقابة...

* إن كلمة Intelligence معناها وفاق وذكاء. لذا نرى الأب في رده على المحامي يأخذ المعنى الثاني.

مثل النيابة : ما عدنا بحاجة إلى أي تفسير! إن كلمة «حذف» لا علاقة لها، لا من قريب ولا من بعيد، بأي نقابة، الحذف هو الموت! وهذه الكلمة اعتباراً من هذه اللحظة، لن تفارقني إلى نهاية المحاكمة، حيث سألفظها للمرة الأخيرة بكل راحة ضمير.

الأب : بماذا تهذي كل تلك العصافير هناك!

الرئيس : أذكرك للمرة الأخيرة بضرورة احترام المحكمة وأن تتكلم بأدب.

الأب : بأدب؟ لو أن أحداً سعى إلى توريط ابنك البريء ليدخله السجن، فأني أغنية كنت ستغني وقتئذ، أنت يا ذا الأدب! لكم أتوق إلى سماعها.

الرئيس : أيها الحارسان اخرجوا الشاهد.

جول : أبي!

الأب : آه! أسرع يا جول، فأملك المسكينة تشيخ! (للحارسين) أما أنتما فلا تلمساني!

الرئيس : أيها الحارسان، اطردا الشاهد! وإني أطلب من الدفاع أن يلزم شهوده بقدر يسير من الاحترام إن أراد من المحكمة أن تواصل الاستماع إليهم. (جول يبكي) فليدخل الشاهد الثاني على أخلاق المتهم (حركة إضاءة. جوليا مدعورة) اقتربي. أيضاً! ارفعي اليد اليمنى، قولي : «أقسم».

جوليا : (ذاهلة) أقسم، أقسم، نعم أقسم أنه إنسان شريف .
في الماضي كان حرياً أن يعتبر قديساً، لأن القديسين قد
سجنوا دائماً، وعذبوا من قبل السلطات القائمة . .

الرئيس : أرجو من الشاهدة أن تخفف من حدة كلامها، وذلك
لمصلحة المتهم .

جوليا : عفواً سيدي الرئيس، لكنني في عزلة قاعة الشهود . أكرر
منذ يومين كل عباراتي، وأنا أختق، وكل الحقائق التي
داخلي تود الخروج في آن واحد . لقد عشت إلى جانب
هذا الرجل ثلاث سنوات، وأنا أريد، أمام عدالة
بلادي، أن أقول الحقيقة . لقد أخطأت الشرطة . . .

ممثل النيابة : (مقهقهة) حقاً؟ رئيس الأمن؟ المدافع الوحيد عن
المتهم؟

جوليا : لقد قرأت كل الصحف منذ التوقيف . وهي كلها
تتحدث بشكل عشوائي عما تجهله . عندما أفكر فيما تجرأت
على نشره! قاتل؟ هذا الرجل الذي كان يريد نشر
السعادة؟ كل أقواله قد شوّهت . . . حتى أرباب العمل
كان يجد لهم أعذاراً، في سبيل تبرير مواقف الآخرين راح
يتهم نفسه أولاً . إنه يريد دائماً أن يكون المذنب
الوحيد . . .

ممثل النيابة : (مقهقهة) هل قلت شيئاً غير ذلك؟

جوليا : . . . لأن قلبه يفيض (ممثل النيابة يقلد بقبضته حركة
سحق رأس على الأرض) . من لم يمر بمحنتنا لن يعرف
أبداً الفرق القائم بين الصورة التي تصنعها الإشاعة لرجل

وما هو في الواقع . إننا بحقارة نضع بإصرار أقنعة على وجوه جيراننا ، وكأننا لا نجرؤ أن ننظر جهارا إلى بعضنا البعض ، وكأننا لا نجرؤ على النظر إلى إخوتنا وأخواتنا دون أن نواريهن خلف قناع يطمئن نفوسنا . لكن لماذا نلبس جول دوران ، وهو الطيبة بعينها ، لباس قاتل ؟ هذا الرجل الرؤوف . . . أبداً لم أسمع به يرفع صوته ، أبداً لم يره أحد غاضباً ، إنه رجل يعجز عن تعنيف طفل صغير . . . (تبكي)

جول : جوليا !

جوليا : طفلنا الذي ينتظرك هو أيضا .

مثل النيابة : أيها السادة ، أعترف بتأثري ، عيناى تغرورقان شفقة . الكلمات تخونني ، لكن مازال لدي منها ما يكفي لأسأل هذه الشاهدة على أخلاق المتهم ، من تكون .

جوليا : من أكون ؟

مثل النيابة : نعم ، وضعك الاجتماعي .

جوليا : عاملة مصنع .

مثل النيابة : أرجوك يا آنسة ، لا تحاولي خداع المحكمة . المتهم كما نعلم يقيم دعوى طلاق ، وهذا يعني أن التفريق لم يتم بعد . هذا يعني أن دوران متزوج . وعليه ، من تكون هذه الشاهدة المثيرة للشفقة ؟ فتاة تعاشر المتهم بصورة غير شرعية ، بل وأما أيضاً !

جوليا : فتاة أم ؟ جول !

جول : (ينهض رافعا قبضته) وغدا! وغدا!

(همهمة)

الرئيس : أيها المتهم، عليك أن تسحب أقوالك فوراً!

جول : أ يصل به الأمر لهذه الحقارة! هل أنا إذاً خطير إلى هذه الدرجة؟

ممثل النيابة : أرجوك أن تدع المتهم الذي لا يغضب أبداً، العاجز عن تعنيف طفل ليظهر أخيراً وهو رافع قبضته كاشفاً عن وجهه الحقيقي! وجه تلك الليلة التي أمر فيها بالاغتيال ورتبه!

الرئيس : حفاظاً على اعتبار المحكمة أمرك أن تسحب قولك!

جول : نعم . إنما هم صم وعمي .

ممثل النيابة : لكنهم ليسوا صماً بحيث لا يسمعون صراخ ضحيتك، ولا عمياً بحيث لا يرون جثة رجل اغتيل لأنه كان يريد أن يعمل كي يطعم أطفاله الشرعيين مطروحة على الأرض .

(تجهش جوليا بالبكاء)

الرئيس : أيها الحارسان اطرذا الشاهدة .

(خروج)

جول : لماذا كلما جاء امرؤ على الأرض يقول لأشقائه : «أحبوا بعضكم بعضاً»، تحدث هذه الثورة من الحقد والنفاق؟

ممثل النيابة : باسم المجتمع أطالب بثمان الدم . في حكمكم ستظهرون إن كنتم مع أمن المجتمع والتطور، أو مع الفوضى والقلاقل . . .

المحامي : سادتي المحلفين، إنهم يدينون هنا العمل النقابي في حين أن المطلوب منكم هو النظر في جناية يعاقب عليها الحق العام . باستثناء السيد رئيس المحلفين، وهو دكتور في الطب، فأنتم جميعاً من سكان الريف . وبالتالي لا أعرف كيف أشرح لكم ضرورة العمل النقابي؟

ممثل النيابة : هناك رجل قتل . العين بالعين، والسن بالسن، والرأس بالرأس . ثمن الدم .

المحامي : من خلال رجل ينظر في براءته أو مسئوليته الجنائية ينددون بالطبقة العاملة . . . اصغوا إلى، أود أن أحاول أن أشرح لكم . . . (يخفت الضوء إلى درجة الإظلام . على خلفية طبل يقرع نسمع) يجب ألا يكون حكمكم انتقاماً!

(يزداد ضجيج «قرع الطبل» . تعود الإضاءة إلى حالتها الطبيعية . ووسط الصمت المطبق) .

صوت : محكمة!

(ينهض الحضور . يدخل القضاة)

الرئيس : نظراً لأن المحلفين قد أعلنوا، أن ماتيوز مذنّب لأنه في ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩١٠ ارتكب عامداً متعمداً جريمة قتل، ونظراً لأن المحلفين قد أقروا وجود الأسباب

المخففة، فإن المحكمة تحكم على ماتيو بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاماً، (يجلس ماتيو) وعلى كوياندر بالأشغال الشاقة لمدة ثمانية أعوام. (يجلس كوياندر). وبما أن المحلفين قد رأوا أن الشقيقتين لويس وغاستون بوايه غير مذنبين، فإننا نأمر بإخلاء سبيلهما على الفور (فرح الشقيقتين بوايه، ودوران) وبما أن المحلفين قد أعلنوا أن دوران مذنب لتسببه في الجريمة، عن طريق العطايا والوعود، والتهديد، وسوء استغلال السلطة، والمكائد، وكمين مدبر، فإن المحكمة تحكم على جول دوران بالإعدام، وسيتم قطع رأس المحكوم في إحدى الساحات العامة.

جول : (واضعاً يديه على عنقه) سيقطع رأسي؟ هذا ليس مستحيلاً! أيها السادة، هذا خطأ آخر! أماء، إنهم يريدون الآن قطع عنقي!

(تسمع صرخة جوليا. ممثل النيابة يفرك يديه لقد كسب الجولة)

الرئيس : رفعت الجلسة.

(قرع طبول، أضواء على)

المشهد الثالث عشر

(في مقدمة المسرح على اليسار بداية شارع . إلى نهاية المشهد والمسرحية يتواصل قرع الطبل بإيقاعات متنوعة).

روسيل : مغفلون! مغفلون!

أوليفيه : لكن يا عزيزي ، من قال لنا إنه كان مذنباً ، إن لم تكن أنت؟

روسيل : ليس الأمر أن نعرف إن كان هذا المغفل يستحق الموت أو لا يستحقه ، بل إن كان هذا الموت لمصلحتنا أو لغير مصلحتنا . وإني أقول إنه في غير مصلحتنا! خمس سنوات يا سيدي الرئيس ، ثم يخرج من السجن مخبولاً، مجهولاً متتهياً ، ثم يتوارى عن الأنظار. لكنه ميتاً فلن نستطيع الخلاص منه أبداً. كنت أريد أن أضع بين المحلفين رجالاً لنا . المحافظ ارتاب فينا . ذلك المغفل اعتقد أنني أريد العقوبة القصوى . حسناً ، فلتطب نفس المحافظ الآن ، فالتاعب وشيكة!

أوليفيه : اللعبة تمت يا عزيزي ، لنترك الكلام في هذا الموضوع .

روسيل : لشد ما أخشى أن يعاود الآخرون الكلام فيه ، وبأسرع ما يمكن .

(يخرجان)

في مقدمة المسرح اليمنى يضاء جزء من ديكور محطة .

عوارض السكة مائلة . الطبل يقلد هدير قطار يسير .
على شاشة يظهر عنوان جريدة : «والد جول دوران يحاول
الانتحار بإلقاء نفسه تحت قطار في محطة روان» .

جوليا : أي نفس شريفة تستطيع تحمل هذه الفضيحة؟

الأم : (مبتهلة) لستم مشيئتكم يا رب . . .

جوليا : كلا! لن أستسلم للمحنة ، ولسوف أندد بالفضيحة . . .
(القرع يزداد) وإذا ما دعا الأمر فسوف أدعو الناس جميعا
إلى الثورة . . .

(ستارة مقدمة المسرح تنفرج ، تظهر إلى اليسار زنزانة
دوران ، النور مضاء) .

جول : (مخلوق الرأس ، يرسف في الأغلال) أيها الحارس ،
أطفئ النور! أيها الحارس! إني بريء! اطفئ النور!

الحارس : القانون ، هو القانون! سنطفئ لك النور حينما نقطع
عنقك! في الخارج تظنون جميعكم أن الأمر مجرد تسلية!
والآن اتضحتم الأمور! أولاً ، المحلفون يخلون في أكثر
الأحيان سبيل القتلة . لذا فإني إذ أقبض على واحد منهم
فسوف اعتني بك . بالقانون ، ليل نهار النور مضاء ،
والأغلال في قدميك ، ريشا يقطع عنقك ، الرأس في جهة
والجسد في جهة أخرى . . .

جول : أطفئ النور . أريد النوم . . . رأسي ينفجر .

الحارس : كلا ثم كلا . وعندما يبرد ، نضعه برفق على رف .

(يضحك)

جول

: جوليا! جوليا! أنت التي لن أراها أبداً.

(قرع طبل في أعلى منصة - تحتها إلى اليسار الزنزانة، وماهي إلا لحظات حتى يظهر، إلى اليمين، ركن من صالون بوجنهارت - مزدان بالأعلام الحمراء، يقف المندوب محاطا بالشقيقين بواييه والعاملين الآخرين).

المندوب

: فتحت الجلسة أيها الرفاق، إن واحداً منكم، وبأمر من القضاء، سوف يعدم على المقصلة. (صياح) إنه بريء، وقد أدين لأنه كان بريئاً! هل ستدعون هذه الشناعة ترتكب؟ أولاً أعلنوا الإضراب في كل جمعيات المدينة! (صياح) ووجهوا نداء إلى جميع نقابات العالم قاطبة، لأن جريمة ترتكب ضد عامل في مكان ما من العالم تهم الطبقة العاملة في سائر أنحاء العالم والكون! لنطالب بالعفو الفوري عن دوران وإعادة النظر في القضية! وقعوا جميعكم من أجل العفو عن دوران! أنا الذي شاهدت والدي، ليس مقطوع الرأس بل مفتوح البطن، من قبل هذه القوى العمياء التي ندعوها بقوى الأمن... (صياح، تظهر جوليا) أيها الرفاق، إن شريكة حياة جول دوران تريد أن تخبركم بأمر ما.

جوليا

: (تعتلي المنصة. هتاف) إن المواطنة، أرملة كابرون، تريد أن يعرف الجميع أنها وقعت على عريضة العفو عن دوران، لأن إعدامه، كما قالت لي، سيخلف حقداً أبدياً بين الوسط العمالي الذي تنتمي وبناتها الثلاث إليه... (هتاف) لقد اتخذت قرارها في وضع مأساوي... لكنها تعلم أنه كانت هناك شهادات

كاذبة مقصودة، وهي تريد أن تقول ذلك أمام القضاة،
رغم أنهم أخطروها أنه سيقبض عليها عندئذ كشريكة في
الجرم.

(صياح. يحضر عامل وهو يلهث فيسلم ورقة إلى
المندوب)

المندوب : أيها المواطنون! احتجاجاً على الحكم الصادر على دوران،
فإن مرفأ دنكيرك قد أعلن الإضراب! (هتاف، ينشدون
الانترناسيونال. يصعد عامل آخر على المنصة). وكذلك
الأمر بالنسبة لمرفأ بورديو ومارسيليا وشربور التي تعلن
تضامنها! (هتاف، ثم، وبإشارة من المندوب، يصمت
الجميع، يسمع كلام بعيد، صراخ، شجار، وجل
إسبانية). أيها الرفاق، إن مرفأ ييلباو في حالة حصار.
لقد ثار عمال الفحم في إسبانيا من أجل إطلاق سراح
جول دوران (هتاف). الحركة تمتد إلى إيطاليا. نابولي
مضربة.

رسول : (يعتلي المنصة) أيها المواطنون! ليفربول قد أعلنت
الإضراب!

رسول آخر : إن حركتنا تأخذ بعداً يذهل ويلقي الرعب في قلوب
أرباب العمل. لقد قررت نقابات شيكاغو إعلان
إضراب تضامني.

المندوب : شيكاغو! قلعة العمل النقابي! شيكاغو، مدينة الشهداء
الستة الذين نحتفل بذكراهم في أول مايو (أيار)
(هتاف. طبل)

جوليا : استلمت رسالة من رفيقنا جول دوران . إنه يكتب إليّ من السجن : « لا أظن أبداً أن أناسا عديمي الذمة إلى هذه الدرجة يستطيعون الفوز! »

(هتاف ، كلا ، كلا!)

المندوب : لنواصل المعركة إلى أن نتزعه من زنزانة الإعدام ، حيث يرقب هذا البريء كل ليلة بزوغ الفجر في جزع ، ورأسه محلوقة ، وقدماه مغلولتان .

رسول : نقابات استراليا ، عمال سيدني ، بحارة ملبورن . . .

رسول آخر : عمال كارديف ، نيوكاسل ، وبيرمينغهام . . .

رسول آخر : مرافئ أنفير ، وكاديكس وهامبورغ مضربة! عاش جول دوران!

(هتاف)

المندوب : إن القيصر الطاغية ، امبراطور روسيا ، اللص ، قواد الجمهورية الفرنسية ، الذي سرق منا مرة أخرى وللتو خمسين مليون روبل ، قد أصدر يوم أمس فقط ثلاثة عشر حكم إعدام جديد ، نفذت كلها . (صياح) هل يريد أن يعطي دروسا لرئيسنا فاليار فيحوله إلى قاطع أعناق؟

جوليا : إن عاملات فرنسا يدعون للإضراب العام من أجل إنقاذ جول دوران .

(هتاف تحت المنصة إلى اليمين ، يظهر ركن من صالون
بوجنهارت)

ليز : (في لباس الفروسية) كم أنت مضطرب يا عزيزي
روسيل .

روسيل : أتفهمين الوضع جيداً؟

ليز : الآن عمالنا يحدثون بعض الشغب في الشوارع؟

روسيل : . . . في شوارع العالم كله .

أوليفيه : ماذا ينتظرون لتنفيذ الحكم؟

روسيل : حقاً أن شهيداً ميتاً أقل إثارة للمشاكل عموماً من شهيد
على قيد الحياة . . . لكنهم سيطلقون سراحه . . . فبعض
شهودنا تراجعوا عن أقوالهم .

ليز : لماذا؟

روسيل : إنهم خائفون!

ليز : (تقهقه) هم أيضاً؟

روسيل : لا شيء غير الحرب يمكن أن ينقذ البلد اليوم .

أوليفيه : الحرب!

روسيل : ما لم تحدث حرب ، فسوف تحدث ثورة! في روسيا لم
يسمح بأي تظاهرة تأييد لدوران . النظام مستتب هناك .
وفي حالة الحرب لن يسمح القيصر أبداً للثورة أن تستقر
في فرنسا .

- ليز : (أوليفيه) إن نشبت الحرب، فماذا ستصبح؟
- أوليفيه : ملازماً في الخيالة، سوف ألتحق بفرقتي منذ اليوم الأول.
- ليز : لروسيل وأنت؟
- روسيل : (مكتئباً) رقيباً في المشاة، الفيلق ١٢٩ . سألتحق أيضاً منذ اليوم الأول.
- ليز : كل هذا، وأنا أصطاد.
- أوليفيه : (لروسيل) ولو كان بريئاً، فهو قد خسر ليدفع الثمن! لما توفي لوك هل أغلقت بورصات العالم كله أبوابها احتجاجاً؟
- ليز : لكن، حذار من أن تلقيا مصرعكما في الحرب.
- أوليفيه : ليز، إنها لراحة كبيرة أن يعلم المرء أن روحه بين يدي الله.
- روسيل : نعم، لكنهم سيخلون سبيله! ولسوف يصبح رئيس المرفأ!
- (المنصة، تحضر جوليا)
- جوليا : أيها الرفاق! المواطن جان جوراس والمواطن أناتول فرانس من الأكاديمية الفرنسية هما في هذه اللحظة في قصر الإليزية حيث لا يلتزمان، بل يطالبان بالعفو عن جول دوران . (هتاف) ليس العفو من أجل إرساله إلى السجن المؤبد، بل الحرية الفورية . لأنه مصداقية لحكم صادر، بناء على شهادات زور. . .

المندوب : إننا لا نعرف سوى كلمة تجمع واحدة الحرية لدوران أو الإضراب الشامل!

(هتاف، طبل . تظهر تحت المنصة زنزانة دوران، بلا نور).

جول : أشعل النور! أشعل النور!

الحارس : الضوء للمحكوم عليهم بالإعدام، أما أنت فقد عدل حكم إعدامك إلى السجن سبع سنوات . الآن ستبقى سبع سنوات في الظلام . هل فهمت أيها المزعج؟

جول : أشعل النور!

الحارس : ما عاد بوسعي أن أقطع عنقك، لكن، إن سمعت صوتك مرة أخرى، فسوف أقطع عنك الحساء .

جول : لقد حكموا عليك بالإعدام مثلي لأنك كنت بريثا، فاستغلوك لتجريم أبرياء آخرين، يا ياسوع، الأشرار يختبئون خلفك، لكنني سأكشف النقاب عنهم . سأحطم جدران كل السجون بغضبي .

(يضرب الجدار بقبضته، قرع طبول)

الحارس : كف عن هذه الضوضاء وإلا ألبيتك سترة المجانين .

جول : أشعل النور!

الحارس : حسناً، سأضعك تحت الدش ثم أقيدك .

(يدخل إلى الزنزانة . صراخ . ظلام . نعود إلى المنصة)

المندوب

: الحكم قد ألغي . سيخلي سبيل دوران اليوم ! (هتاف)
والدته ووالده وشريكة حياته العظيمة قد ركبوا لتوهم
قطار الساعة العاشرة وعشر دقائق من أجل إحضار
شهيدنا من السجن حيث أقام في زنزانة المحكوم عليهم
بالإعدام، ثم في زنزانة المحكوم عليهم بالمؤبد . هذا
المساء وفي ختام نضالنا المثمر يكون جول بيتنا . (هتاف)
الواحد في سبيل الكل، كان يردد دوران، الكل في سبيل
الواحد، كان جوابنا ! فلتتواجد جميعاً، أمام المحطة،
حاملين الأعلام والزهور، لنستقبل أطهر فرد فينا برفقة
أسرته السعيدة أخيراً ! (أمام الزنزانة المظلمة، الأب،
الأم، جوليا، مسئول مستشفى الأمراض العقلية في
كاترمار، مسئول السجن والحارس، وقد أصبح الآن
رقيقاً كالفراشة . الأم تحمل أكياساً وقبعة لجول . القبعة
تسقط من يدها، فتساعدها جوليا على التقاطها،
فتستعيد منها لأنها تريد أن تحمل كل شيء
بنفسها . «قرع طبل خافت وطويل»)

الأم

: (المدير السجن). كنت أقول للجميع : ابني بريء .
وكان الجيران يظهرون عدم التصديق .

الأب

: والشهود الذين يتراجعون عن أقوالهم ! هؤلاء الخنازير
الذين يعترفون أنهم كذبوا .

الأم

: وأنا التي كنت أحترم القضاء لأنني كنت أعتقد أنه
لا يمكن أن يخطئ .

الطبيب : سيقول ابنك ذلك، وللأسف، سوف يردده على مسامعك دون توقف : لقد صلب المسيح بناء على حكم نظامي جداً . . .

المدير : أيها الطبيب، هل ستسبب له رؤية عائلته في صدمة فرح؟

الأم : «طبيب» ابننا ليس مريضاً؟

المدير : الطبيب هو مدير مستشفى كاترمار للأمراض العصبية.

الأب : مستشفى المجانين؟

الطبيب : لم يحتمل ابنكما السجن الانفرادي، ولا الشكوك التي أحاطت به، ولا الظلم والإدانة.

جوليا : ماذا تريد أن تقول؟

الأم : (تنحني لالتقاط القبعة، فيستبقها الحارس) شكراً لك يا سيدي، هذا لطف منك. لقد أحضرت بذلته الجديدة واشترت قبعة.

الأب : هل تأخذ الإجراءات وقتاً طويلاً؟ لأننا قبل ركوب قطار الساعة الثالثة وخمس وثلاثين دقيقة، نود الذهاب لتناول الغداء أربعتنا، في المطعم الذي كنا نقصده أثناء المحاكمة، فنعود إليه رافعي الرأس.

الأم : لا، سنذهب إلى مكان آخر! إن رائحة طعامه تقزز نفسي.

جوليا : أيها الطبيب . . .

- المدير : (للحارس) افتح وأضيء النور.
- الحارس : أمرك سيدي المدير.
- (تضاء الزنزانة)
- الأب : جول!
- الأم : (وقد جثت على الأرض) شكرا لك يا إلهي، ولمريم العذراء، ولسيدة الأمواج.
- جول : كلا! لقد تخلى عني والدي!
- الأب : أنا؟ أنا تخليت عنك يا بني؟!
- الأم : ولدي!
- جول : (ينزوي في ركن من الزنزانة) أطفئوا النور، فلا أحد سيتزعني من سواد الفحم.
- الطبيب : (للأب) كي يتقبل في وحدته فكرة إعدامه، اعتبر نفسه يسوع المسيح واستمر على هذا الاعتقاد.
- الأب : ماذا؟
- الطبيب : إنه يعتبر نفسه يسوع المسيح.
- الأم : هل آمن ابننا؟
- الطبيب : ليس تماما.
- الأم : إليك بذلتك الجديدة، يا ولدي، وقبعة...
- جول : لن أغادر هذا القبر إلا محاطا بكافة إخوتي...

- جوليا : جول ! إنهم ينتظرونك جميعاً على رصيف المحطة . . .
- المدير : (للأب) إن ابنك يتعرض لنوبات عنف ، خطيرة على من يحيط به .
- الأم : وماذا بعد؟
- الأب : (ممسكاً المدير من تلايبيه) الأرض كلها تعلم أن ابنتنا بريءة .
- الطبيب : هذا ما اعتقدته دائماً . فقد كنت رئيس المحلفين الذين أدانوا ابنكم .
- جوليا : أنت ، يا مدير مستشفى الأمراض العقلية؟
- الطبيب : هذا غير متوقع ، لكن هذا ما جرى . وقد كنت الوحيد الذي صوت على البراءة .
- جول : أطفئوا النور . لا تضئوا العذاب ، فهو عبثي !
- جوليا : وهل اعتقد حقاً سائر المحلفين أنه كان مذنباً؟
- الطبيب : من أجل طمأنيتهم ، لأنهم كانوا خائفين على محاصيلهم ، خائفين على مدخراتهم . . .
- الأب : إليّ بعنوان كافة سائر المحلفين .
- الأم : لا تغضب يا أبا جول . يكفيني ما ألمّ بي من حزن . . .
- الأب : أيجب لهم أن يذهبوا بعقل بريء ويواصلوا العيش بكل راحة بال؟
- جوليا : والقضاة؟ ماذا حل بالقضاة؟

- الأم : سامحهم الله!
- الأب : لكن أتراهم يستمرون في إصدار الأحكام؟
- الطبيب : هذه مهنتهم.
- الأب : إذا فالعدالة هي أيضا بلد الخنازير!
- جوليا : هل ستأخذونه إلى مستشفى الأمراض العقلية؟ أهنأك أمل في شفائه؟
- الطبيب : نعم ، لكن بمعجزة . . .
- الأم : (بانفعال شديد) سأحتاج أيضا إلى معجزة كي أجد ولدي؟
- الطبيب : (للأب) ستوقع عنه ورقة إخلاء سبيله . وحكومة الجمهورية تتكفل بسائر نفقات المستشفى .
- الأم : وماذا أفادنا كل العذاب الذي تعذبناه؟
- جوليا : سيدي المدير ، أيجب للذين فقدوا عقلهم الزواج؟
- الطبيب : لا يا آنستي . لا يجب للمجنون أن يتزوج .
- (تنهار جوليا)
- جول : أنقذوا كل البشر فوراً وإلا حطمت كل شيء ، فشقاء البشر ما عاد يطبق الانتظار.
- (يسيطر الحارس على جول . الأم تبكي بين ذراعي الأب).

- جوليا : جول، وطفلنا الذي لن يعرفك .
- جول : وشقاء البشر، ماذا يفعل به أولئك الذين يعيشون في رغد عيش؟
- (تضياء المنصة ثانية . قرع طبل بطيء مأسوي)
- المندوب : أيها المواطنون، لم يستطع رفيقنا دوران ركوب القطار. لن يتسنى لنا أن نرى بعد الآن رفيقنا جول دوران .
- (الرايات الحمر تنكس . قرع الطبل يخف والنور ينطفئ ببطء).

النهاية

اقتسام الظهيرة

تأليف : بول كلوديل

ترجمة وتقديم : محمود قاسم

مراجعة : د. عبدالغفار مكاوي

العنوان الأصلي للمسرحية

Partage de Midi

مقدمة

رغم أن بول كلوديل واحد من أشهر كتاب المسرح الفرنسي الحديث، إلا أن أحدا من المترجمين العرب لم يجرؤ على الاقتراب من مسرحياته لعدة أسباب، لعل من أهمها صعوبة وخصوصية اللغة التي يكتب بها. فهي لغة ذات مذاق خاص، وتعبيرات «كلوديلية» سواء في مفرداتها أو في معانيها أو في تركيبات عباراتها.

ورغم أن العالم العربي ملئ بسلاسل الكتب المهمة بترجمة المسرح العالمي، إلا أن أيا من هذه السلاسل لم ينشر مسرحية واحدة للكاتب، الذي أثار مسرحه الكثير من النقاش، لا فيما يتعلق باللغة فحسب، بل فيما يتعلق بموقفه من الدين والحياة والمجتمع.

وقد اخترنا أن نقدم مسرحية «اقتسام الظهيرة» لكلوديل لكونها إحدى مسرحياته التي لا يبدي فيها الكاتب شيئا من مواقفه وآرائه المتشددة، وإنما حاول فيها أن يصنع تناغما لغويا خاصا، لا هو بالشعر، ولا هو بالثر، ولا هو بالشعر المتثور. فهو يختلف تماما عن لغة كل المسرحيين المعاصرين والأقدمين. وكما تقول كلودين شونيه فإن «لغة كلوديل، هي في المقام الأول ثرية بمجموعة من المعاني المترجمة في إيقاع واحد، وتعكس بعض صور العالم، وهي مصنوعة في المقام الأول لتناسب مع حس الفكر»^(١).

ويهمنا قبل أن نتناول مسرح كلوديل ولغته، أن نستعرض حياته، والعوامل المؤثرة فيها، والمحيط بها.

ولد بول لوي - شارل ماري كلوديل في مدينة فينيف - سير فير Villeneuve sur - Fere في السادس من أغسطس عام ١٨٦٨ في أسرة بسيطة لأب يعمل موظفا في تسجيل العقارات، وهو الابن الثالث والأخير لأبيه بعد شقيقتيه لويز وكامي، وقد اتسمت هذه الأسرة بالتدين الشديد، فعم أبيه هو القس سرفو الذي مات بعد عام واحد من وفاة بول، وترك أثره

الملحوظ في الأب وبقية أعضاء الأسرة . . فما أن اقترب الصغير من سن الخامسة حتى أرسله أبوه إلى مدرسة الأخوات المسيحيات في بارلوديك كي يتلقى تعليمه الأولي . . ووجد نفسه في جو ديني عليه أن يتعلم فيه كل ما يتعلق بالدين والحياة والآخرة . . وقد ظل الصغير في هذه المدرسة إلى أن بلغ الثانية عشرة من عمره، ورحلت الأسرة إلى مدينة واسى للإقامة المؤقتة بها . . إذ ما لبث الأب أن شد رحاله مع أفراد أسرته إلى باريس في عام ١٨٨٢ للإقامة الدائمة بها . والتحق الصغير بمدرسة ليسيه لوى لوجران، وفي هذه المدرسة أبدى نبوغا في نظم الشعر، ودراسته، لدرجة أنه حصل في عام ١٨٨٣ على جائزة الشعر الأولى، وقام المستشرق والمؤرخ المعروف إرنست رينان بتسليم الجائزة للشاعر الصغير . وكان هذا اللقاء سببا في تحول ملحوظ في حياة كلوديل الذي أعلن أن رينان كان ماثلا دائما في خياله طوال إبداعه وكتابات . .

وقد سعى كلوديل إلى مقابلة كتاب عصره، ومحاولة السير في ركبهم . ففي عام ١٨٨٥ قرر أن يسير في جنازة الشاعر والروائي فيكتور هيجو تعبيرا عما يكنه له من إعجاب وحب، ورغبة في رؤية الأدباء عن قرب وهم يحضرون مراسم الجنازة .

وإذا كان كلوديل قد اعتبر أن لقاءه برينان هو الخطوة الأولى نحو طريق مهده جيدا من أجل السير على دربه، فإنه يؤكد أن يوم ٢٥ ديسمبر ١٨٨٦ هو نقطة التحول الحقيقية . ففي هذا اليوم قرأ لأول مرة ديوان الشاعر رامبو «فصل في الجحيم»، وفيه كتب قصيدته «هدى» . . التي اعتبرت من أبرز أعماله وأكثرها تميزا . . وفي العام التالي انبهر الشاب حين سافر إلى روما، وفي شوارع المدينة راح ينظم الكثير من القصائد التي استوحاها من التوراة ومنها «مايو المظلم» و«أغنية الخريف» وأرسلها إلى الشاعر الرمزي مالارمي تعبيرا عن إعجابه به .

يقول أندريه آلتيه إن كلوديل تأثر تأثيرا كبيرا بأشعار رامبو، وخاصة في

ديوانيه «إضاءات» و«فصل في الجحيم»، في تشكيل لغته الشعرية وإبداع أشعاره الأولى. وإذا كان كلوديل مديناً لرامبو، فإن العلاقة بين الاثنين قد ذهبت من الناحية الأدبية، إلى أبعد حد ممكن. لقد كان رامبو بمثابة الأب الروحي لكل إبداع كلوديل فيما بعد، وسيطر على مفاهيم الكاتب ومعرفته، وكأنه قد رشف من إبداعه مثلما يرتشف الرضيع من ثدي أمه.. (٢).

ويرى آلتيه أن كلوديل تأثر أيضاً في هذه السنوات بأشعار فيكتور هيجو. فقد علمه كيف يتأمل الأشياء، وكيف يتصل بها ويحاورها ويعرفها ويتحد معها حتى النخاع، ومثلما جاء في كتابه «القصاصد».

هكذا عندما تتكلم أيها الشاعر، عن المباهج المتعددة.

وأنت تسمي كل شيء باسمه.

كالأب، الذي تناديه بغموض في منبعه وماضيه.

فأنت تسهم في خلقه، وتندمج في وجوده.

وفي عام ١٨٨٩ نشر كلوديل الطبعة الأولى من كتابه «الرأس الذهبية».. كما اتجه في تلك الفترة للاهتمام بالعلوم. وربما دفعه إلى ذلك إعجابه الشديد، كما سبق القول بـ «إرنست رينان» الذي نشر في عام ١٨٩٠ كتابه «مستقبل العلم»، وقرر أن يسير على هدي أستاذه فالتحق بمدرسة الشرقيات من أجل دراسة اللغات الشرقية، وقضى الفصل الدراسي الأول في مدرسة الشؤون الخارجية، لكنه لم يلبث أن توقف عن استكمال الدراسة، وراح يتردد على كاتدرائية نوتردام كي يستقي منابعه الأخرى.. وحينئذ نشر قصيدته «المدينة» في كتيب صغير..

في تلك السنوات تعددت اهتمامات كلوديل وحاول أن يجد لنفسه خطاً أدبياً متميزاً دون أن يستقر بشكل واضح.. فراح يترجم فصولاً من مسرحية أورستيس لأسخيلوس، ثم توقف عن الترجمة كي يكمل كتاباً آخر له عنوانه «الشابة النرجسية» عام ١٩٠٣، وهو نفس العام الذي عيّن فيه قنصلاً بمدينة بوسطن بالولايات المتحدة، وظل هناك لمدة عامين أنهى خلالها كتابه

«التبادل»، ونظم بعض القصائد الثرية التي نشرت فيما بعد تحت عنوان «معرفة الشرق»، هذا الشرق الذي جذب إليه الكاتب بشكل ملحوظ فأخذ يتطلع إلى السفر إليه . وبالفعل قرر أن يسافر إلى شنغهاي والإقامة بها بعض الوقت . . وسعى إلى أن يتولى منصبا دبلوماسيا هناك ، ونجح في أن يصبح نائبا للقنصل الفرنسي في إحدى المدن الصينية ، وما لبثت الحياة الوظيفية أن استغرقت بعض الوقت ، فراح يفاوض من أجل إقامة خط حديدي بين المدينة التي يقيم بها «هان كيو» وبين العاصمة «بكين» . . وحتى لا ينسى الشاعر الذي ينبض في داخله ، كان يسعى إلى إعادة طبع كتبه مرة أخرى . . مثل «الشابة النرجسية» و«المدينة» ، وفي عام ١٨٩٨ غادر الصين إلى اليابان للإقامة بها بضعة أسابيع قبل أن يعود إلى بلاده .

وفي باريس وجد الشاعر نفسه يعاود سيرته الأولى . . فكتب القصائد الثرية الغريبة الشكل واللغة ، ونشر بعض قصائده التي سميت بـ «خمس قصائد كبيرة» .

وفي عام ١٩٠١ عاد كلوديل مرة أخرى إلى الصين . وفي مدينة «فو-تشيو» راح يعد قصائده للجزء الثاني من كتابه «معرفة الشرق» . وتابع نشر أعماله ، وقرر أن يتجه لأول مرة للمسرح ، فنشر مسرحيته الأولى «الشجرة» عام ١٩٠٣ .

وفي عام ١٩٠٥ أنهى كلوديل فترة إقامته وعمله في الصين ، وعاد إلى فرنسا مرة أخرى حيث تم تعيينه قنصلا من الدرجة الأولى ، وعكف في نفس العام على ترجمة أشعار الكاتب الأمريكي إدجار آلان بو بعنوان «حكايات الأسود» . . وانتهى من تأليف مسرحية «اقتسام الظهيرة» . .

وفي عام ١٩٠٦ تزوج بول كلوديل من ابنة أحد المهندسين المعماريين ثم رحل مع زوجته إلى الصين كي يعمل قنصلا في العاصمة بكين ، وسكرتيرا أول لدولته هناك ، وفي تلك الفترة عكف على تأليف كتابه «روح الماء» . . ورغم وجود زوجته معه ، ورغم إقامته السابقة في الصين ، فإنه كان يحس بغربة شديدة مما دفعه إلى كتابة مجموعة من المراسلات المتبادلة مع صديقه الكاتب

جاك ريفير لم تتوقف حتى عام ١٩١٤ . وفي عام ١٩٠٧ انتهى الكاتب من تأليف مجموعة أخرى من إبداعاته منها «تسيحة البتول» و«القطوف»، وبينما هو يكتب «الرهينة» رزق بابنه الأول بيير في عام ١٩٠٨ . . وفي إبريل من العام التالي عاد مرة أخرى إلى فرنسا قبل أن يسافر للعمل في براغ محطة الدبلوماسية الثالثة بعد كل من الولايات المتحدة والصين، وأقام هناك لسنوات أخرى لم ينقطع خلالها عن الحركة الأدبية الفرنسية. ففي عام ١٩١١ أسس «المجلة الفرنسية الجديدة» بالاشتراك مع كل من أندريه جيد وجاك ريفير وجاستون جاليهار، وفي عام ١٩١٣ رحل إلى هامبورج بألمانيا ليعمل قنصلا عاما، وهناك قرر أن يكمل ترجمة مسرحية أورستيس، كما بدأ في تأليف مسرحية «الخبز الجاف»، وقد ظل كلوديل في هامبورج إلى أن اندلعت الحرب العالمية، وأنهى هناك مسرحيته «الخبز الجاف» ثم كتابه «قربان الزمن». وفي عام ١٩١٥ سافر إلى روما من أجل الإشراف على مشروع الخط الحديدي بين فرنسا وإيطاليا، ثم رحل إلى البرازيل حيث انتهى من تأليف «الأب المهان»، وانتهى من ترجمة مسرحية أورستيس كاملة ودفع بها إلى الناشر.

ورغم أن كلوديل قد ترقى في المناصب الدبلوماسية، فإنه لم يتوقف عن الإبداع، بل عرف في تلك السنوات بغزارة إنتاجه. فقد تباعت أعماله المسرحية والشعرية ومنها مثلا في ١٩١٧، «الدب والقمر» و«الإنسان ورغبته» وديوانه «أوراق القديسين» عام ١٩١٨، ثم عاد إلى اليابان سفيرا في عام ١٩٢١ حيث عكف على تأليف مسرحيته الشهيرة «حذاء الشيطان»، وتوالت أعماله في طوكيو فنشر «المرأة وظلها»، إلا أن زلزالا أصاب المدينة عام ١٩٢٣، وفقد خلاله الجزء الثالث من «حذاء الشيطان» مما دفعه إلى أن يعيد كتابة المسرحية بالكامل، ونشر انطباعاته عن اليابان تحت عنوان «نظرة على الروح اليابانية».

ووسط غزارة إنتاج الكاتب، كانت التنقلات الدبلوماسية لا تنتهي، فسافر في نهاية عام ١٩٢٦ إلى واشنطن للعمل سفيرا لبلاده، وهناك كتب «الطائر الأزرق في الشمس المشرقة».

وقد أقام هناك قرابة ست سنوات لم تشهد خصوبة المرحلة اليابانية ، إلا أنه عندما عين في بلجيكا سفيرا لبلاده عام ١٩٣٣ راح يمطر المطابع بالعديد من المؤلفات منها «جان دارك في المحرقة» عام ١٩٣٤ و«السيف والمرأة» عام ١٩٣٥ . وشغلته أمور الحياة فتوقف لسنوات عديدة عن الكتابة شهد خلالها الموت يتسرب إلى عائلته ، ففقد أخته كامى كلوديل وابنه الأصغر وفي عام ١٩٤٦ تم انتخابه عضوا في الأكاديمية الفرنسية . وتوقف تماما عن الإبداع حتى وفاته في ٢٢ ابريل عام ١٩٥٥ .

والغريب أن آخر كتاب قرأه جان كلوديل في حياته قبل الرحيل كان عن رامبو الذي تأثر به تأثرا واضحا في كل كتاباته .

يقول أندريه آلتيه في كتابه عن كلوديل أنه لم يكن يؤمن بضرورة المعرفة للأديب . فقد كان يخاف من تأثير المعرفة على الإبداع ، ولذلك لم يحاول أن يتخصص في نوع معين من الكتابة .

وقد كان كلوديل يعتقد بأن هناك قنوات خاصة تربط بين فنون الإبداع التي مارسها ، لا سيما الشعر والدراما وبعض الصفحات من سيرته الذاتية التي كان يكتبها بين وقت وآخر^(٣) .

ولعل أهم مدخل إلى كلوديل هو الحديث عن لغة المسرح عنده بصفة خاصة ، لأن هذه اللغة تنعكس على شعره ، ومفتاح الدخول إلى لغته هي العبارة التي قالها الناقد جول رينار في يومياته «يتكلم كلوديل مثل آلة الكلام ، فشفتاه تتحركان بثاقل واضح عاكسة العنف الموجود في الجو ، فهو يتكلم بنظام مضرب التنس»^(٤) .

وسوف نلاحظ صدق هذه العبارة على كل الحوار الذي كتبه كلوديل على لسان أبطاله في مسرحياته وليس فقط في «اقتسام الظهيرة» ، ولعل هذه اللغة أن تكون نابعة من إعجاب كلوديل الواضح بأشعار وشخصية الشاعر رامبو ، الذي كان يرى أن لغة الشعر هي لغة الكلام الآلي . وأن على المثقفين ألا يقربوا إبداع الشعر لأن الثقافة تفسد تلقائيته ، وكلما ارتفعت حصيلة المرء من

المعرفة، ضعفت طبيعة الشاعر فيه وأخذ يحسب العبارات التي يشتقها بما يتناسب مع ما ينظمه . .

وقد أكد الشاعر هذا الرأي في إحدى مقالاته التي نشرت في كتاب «أوضاع واقتراحات» عندما قال:

«يتضارب الفكر بين كل من المخ والعقل، وجهازنا التفكيرى يحمل عبئا ثقيلا لا يتفق مع الخط المتقطع، وهو يشع بالضوء ويهتز من الأفكار الجديدة والصور، والذكريات والمفاهيم والمصطلحات ثم يتحدد قبل أن يعي الفكر نفسه في مشهد جديد. ومن خلال هذه المادة الأولية، تصيب الأديب حالة تجل أو إشعاع في عقله وذوقه، وتقوده إلى هدف ربما يكون أكثر أو أقل غريزية فيعمل، ولكن من المستحيل أن نعطي صورة حقيقية عن مسار الفكر إذا لم يؤخذ التناوب في الحسبان.

ومنذ أن كتب الشاعر أولى قصائده، ومرورا بكل أشعاره وحوارات شخصه في المسرحيات وهو مؤمن بضرورة الابتعاد عن آلة الكلام التي يستخدمها المرء في حياته اليومية، عن الكلمات المنمقة المتسقة التي تجعل المعنى على وتيرة واحدة ولنفس الكلمة، مما يفقدها روحها ونبضها وانعكاساتها المرتبطة بإحساس التوتر والسعادة الحقيقية مثلا. فالكلمة المنطوقة والمكتوبة هي في الغالب حالة معرفية عن شيء يفوقها، حالة وجدانية وإحساس داخلي. لذلك كان على الكاتب، والشاعر بصفة خاصة، أن يستخدم تعبيرات خاصة هي مثل اللون في اللوحة، ليس من أجل «الديكور» والتجميل، بل لأجل أن تعكس حالة نفسية خاصة من الفنان إلى المتلقي. يجب أن تكون الكلمة الشعرية، والحوارية، عند كلوديل أشبه بالنغمة الموسيقية ذات المعنى المجرد ماديا. ولذلك فإن حالة المعرفة، وحالة البهجة والسعادة لا تتعارضان فيما بينهما إذا استخدمت الكلمة الصادقة التعبير عن الحالة النفسية البعيدة عن النمطية. ويمكن القول، كما يرى أندريه آلتيه، إن المسيرة التي تؤدي إلى الإبداع هي محاولة لممارسة البهجة. والاختلاف الرئيسي

بين كاتب وآخر هو العبارة التي يستخدمها من أجل التعبير عن حالة الأشياء . وكما يقول كلوديل : «نحن نعلم القارئ ، نشركه معنا في حالتنا الإبداعية والشعرية ، ونضع في الفم السري لعقله عرضا لشيء ما بشعور ما يتناسب مع فكره وتركيبه العضوي الطبيعي للمفاهيم» .

وسوف نرى تطبيقا واضحا لهذه المقولات في مسرحية «اقتسام الظهيرة» . لكن من أبرز ما جاء من تعبيرات للكاتب ، وهي تركيبات يصعب ترجمتها بدقة ، ماورد في إحدى مسرحياته :

واحد ، واحد . واحد . واحد . واحد .

بأن (لاشيء) بأن (لاشيء) ، بأن (لاشيء)

الهجاء الأساسي ، في وقت ضعيف وزمن قوي .

ويرى «آلتيه» أن كلوديل أراد العودة بلغته وأشخاصه إلى الطبيعة حين كان الإنسان يتعلم الكلمات للمرة الأولى وبمعانيها المجردة . ولقد كانت الكلمات ، ولاتزال ، عاجزة عن الوفاء بكل ما تحمله النفس من جيشان الأحاسيس . والشاعر هو الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يستخدم الكلمات كي يخلصها من معناها التقليدي ، وهو الذي يمكنه أن يتأمل الجمال الكوني كي يعكسه في مشهد من مشاهد الإبداعية⁽⁵⁾ .

وإذا كان كلوديل قد استقى هذه المفاهيم من رامبو ، فإنه مدين من ناحية أخرى للارميه الذي أعطاه الدرس الأكبر ذات يوم حين قال له : كل ما أتيت به إلى الأدب ، أنني لم أحاول أن أردد وأنا أكتب أحد المشاهد : «ماهذا؟» بل حاولت أن أصف الأمر بأفضل مايقال وأن أردد حقيقة : «ماذا يعني هذا؟» . .

هكذا حاول كلوديل أن يحطم الحدود بين المعاني التقليدية للكلمات والمعاني المنشودة لها في مفهومه الخاص ، مؤمنا بأن أهمية الكلمة التي يستخدمها تجيء من الرد على السؤال الذي سبق أن طرحه وهو : «ماذا تعني هذه الكلمة؟»

والبحث عن المعنى هو هدف الشاعر والكاتب في المقام الأول قبل إيجاد الكلمة المنشودة. ومن هنا تجيء صعوبة النص. فعلى الكلمة أن تقترب تماما من معناها الذي يريده الكاتب، والذي يحسه أبطال مسرحياته.

ويستطرد أندريه آلتيه قائلا: «يجب أن نحدد أولا أن هذا الشعر الذي يكتبه كلوديل، لا يعود إلى أصوله إلا بمحاولة أمينة لتجريد الهجاء الأساسي».

وقد وصف لنا كلوديل ذلك في الطبعة الثانية من مسرحيته «المدينة» عن الشاعر الذي أصبح قديسا:

يا بني! عندما كنت شاعرا بين البشر،
أبدعت هذا الشعر الذي لا يقاس بالقافية ولا بالوزن،
وأنا أزخه في سر قلبي بإحساس مزدوج وليس له نظير،
فيه يرتشف الإنسان الحياة، ويندمج داخل المشهد النهائي للزفير.

وحول هذا النص قال ستانيسلاف فيمييه: «إن الشعر الثري الذي كتبه كلوديل هو في الأساس نبض القلب، وحركة النفس، وهو لا يتميز في تلك الحقة بالشعر الدرامي لمسرحه».

فهناك لحظة يكون على الشاعر فيها أن يبرهن على حاجته للانطلاق وإصابته بالملل والتخلص من التوتر الدرامي، وعليه أن يتبنى بعض الأشعار، ويعاود تنظيم كلمات القصائد التي سبق أن كتبها^(٦).

آمن كلوديل بأن المسرح هو أهم فنون الدراما التي يمكن أن يستخدم فيه مفاهيمه حول اللغة والشعر، فهو قائم على الحوار المكثف والمتعاقب الذي يعبر عن آراء الشخص ومشاعرها في حالات متتابعة، متناقضة أو متناسقة فيما بينها، ولذلك اهتم بالمسرح من خلال ما أسماه بالشعر المنشور الذي لم يتعد فيه عن تأثره بشاعره المفضل رامبو.

ولا يمكن الحديث عن لغة الشعر عند كلوديل دون أن نقرن اللغة بالزمن الذي تتردد فيه أو المكان الذي ينوء بأصدائها. فالزمن عند الكاتب يؤدي

دورا هاما، والكاتب يسعى في المقام الأول إلى معرفة الزمن، والتخاطب معه والاندماج داخله حتى لو انعدم من بين يديه، وقد خصص الكاتب أندريه فاشون كتابا بأكمله عن «الزمان والمكان في أعمال بول كلوديل». . (٧)، أكد فيه أن الشاعر قد اهتم بإيجاد زمنه الخاص من أجل الانطلاق من هذا العالم، وذلك في محاولة للاتجاه الحقيقي ناحية الله، محطها كافة أشكال الأزمنة التقليدية المتعارف عليها، والتي تمكنا من قياس الحد الذي يرتبط به عمله بالزمن، والشهر هو في الأصل مجرد مشروع، وأسلوب وجود، وبهذه السمات الأساسية لا يكون التعبير الكلوديلي الشعري سوى حالة من التخيل البالغ الخصوصية والخيالية، مرتبطة بإبداع وزمن الشاعر للتوحد، ورغم ذلك فإن كلوديل لم يكن أبدا مشروعا، وإنما كان محاولة للقفز بالشعر ناحية الله، وهو الكائن في كل زمان ومكان. ويستخدم كلوديل لغة موسيقية شعرية في مخاطبة الله بما يتناسب مع مكانته القدسية والروحية، وقد ساعده ذلك على أن يحس بمدى عجز الكلمات عن التعبير عن الخالق العظيم الذي أبدع الأشياء في صورتها العظمى التي نراها في الكون. ولذلك فاللغة التي يناجي بها الشاعر ربه هي في المقام الأول لغة مفهومة للخالق العظيم.

ويؤمن كلوديل بأنه لا توجد مصادفات في الشعر الحقيقي. . بمعنى أن تلعب المصادفة دورا في تميز قصيدة أو إبداع لنفس الكاتب عن آخر. . فاللغة هي الأداة الأولى في نفس الشاعر ويمكنه استخدامها بما يمتلك من أدوات هذه اللغة، وذلك مثلما جاء في كتابه «ربة الفن»:

«فلأعرف دوما ما أقول، فلاأكن ملحوظة في عمل! فلاأفن في حركتي!
لا شيء عدا لكزة يد صغيرة كي أسود. لا فليس وزني كنجم ثقيل عبء مرثية
متشابكة كجموع النمل».

ويهمنا هنا أن نشير إشارة عابرة، إلى العلاقة التي ربطت بين بول كلوديل وبين خالقه الذي أحبه حتى النخاع، وكرس أكثر كتاباته للتعبير عما يجيش في قلبه نحوه. . فالله وحده هو مركز الكون، وهو الكائن الوحيد الموجود بيننا

البشر قانون، والعدم موجود دائما خارج الكيان الإلهي، والخلق هو فكر الله كي يفني العدم. فكل ماهو موجود أو على قيد الحياة هو نتاج يتخلله الوجود مع العدم، وذلك مثلما جاء في مسرحية «حذاء الشيطان» حيث طرح السؤال التالي:

دون كامبي: هكذا، ماهو العدم الذي ود الله أن يضعه في صدر أمره؟

دونا بروشيز: هل كان ينقصه شيء؟

فالله يسمح للخلق أن يستقبلوا شرف العدم، ومسيرة الوجود ناحية العدم ربما كانت هي الحب النقي، والأشياء لا تتحقق بوجود الله بداخلها، أو كما يؤكد كلوديل «هذا العالم الواسع الذي يحوطنا بالذين يجيدون الحب والخيانة، واللقاء والفراق».

هذه لمحات من رأي وموقف كلوديل من المسرح. فهو، كما جاء في كتاب «آلتيه»، المقياس الذي يقيس به الشاعر مستوى زمنه وعصره.

وكلوديل لم يحاول أن يتكلم من مقعد المتفرج، بل أن يتكلم من مكان عال. لقد كان عليه اختيار لغته الخاصة التي يجب على الجمهور أن يفهمها ويرتقي إليها كي يحدث التلاقي بين الكاتب والجمهور.

وقد حاول كلوديل أن يطبق مفاهيمه عن الشعر في كل مسرحياته، ابتداء من أعماله المبكرة إلى آخر مسرحياته، وكان يسجل هذه الآراء في يومياته، كما كان يملئها على النقاد الذين يتابعون أعماله. ومن المعروف أن كلوديل كانت تربطه علاقة غريبة بالنصوص المسرحية التي يكتبها. فهو دائما في حالة تأليف لهذه المسرحيات، يضيف إليها أو يحذف منها ما يشاء. . وعند الطبقات الجديدة لهذه النصوص كان يجري الكثير من الإضافات والتغيرات للنص المطبوع.

يتحدث بول كلوديل عن اللغة الشعرية في مسرحيته قائلا:

«أعتقد أن الفكرة الأساسية لهذا العمل باللغة البساطة وأنه ليس من السهل أن نلخصها في بضعة كلمات».

لقد صدمت دوماً من واقع المعرفة المنطوقة . أي سلطة المعرفة الداخلية للإنسان ، فهي أصل المعنى ، وهي تعني الذكاء ، وهي تشكل الوجود الداخلي للإنسان . هناك دائماً في الحياة ، وفي المسرح أشياء عديدة تمتزج ، هناك الذكرى ، والإرادة ، والذكاء ويقال إن كل هذه الكليات تشغل في كل إنسان ركناً صغيراً ، وإنها الواحدة وراء الأخرى ليست سوى علاقات يمكن أن تقول «عالمية» رسمية . ولكن يمكننا أن نعرضها بشكل منفصل . أجد هذه الفكرة مزيفة تماماً ، وأجد أنه ليست هناك كليات إنسانية معزولة أو منفصلة عن الأخرى ، وأنه يمكن أن نوظفها دون أن تكون للأشياء الأخرى أي أهمية . حتى في علوم الرياضة ، فالذكرى ، والإرادة ، والإحساس ، والشعر ، والوجدان ، تلعب هذا الدور ، لكل منها دور منفصل ، وفي المعرفة الفنية وفي المعرفة الحسية فإن هذه الأمور قد اتفق عليها علمياً فوراً المشاعر المنطوقة تكمن الذكرى ، ويوجد الذكاء ، وهذا كله شيء مهم . ويمكن إضافة أن الإنسان في داخله كائن لا ينفصل ، مثلما يقول الإنجليز «لا يمكن فصل مكونات العجة» وأرى أنه لا يمكن ، مثلما يفكر الهندوس مثلاً ، أن نشر الإنسان في طبقات مثلما يفعلون مع الجهاد . يقال إن للبصل ١٧ طبقة ، ويبدو أننا نفترض أن للوجود الإنساني طبقات متراكبة يمكن أن نعزلها . أنا لا أؤمن بذلك ، فالوجود الإنساني كلي وكامل ، ولكل إنسان كلياته ، وقد خلقه الله هكذا»^(٨) .

وقد آمن كلوديل بأن الإنسان في حالة صيرورة ، وأن النص بالضرورة يجب أن يعيش في صيرورة . فقد أخذ يغير من هيكل مسرحية «المدينة» التي كتبها في فترة مبكرة من عمره حتى آخر طبعة لها في حياته ، وكم وجد متعة في هذا التغيير .

والدليل على هذا أيضاً أنه انتهى من تأليف مسرحية «اقتسام الظهيرة» في عام ١٩٠٦ ، واختار أن يصوغها باللغة التي اختارها لنفسه في بقية مسرحياته ، وهي لغة الشعر المتشور أو الشعر الشعري ، وقد ساعده في ذلك موضوع المسرحية نفسها : حكاية الزوجة التي يعيش في حياتها ثلاثة رجال ، المرأة الملتهبة

المشاعر بين زوجها وحبيبها سهلة الانتقال بين هذا وذاك ، تتصرف كما تشاء ، ويمكنها أن تعيش لحظتها ، فتحس أنها أبدية . .

يتحدث كلوديل عن عام ١٩٠٦ الذي كتب فيه هذه المسرحية قائلا :
«تعتبر هذه السنة بالنسبة لي بمثابة تغير جذري لوجودي يمكن أن نشبهه بأنه حالة من التدفق ، أو التغير الكامل . لقد تزوجت ، مما يعني أنني تحملت مسؤوليات جديدة ، ولأول مرة تبدو الأمور واضحة أمامي على مسافة تمتد بعيدا ، مما دفعني أن أعتبر فني كحالة انبثاق واكتشاف ، وأن هناك اختلافا .

«في عام ١٩٠٦ كنت أعد دراساتي . وشكل هذا العام بداية للتوغل في منابع التي رحت استلهمها . وبصفة عامة يمكن أن أقول أن هذا العالم بدأت في الرضى به ، وفي ممارسته ، وكل ما فعلته حتى تلك الآونة هو حالة من التقصي ، والبحث في جهات مختلفة ، البحث عن أشياء أكثر أو أقل نجاحا ، رغم أنها تحقق وجوداً أستطيع أن أكون راضيا به عن اقتناع . لم تكن أمامي أمور جسيمة علي أن أغيرها ، بل علي أن أعمل من جديد كل ما سبق أن عملته ، وكل ما فعلته في أعمالى السابقة . . .»^(٩) .

تدور الأحداث في مسرحية «اقتسام الظهيرة» في إحدى المستعمرات الفرنسية في الهند الصينية . والشخصية الأساسية هي امرأة محاطة برجلين ، وعليها أن تصنع توافقا خاصا فيما بينهما . . هي امرأة متقلبة العواطف ، مشتعلة الأحاسيس ، يمكنها أن تنطق نفس التعبير بنفس الحرارة لرجلين مختلفين ، أحدهما زوجها والآخر عشيقها . . لقد أحاطت هذه المرأة «إيزة» نفسها برجلين : الأول الثري «ميزا» الذي يملك الأساطيل والضياع في الصين ، والآخر «أمالريك» زوجها منذ عدة سنوات الذي تدفعه ظروفه الاختيارية والجبرية إلى الرحيل .

وهي امرأة مدللة ، تنظر إلى لرجل ككائن أساسي في حياتها ، ولا بد أن تحاط برجل يرفه عنها ، فإذا رحل الزوج وتركها مع طفلها ، حرصت أن تتدثر برجل جديد يلهيها بنفس الكلمات . فهي تردد في المشهد الأول من المسرحية مخاطبة الرجلين ، قبل أن تتكشف حدود العلاقة بين الثلاثة :

« . . لابد أن تبقي هنا أنتما الاثنان كي تتحدثا معا وترفها عني » ثم ترسل الخادم سيزكي ليجث لها عن مقعدها الطويل ، وعن مروحتها والوسائد التي ستكئ عليها ، فضلا عن علبة الأظافر وكتاب وقينة الملح الخاصة بها . .

وإيزة كما يردد زوجها لعشيق المستقبل ميزا هي امرأة فاتنة . إنه يقول له في بساطة بالغة : « إذا كنت تريدها ، فلا تنتظر شيئا يا عزيزي ، إنها امرأة رائعة » .

ترحل هذه المرأة لأول مرة في حياتها من مارسيليا إلى إحدى المستعمرات الفرنسية ، من جو المدينة الفرنسية المنعش إلى جو حار خانق ، تاركة في مارسيليا العالم الذي تحبه . امرأة يرى زوجها أنها يمكن أن تعطي نفسها لأي شخص برعونة . « إنها للأسف مثل مهرة كبيرة لاهثة ، نوع من فرس السباق ، يمكن أن يسليني بالركوب فوق ظهره لو كان لدي وقت ، لكنها بلا فارس ، مع هذه الجياد الصغيرة التي تتبعها ، إنها تجري كالفرس العاري تماما ، أراها وقد تملكها الجنون ، تحطم كل شيء ، وتحطم حتى نفسها ، إنها غريبة بيننا ، وكأنها ليست من بلدها وجنسها ، كأنها زعيمة نسائية ، تقيدها التزامات ضخمة ، وسرج كبير من الذهب » .

لم تكن إيزة واقعة بين أكثر من رجل يحبها بقدر ما كانت تحيد القفز بينهما . وكأنها لاعبة سيرك ماهرة تتعلق بالحبل كي تعود لتقفز إلى الطرف الآخر وقد ملأها الحماس نفسه ، وهي تتكلم — مثلا — إلى زوجها حين يتركها إلى عمله الذي سيغيب فيه عاما بأكمله بحمية غريبة وبكلمات دافئة كلها تودد واستعطاف كي يبقى إلى جوارها ، حتى إذا ما اختفى عن الناظرين ارتجت بنفس الحمية بين ذراعي ميزا الحبيب الوهان .

يقول إرنست بومون إن الفكرة الأساسية التي تقوم عليها مسرحية « اقتسام الظهيرة » هي أنه يوجد فيما بين ميزا وإيزة علاقة خاصة ، ترجع إلى ما يتمتع به كل منهما من صفات شخصية . فهناك ضرورة يمثلها كل منهما للآخر ، من أجل الامتثال لإرادة السماء في عيونهما ، فكل من الاثنین يشكل قدرا للآخر ، فهما يبحثان عن الرضا الحسي ، والسقوط في الخطيئة ، وهما في النهاية منفصلان بالطريقة التي يفصل بها الكثير من العشاق .

فعندما يحدث التعارف بين ميزا وإيزة في الفصل الأول، وعندما يسأل ميزا المرأة عما بينهما فإنها ترد: ياميزا. أنا إيزة، إنه أنا. وفيما بعد. يضيف ميزا «أنت إيزة. أعرف أنك إيزة» وفي مقابر هونج كونج تترك المرأة ميزا وهي تردد نفس الكلمات. «إنها أنا! ياميزا، أنا». وعندما تعود إلى ميزا الجريح في منزل الخيانة فإن أولى الكلمات التي ترددها: «ها أنذا ياميزا، إنها أنا».

هذا التأكيد على الذات من إيزة يضع التأكيد على ما تعنيه المرأة داخل نفسها، فهي تحس أنها قدرية، ليس في إطار الزواج التقليدي، وليس في إطار متعة الكبار، ولكن من خلال المعاناة والإحباط اللذين عانتها من الظروف.

هناك رباط طبيعي يربط بين ميزا وإيزة، ومع ذلك فإنه لا يفصلهما قط. مهما ابتعد جسداهما، وتدفعهما حاجتهما الواحد تجاه الآخر بلا توقف. ميزا تحاولا البحث عن المرأة في منزل الخطيئة، أما هي فعليها أن تعود كي تموت معه، ويجب علينا أن نعتبره عرفانا متناغما للعلاقات التي تربط بينهما، وتؤكد هذه الجاذبية القوية للعاشقين على فكرة صعود الإنسان إلى السماء..

«اقتسام الظهيرة» إذاً علامة على نهاية المعركة بين الروح والجسد التي دارت طوال اثني عشر عاما، وبسببها نجح كلوديل في أن يجتاز بنا جدار الصوت مثلما يقال في أيامنا، ولكن الجدار أعمى وأصم ويمكن أن نرى خلفه، ونسمع نداء السماء من ورائه، بفضل كشف معركة الجسد ضد الروح، وكشف الظهيرة. فالانتصار النهائي ليس فقط للروح ولكن للقلب الذي ينبض تحت الجسد..

تبدو إيزة امرأة ذات طابع خاص وسماة محددة، ربما أكثر من كل النساء في مسرحيات كلوديل الأخرى، مثل «لالا» في «المدينة» و«ليشي البرنو» في «التبادل»، فهذه المرأة تمتلك موهبة استفزاز الرجال، وتحريك غرائزهم ورغباتهم. فهي تعلن إلى ميزا، مثلاً، أن النساء قد خلقن من أجل إثارة المتاعب لدى الرجال وهذا التعليق يدل على ما تنسم به هذه المرأة. فهي تعكس رأياً خاصاً للكاتب في المرأة.

وإيزة هي إحدى النساء اللاتي يولدن الحب والرغبة لدى الرجل ، وهذا يسبب لها سعادة ، وذلك بعكس ميزا . فالتجربة التي أحدثها الإغراء التقليدي تدل على شيء عميق من الرغبة الساذجة التي تتاب الرجل نحو المرأة ، وعلى سبيل المثال الرغبة المحددة التي يحس بها أمالريك ، فهناك أشياء ما تتابه وتسبب له الألم ، ولا يصبح له من منقذ سوى الموت ، فالموت هو عتبة الحياة الخالدة التي على الحبيين أن يتمتعوا بها معا .

ويقول إرنست بومون إن إيزة في «اقتسام الظهيرة» تكرر لإما بوفاري في رواية جوستاف فلووير . هذه المرأة الناضجة اليائسة الرومانسية ، محاطة بعاشق يتمناها من كل قلبه ، وهو بالنسبة لها أشبه بقناة المتعة ، فإيزة وميزا يحمل كل منهما كيان الآخر . . . ويعاهدان الله أن يكون كل منهما للآخر^(١١) .

ويقول إرنست بومون أيضا في كتابه «معنى الحب في مسرح كلوديل» : إن الحب هو الموضوع العميق في العمل الدرامي لكل أعمال كلوديل ، وهو يشكل الاهتمام الأساسي لدى الكاتب لأنه كما يرد «ليس هناك سوى حب واحد» ، وهو يرتبط بالأسلوب الذي عبر به كلوديل عن الحب المقدس الإنساني ، الذي عرف كيف يعبر عنه بالكثير من الشجن المكثف . وكى نعالج هذا الموضوع فعلينا أن نتوغل في أعماق عمل كلوديل^(١٢) .

تبدأ المواجهات في اللقاء الطويل الذي يتم بين ميزا وإيزة قبل رحيل الزوج إذ تردد إيزة : «والمرأة بداخلي لن تستطيع أن تمتنع عن إجابتك .

أشعر أن هذه المرأة لن تكن طيبة أبدا معك ، بل ستكون نحسا عليك . كما أتوقع أن تصدر مني أشياء مرعبة .

ليس الأمر ، أبدا ، مجرد لعبة معك .

لا أحب مطلقا أن أهب نفسي كلها بصورة كاملة .

ولا أريد أن أموت ، فمازلت شابة ، وليس الموت جميلا ، والحياة هي التي بدت لي جميلة ، فكم صعدت الحياة إلى رأسي فوق هذه السفينة !

لهذا يجب أن ينتهي كل شيء بيننا .

ميزا . لقد قيل كل شيء .

كل شيء انتهى بيننا ، أعترف أننا لم نكن نحب بعضنا البعض ، فلنعاهد على ألا يحب أحد منا الآخر .

قل لي أنك لن تحبني ، قل لن أحبك يا إيزة .

وعندما يخبرها زوجها الثاني دوسيز برغبته في الرحيل ، تتفنن في خلق الكلمات الجميلة وتتوسل إليه ألا يتركها ويرحل ، وبينما يصر الزوج على رغبته في الرحيل ، تجد المرأة لذة في توسلاتها إلى الرجل الذي عاشت معه قرابة عشر سنوات ، وتردد قائلة : «لست سوى امرأة تخاف . مهما كنت . وبعد كل هذا» .

فهي تخاف من هذا البلد الذي لا تعرفه ، وهو الصين ، وتحس بأشياء مرعبة تنتظرها ، ويطول الحوار بين دوسيز وامراته إيزة حول العواطف والرحيل والوحدة والغربة . «كم هو مرعب أن تموت ، وأن نكون موتى . ويذهب الزوج ، ثم يدخل ميزا ليدور حوار ملتهب وكأن زوجها لم يرحل قبل دقائق : «لست يا عزيزي ميزا مجرد رجل ، وإنما أنت لي ، وأنا التي هي امرأة ، أنا الرجل في داخلك ، وأنت المرأة معي . اقطف قلبك بدون أن تعرف كيف ، وآخذه ، وأضمه للأبد بين نهدي ! وليس من الضروري أن أكون قادرة على فهم حبيبي ميزا ، ولا من الضروري مناداتي بكلمات يعرفها الآخرون مثل يا «حمامتي» أحيانا ، و«يا حبيبتى» التي لم تقلها لي .

ويتفنن الاثنان في المداعبة وصياغة الكلمات الملتهبة :

«أنا سعيدة . سعيدة أن أكون كل شيء في حياتك ،

سعيدة أن أمتلك كل شيء .

لكن ماذا ، أرني عينيك

اللتين لهما نفس لون عينيّ

ولا تبعدهما عني لحظة واحدة

إن رؤية عينيك تثير في الاضطراب والرغبة» .
وفي الحوار الطويل الذي بين الاثنين نسمعها تهتف به :
«هل أنا امرأتك ، لا امرأة رجل آخر؟
لا تسيء لهذه العلاقة المقدسة بيننا .

لا ، ليس هذا زواجا يوحد كل شيء بكل شيء آخر،
وإنما هي القطيعة والقسم المميت والاختيار الذي وقع عليك وحدك!»
وإيزة هي الشخصية المحورية في المسرحية ، رغم كل هذه العلاقات
الحميمة . فالرجال مجرد كائنات لخلق الشعور بحب ملتهب وفياض . إنها
تردد لحبيب ثالث هو أمالريك أنها تحبه ، ثم تقول :

«لم يعد هناك من يؤذيني ويهينني وكل هذا الذي فعلته ! أنا أم واحدة
أخرى؟ خدعت زوجي ، وتخلّيت عن أطفالي ، أطفالي المساكين ، تركتهم ،
لا أعرف حتى أين هم ، وهذا البائس الذي أحبته وأحبني أكثر من حياته ،
ما إن تركني ، حتى خنته ، واستسلمت لك مع طفله الذي حملته في
أحشائي . . .» .

لم تقع إيزة في أحضان رجل واحد ، ولم تحنه فقط مع ميزا الذي راحت تغزل
له كل الكلمات الحلوة مغلفة في إطار كاذب ملعون ، ولكنها استعذبت كل
هذه العلاقات ، رغم أن الزوج كان في ذاكرتها وهي تبث لواعجها إلى رجال
آخرين مثل ميزا وأمالريك .

وقد مارست إيزة خيانة زوجها دوسيز مع حبيبها ميزا ، ثم خانت ميزا بعد
رحيله لمدة عام مع أمالريك . . . وعند عودة ميزا من غربته نكتشف أن طفل
خطيئة ثان كانت تحمله في أحشائها :

«ماذا فعلت يا إيزة لطفلنا؟

هل مات؟

إيزة ، أنت لم تتركه يموت ، اعطني طفلي أنقذه .

هل مات . هل قتلته؟

إذا كان هنا فسأعرف كيف أعثر عليه» .

وفي أجزاء الحوار الأخير بين ميزا وإيزة تؤكد له أن الأشياء بالنسبة لها قد فقدت معانيها «أرى الآن كل شيء كأنني قد رأيت كلي ، وليس هناك سوى الحب بيننا» .

ثم تردد :

«أوه ياميزا ، لو عرفت كم أن هذا مخيف بالنسبة لامرأة ، أن تنظر إلى نفسها في المرآة وأن ترى نفسها تشيخ ، وهذه النقاط الحمراء المخيفة ، أن تلمسها الأصابع وأن تفكر أننا لم نعد أنفسنا أبدا . هذا الجسد الذي كان يوما ما لفتاة شابة وردية ولامعة كالسيف ووجهها النشيط جامد كالجلمود» .

وأخيرا فقد كتب كلوديل ذات يوم إلى جان لوي بارو الذي جسد شخصية ميزا على المسرح :

«تعرف أنني لم أحب أن أسمع الناس يتكلمون عن «اقتسام الظهيرة» على المسرح ، وأنني قد سبق أن سحبت كل نسخ المسرحية في طبعتها الأولى ، فهي ليست سوى تجربة عانيت منها كثيرا في شبابي وظلت تلاحقني طيلة حياتي ، واليوم أيضا ، لا يزال الأمر حيا ، ليس هذا فقط ما أسعى لادخاره في هذا العالم ، فهناك مشاعر داخلية كثيرة تحزنني دون أن تصيبنني بالملل»^(١٣) .

ويقول كلوديل كذلك : «حاولت دائما أن أكون موضوعيا بشأن إيزة بشكل خاص . وأن أشير إلى أنها تقول ما تؤمن به . ليس علينا أن نغالي في هذه الأدوار سواء دراميا أو ميلودراميا ، حيث يمكن للمرأة أن تتخدع رجلا ، ثم تطلب منه الغفران ، ولأن الرجل كبير وكريم فيساعدها بكرامة . أنا لا أحب ذلك ، وأجد أن هذا غني ، أجد أن هذا أقل إنسانية . فعندما تعود إيزة في المشهد الأخير ، فإن أول كلمة ترددها أنها لا تطلب الغفران . ماذا قال ميزا : «أسامحك . أليس كذلك؟» إنها هي التي منحت الغفران لميزا . هل هذا حق الحق؟ ومن الأعماق فيتركها . وقالت له : «لعلك ترى أنني فعلت خيرا وأنا أتركك ، ويجب أن تشكرني» .

يهمننا أن نذكر أن الأسماء الغريبة التي اختارها كلوديل لأبطاله لم تجيء
اعتباطاً. فإيضة YSE اسم يوناني يعني المساواة، أما اسم MESA فهو يعني
النصف، أما اسم أمالريك AMALRIC فهو اسم بائع مظلات في شارع
ماجنتا، كان كلوديل يتمتع وهو ينطقه على ثلاث مرات: آ- مال- ريك...
ويعني اسم دوسيز DECIZ القطع.

المترجم

الحواشي

- ١ - Introduction a Paul Claudel. Claudine Chonez, Albin Michel, Paris, 1947, P17
- ٢ - Claudel, André Alter, Seghers, C968, P13.
- ٣ - المصدر السابق ص ٩.
- ٤ - المصدر السابق ص ١٩.
- ٥ - المصدر السابق ص ٢٠.
- ٦ - المصدر السابق ص ٢٢.
- ٧ - Le temps et l'espace dans L'oeuvre de Paul Claudel, Seuil, Paris 1965 P91.
- ٨ - Claudel, Le point de vue de dieu, Andre Blanc, Edition du centurion, Paris 190 P93
- ٩ - المصدر السابق ص ٢٠٦
- ١٠ - المصدر السابق.
- ١١ - Claudel. André Salter P45.
- ١٢ - المصدر السابق ص ٤٦.
- ١٣ - المصدر السابق.

الفصل الأول

(على ظهر إحدى البواخر العملاقة ، في وسط المحيط الهندي بين الجزيرة العربية وسيلان)

ميزا - أمالريك

أمالريك : تركت نفسك تفتن بمعسول الكلام .

ميزا : لم تتم العملية بعد .

أمالريك : إذن لا تقم بها - صدقني ، إنني أحبك - فلا تقم بها .

ميزا : العملية لا تبدو لي سيئة .

أمالريك : وماذا عن الرجل الذي يقوم بها؟

ميزا : حسنا ، إن له صفاته الطيبة .

أمالريك : إني أمقت الضعفاء وأخاف منهم . قم بها وحدك ،

خذا فقط معك ! ها أنت مثل المياه المعدنية الفوارة التي

تفتح معها زجاجة مليئة بالصودا لا تعرف أبدا أين

تضعها . ها أنا أقولها لك ، خذ حذرك يا صغيري ميزا .

وماذا تقول عن زوجته؟ ها هم أولاء .

(تظهر إيزة ودوسيز على سطح السفينة ، وهما يصعدان

الدرج . يقرع الجرس ثماني دقائق)

- إيزة** : حانت الظهيرة .
- دوسيز** : سنحدد مكان السفينة .
- (صوت سارية السفينة)
- ميزا** : يالها من صرخة وسط نيران هذه الصحراء!
- دوسيز** : سس! انظروا!
- (يفتح الخريطة)
- إيزة** : لا تفتح الخريطة، بحق السماء .
- أماريك** : لقد أصبت بالعمى ، كأنها طلقة بندقية! لا يمكن أن تكون هذه شمسا!
- دوسيز** : إنها الصاعقة! كم نشعر أننا نتضاءل ونستهلك داخل هذا القرن العاكس!
- أماريك** : كل شيء نقي إلى حد مخيف، بين الضوء والمرآة، ونحس أننا شديداً الوضوح، كحشرة وقعت بين لوحين من الزجاج .
- ميزا** : كم هو جميل! وكم هو صعب! فالبحر يتألق في الظهيرة . احمرت مياهه كالبقرة الذبيحة التي تؤسم بالنار. أما هي ، كما تعرفون ! فعشيقها كما يقال ، - حسنا - يبدو كالتمثال الذي نراه في المتاحف . ياه، هذه المرة لم يعد هو عشيقها، بل الجلاد الذي يضحي بها . لم

تعد هذه أبداً قبلات، بل السكين داخل أحشائها! وهي في مواجهته ترد له ضربة بضربة، بلا شكل محدد، أو لون، نقية، مطلقة، هائلة، وملتهبة. يسطع النور عليها فلا تعكس شيئاً غيره.

إيزة : آه، الجو حار! كم تبقى من الأيام حتى نصل إلى نار مينيكوي؟

ميزا : إنني أتذكر قناديل الليل الصغيرة فوق المياه.

دوسيز : هل تعرف كم يوما تبقى يا أمالريك؟

أمالريك : الحق لا! ولا كم من الأيام مرت بالضبط منذ أبحرنا، فأنا لا أعلم عن ذلك شيئاً.

ميزا : الأيام متشابهة لدرجة يمكن معها القول بأنها ليست سوى يوم واحد طويل أبيض وأسود.

أمالريك : إنني أحب هذا اليوم الطويل الساكن. أشعر أنني على سجيتي، وأعشق هذه الساعة العظيمة التي لا ظلال لها، فأنا موجود وحي، أنا لا أعرق، أدخن سيجاري وأشعر بالرضى.

إيزة : إنه راض! وأنت أيضا ياسيد ميزا؟ هل أنت راض، أما أنا فلست راضية، لابد أن أذهب لأرى الأطفال. . ابقوا هنا. . إنني أمنعكما من الذهاب إلى غرفة التدخين. يجب أن تبقيا هنا أنتما الاثنان، كي نتحدثا معي وترفها

عني . سيز، اذهب لتحضر لي مقعدي الطويل،
وكذلك مروحتي والوسائد . وكذلك علبة الأظافر،
وكتابي، وقنينة الملح الخاصة بي، هذا كل شيء .

(يخرج الاثنان معا) .

أمالريك : هوذاك، أليست فاتنة؟

ميزا : تعلم أنني لا أعرف شيئاً عن النساء .

أمالريك : هذا صحيح، والنساء أيضاً لن يعرفن شيئاً عنك . أنا
أحبك وأعرفك، وهي تحبني، وهذه حقيقة . على كل
حال أنت تروق لها، وهي خائفة منك، وتريد أن تعرف
ماهي فكرتك عنها .

ميزا : أظن أنها متأنقة بشكل مبتذل .

أمالريك : إذا كنت تريدها . فلا تنتظر شيئاً . ياعزيزي إنها امرأة
رائعة .

ميزا : ولهذا لا تكف عن الثثرة منذ أن غادرنا مارسيليا .

أمالريك : رغم أن هذا صحيح، فإنك لا تعرفه! هه هه! ولأنك
مشتت الذهن بطبعك، فأعتقد أنني قد وضعت الفكرة
في رأسك! هذه التمثيلية التي أديتها في الليلة الماضية!
وهذه السيجارة التي أعطيت لك . لقد التهمتها عن
آخرها بكل إخلاص، رغم أنك لا تدخن! هيا لا تكن
مضطرباً .

ميزا

: يالك من أبله .

أمالريك

: ياعزيزي ، أنا لأحب سوى الشقراوات .

إنها ليست لعبوا ، لا تعتقد ذلك ! إنها محاربة ، إنها
غازية ! لابد لها أن تسيطر وتطغى ، أو تهب نفسها لأي
شخص برعونة كوحش ضخمة هلوك . إنها فرس سباق
يمكن أن يمتعني امتطاء ظهره لو كان لدي وقت . لكنها
بلا فارس ، مع هذه الجياد الصغيرة التي تتبعها . إنها
تجري كالفرس العاري تماما ، أراها وقد تملكها الجنون ،
تحطم كل شيء ، تحطم حتى نفسها . إنها غريبة بيننا ،
كأنها ليست من بلدها وجنسها . كأنها زعيمة نسائية ،
تقيدها التزامات ضخمة وسرج كبير من الذهب ، لكن
زوجها هذا ، هذا الولد الرقيق ، هذا البروفانسي النحيف
ذو العينين الحائيتين ، هذا النوع من المهندسين الخائين .
لعلك ترى جيدا أنه بلاء عليها ، فهو لم يفلح إلا في أن
يهبها الأبناء . ومن المرعب أن تراهم جميعا ذاهبين إلى
الصين . سيكونون معك . ثق في ذلك ، يافتاي الصغير .
هاهم قادمون .

(تدخل إيزة)

(ويدخل دوسيز ، وهو يجر ويحمل الأشياء التي طلبت
منه ويضعها فوق السطح)

إيزة : (ضاحكة، وهي تنظر إلى ثلاثتهم الواحد بعد الآخر)
لست راضية! (وهي تشير إلى ميزا) وهما هو شخص آخر
غير راض! (ثم وهي تشير إلى دوسيز) وثالث غير راض!
يضايقه أنه ذهب يبحث عن مقعدي. رغم أنني لم أكن
في الحقيقة في حاجة إليه. إذن، لماذا هو غير سعيد؟ رغم
أنه يبدو دائما وكأنه يضحك. أما أنا فسعيدة!.

(تنفجر ضاحكة)

ميزا : أنت سعيدة، وأما لريك راض.
دوسيز : لأنه ناجح.
أمالريك : أنا؟! لقد أفلست تماما في العام الماضي. وأصبحت
نظيفا مثل كوب بيرة مغسول! ورغم ذلك! سأبدأ من
جديد.

ميزا : لأن هذا ضروري.
أمالريك : لأن الأشغال كثيرة، ولأن هناك أشياء كثيرة ضرورية
بالنسبة لي، وأشياء كثيرة أنا ضروري لها.

إيزة : أمالريك سوف تنجح لأنك ماهر، وتحيد تماما ما تقوم
به.

ميزا : إن له يدين رائعتين (لأن الأشياء مثل البقرة التي ترفض
أن تنقاد لأحد إذا أرادت ذلك).

دوسيز : إنه يعتمد على موارده الخاصة. وهو واثق دائما من
موضعه في كل مكان.

إيزة : أما أنا فليس لي مكان سوى مقعد طويل مربوط به
حقيبة ، ومجموعة من المفاتيح في حقبتي . هذا هو بيتي ،
وهذه هي أشيائي !

ميزا : (مشيرا نحو الشمس) ها هو بيتنا أيتها الجماعة الضالة!
ألا تجدونه متوهجا كما ينبغي؟ سواء رضينا أم لم نرض ،
فما جدوى ذلك؟ انظروا إلى الشمس التي تنشر مليارات
الأشعة وتشغل بالأرض كالعجوز المنهمكة في غرز الإبرة
والصوف .

إيزة : إنها تقتلني ! لا أستطيع أن أحتمل قوتها !

أمالريك : من قوة الشمس أستمد قوة حياتي . رائع أن ترى الموت
وجها لوجه ، وأنا قادر على مقاومته .

ميزا : الظهيرة في السماء ! الظهيرة في مركز حياتنا . وما نحن
معا ، ندور حول عمر لحظتنا نفسه وسط الأفق المكتمل ،
أحرارا طلقاء ، منفصلين عن الأرض ، نتطلع إلى
الخلف ، وإلى الأمام .

إيزة : خلفنا الماء ، والماء أمامنا أيضا .

دوسيز : كم هو مرير أن ينتهي شبابك !

ميزا : كم هو مشين أن تنتهي من الحياة !

أمالريك : كم هو جميل ألا تكون ميتا ، بل أن تكون حيا !

إيزة : كان الصباح أجمل .

ميزا

: سيكون المساء أكثر جمالا. هل لاحظت بالأمس كيف ولد من قلب البحر الهائل أوراقه الخضراء، والبحيرات الوردية وأشجار التبغ، وخطوط النار الحمراء داخل الفراغ الجياش بالسواد الناصع، لون يسيل كالزيت من لون آخر هو أساس كل الألوان. كذلك يستمتع الشاب مع الفتاة باللون الأكثر اخضراراً، أما القديس فينتصر في يومه الأخير، عندما ينسكب في النهاية العطر الذي نضج طويلا في أعماق قلبه.

أمالريك

: هذه الساعة التي نحن فيها. هي أفضل الساعات، أنا لا أطلب سوى شيء واحد هو وضوح الرؤية، رؤية الأشياء كما هي عليه رؤية دقيقة، فهذا أجمل من أن أراها كما أريد لها أن تكون. أريد أن أعرف ماأعمله وما ينبغي عليّ عمله.

دوسيز

: لم يعد لدينا وقت نضيعه.

ميزا

: نحن لا نفتقد الوقت، بل هو الذي يفتقدنا.

أمالريك

: دعه يعمل. إذا واتتني الفرصة، فلن أضيعها أبداً.

إيزة

: ومع ذلك فالأمر غريب! إن الطيور والأسماك الرمادية لديها مكان تمارس فيه شؤونها، في ثقب، تحت جذع شجرة الصفصاف. أما نحن الأربعة فلم نستطع أن ندبر لنا مكانا. ها نحن نتأرجح فوق سطح هذه السفينة، وسط بحر مستحيل! أنتم أيضا، أنتم أحرار!

أما أنا فامرأة مسكينة مع هؤلاء الأطفال الذين يتشبثون
بي ولكل واحد منهم أربعة أطراف! وعلي أن أعيش
كصبي مع هؤلاء الرجال الثلاثة الذين لا يتركونني أبدا!
ومنزلي هو هذا المقعد الطويل وثمانية طرود فوق إيصال
الأمثلة، وثلاث حقائب داخل القمرة، وثلاث حقائب
وصندوقان في المخزن، ثم حقيبة صغيرة وأخرى كبيرة
للحبعات . يالقبعاتي المسكينة!

ميزا : هذا هو العمر الذي يشعر فيه الإنسان بالقلق لكونه
حرا .

أمالريك : ليست هذه بشائر سيئة . فلندقق في وجوهنا كأننا نلعب
البوكر، بعد توزيع الأوراق . ها نحن مرتبطون معا في
نفس اللعبة مثل إشارات الاتجاهات الأربعة، ومن منا
يعرف خيوط الصوف التي يدخرها لنا القدر كي نغزلها
معا نحن الأربعة؟

دوسيز : لم يعد لدينا وقت نضيعه . . وليس أمامنا شيء صعب
نمارسه . ميزا، كلمة أخرى إذا سمحت .

(يتجهان إلى يمين السفينة)

(تتمدد إيزة فوق المقعد الطويل وتأخذ كتابها . يجلس
أمالريك على مقربة منها وهو يدخن وينظر إليها . بعد
لحظة واحدة يلقي سيجارته . ترفع إيزة عينيها ناحيته ثم
تضع كتابها)

إيزة : ألم تكن تعرف أننا فوق ظهر سفينة؟

أمالريك : لقد أبحرنا بالفعل عندما تعرفت عليك . بقوا جميعهم في الخلف . ولم يعد هناك سوانا ، نحن الاثنان في الطرف الآخر وهذه العجوز التي تدير ظهرها للهواء .

إيزة : وهل تعرفت عليّ هكذا بسرعة؟ ألم أتغير كثيرا عما كنت عليه قبل عشر سنوات؟

أمالريك : أنت ، أنت نفسك ، حسنا ، نظرة واحدة كانت تكفيني ، هي نفسها التي عرفتھا ، نفس القوام ونفس اللون الأسود الذي ظهر فجأة في الهواء ، حرة ، ممشوقة ، ناعمة ، ومليئة بالتصميم .

إيزة : وجميلة دائما؟

(تنظر إليه ، وتضحك ، يحمر وجهها . . صمت)

أمالريك : لقد تعرفت عليك جيدا .

إيزة : أتذكر . كنت أرتدي معطفي الطويل وقبعتي المصنوعة من اللباد .

أمالريك : كنت هي . كنت أنت .

إيزة : وكنت سعيدة! اخبرني . رغم كل شيء ، فنحن في الأعماق دائما مانكون سعداء بالرحيل ، بترك الحانوت بأكمله خلف ظهورنا . هيه! لا قبعات ، ولا مناديل يلوح بها أحد لنا .

أمالريك

: لا.

إيزة

: ولا امرأة صغيرة مسكينة تتجمل من أعماق قلبها!
لا أرملة لطيفة، ولا عذراء صغيرة ممشوقة القوام مثل
المقرعة، ومستديرة كالصفارة.

(تضحك)

حسنٌ. لا أهمية لذلك. لقد كنت راضية! كم كان كل
شيء قدرا! واحدة من هذه السموات الشريرة، المدمرة،
التي أحبها. والبحر يقفز فوقنا، ذلك الوثني! هكذا
كان البحر! لكن هذا، هنا، إنه مثل الأرضية التي
نتزلق عليها في سأم. وقد ابيضت لدرجة تسبب
الضيق، كما تقول، ويالها من دناسة رائعة، نمارسها هنا
فوقه! لكنك تقول إنك تحب هذه المياه الناعسة.

أمالريك

:

أحبها.. أحب أن أشعر بأنني أستطيع أن أخترقها.
وأكره أن يقودني أحد من يدي، أو يضحك علي، أو
يطوّحني كيف يشاء، أو يلعب بي كالكرة، أو يقلبني
على رأسي. مثلما حدث عند تلك القمم القرية من
جزيرة كريت، آوو لالا! عندما عصفت بي الريح
المجنونة التي لا يعرف المرء هويتها ولا هدفها، كل شيء
هنا متته، في الوقت المناسب! كل شيء مستقر. الكون
اكتسب ملامحه الأولى، مثلما حدث في بدء الخليقة:
المياه، السماء، وأنا بين الاثنين مثل البطل «ازدوبار».

إيزة : أمالريك ! أنت لم تكره دائما هذه الريح المجنونة التي لا يعرف الإنسان هويتها ولا هدفها .

(صمت)

أمالريك : إيزة، لماذا لم تريدني في تلك اللحظة؟

إيزة : لم يكن لديك مال .

أمالريك : ثم ماذا؟

إيزة : بدوت لي شديد القوة، شديد الثقة بنفسك . هذه الطريقة في صك الأسنان ! أحب أن يكون الناس في حاجة إليّ ! أنت ترى أنه يمكن الاستغناء عنك .

أمالريك : ثم ماذا؟

إيزة : ثم شعرت بأنني ضعيفة للغاية بجانبك . وقد غاظني ذلك . .

أمالريك : ولهذا السبب تزوجته؟

إيزة : أنا أحبه ، لقد أحببته .

أمالريك : يا إلهي ! ولكنه ليس الأقوى !

إيزة : عندما ينظر إليّ بطريقة ما أحس بالخجل . عندما ينظر إلي بعينه الواسعتين ذواتي الأهداب الطويلة (له عينا شبيهتان بعيون امرأة) ، بعينه السوداوين الواسعتين

(لا يمكنك أن ترى أي شيء في عينيه)، فإن قلبي
يتحول عني . آه . في البداية تركته يفعل ما يريد . حاولت
ولم أستطع مقاومته .

أمالريك : ولهذا أنت غاضبة منه ، أما هو فيحبك رغم ذلك .

إيزة : إنه لا يحبني ! فهو يحبني بطريقته ، ولا يحب إلا نفسه .
إنني أتذكر ليلة زفافنا ، وكل هؤلاء الأطفال الذين
أنجبتهم الواحد تلو الآخر! لأنني فقدت أحدهم .

محاولات الهروب ، المخاوف ، المغامرات ! وهكذا مرت
معظم سنوات شبابي !

أمالريك : وفي خلال ذلك ! إيزة ، إيزة ، إيزة . عندما التقينا في ذلك
الصباح الساطع الضوء . في يوم الأحد البارد ، الباهر ،
ياإيزة ، في الساعة العاشرة فوق البحر! أي ربح وحشية
كانت تعصف تحت الشمس الرائعة ! كم كان الهواء
يصفر ويلسع ، وكانت الرياح الشمالية القاسية تمشط
المياه المتموجة ، ويتقلب البحر كله ، صاخباً ، مدوياً ،
متموجاً في الشمس الخائفة من العاصفة ! . في مساء
الأمس السابق ، تحت ضوء القمر ، في أعماق أعماق
الليل ، عندما وجد الساهرون أنفسهم محاصرين في
مضيق صقلية ، وقاموا ينظفون البخار من فوق الكوة ،
ووجدوا أوربا كلها مغطاة بالجليد ، هائلة ورمادية ،
بلا صوت ، ولا وجه ، تستقبلهم أثناء النوم .

في ذلك اليوم المشرق لعيد الغطاس تركنا كورسيكا خلفنا، بيضاء تماما، مشرقة وضاءة مثل زوجة في صباح رنان! كنت عائدة يا إيزة من مصر، أما أنا فكنت خارجا من أقصى أطراف العالم، من عمق البحر، بعد أن تلقيت أول ضربة في حياتي ولم أكن أملك شيئا في جيبتي، سوى قبضة صلبة وأصابع تعلمت كيف تحسب، وفجأة هب الهواء كالصفعة، فطير كل أمشاطك، وضربت وجهي خصلة من شعرك! وهاهي ذي الفتاة الشابة العظيمة، تستدير ضاحكة، تنظر إليّ وأنظر إليها.

إيزة

: مازلت أتذكر هذا، كنت قد أطلقت ذقنك في ذلك الوقت، وكانت خشنة مثل الفرشاة! كم كنت قوية ومرحة في تلك اللحظات! كم ضحكت كثيرا، وكم كنت في حالة طيبة! وكم كنت جميلة أيضا! ثم جاءت الحياة، وجاء الأطفال. وهأنت تراني الآن متضائلة ومطبعة، كحصان عجوز أبيض يتبع اليد التي تجذبه، وهو ينقل أرجله الأربعة واحدة بعد الأخرى.

(تضحك بصوت عال)

أمالريك

: هيا هيا! أرى أننا مازلنا نعرف كيف نضحك!

إيزة

: لقد حبسوني في سجن، وأنا الآن حرة، ورائحة البحر تزكم أنفي! كان يجب ألا تصدقني بسرعة، كان يجب ألا تأخذ كل كلمة مني على محمل الصدق، لقد كنت مجنونة

بالفعل في تلك اللحظة! إنه لأمر غريب! أشعر أنني
مازلت فتاة صغيرة! لم يكن لي أبوان يتوليان تربيتي
يا أمالريك، وكنت غريبة، لا أحسن استخدام جميع
الكلمات على الوجه الصحيح، لقد نشأت وحدي، على
طريقتي، ويجب ألا تخطيء في الحكم عليّ. ولو كنت
مع شخص آخر فلربما تغير كل شيء.

أمالريك : هذه العيون الجميلة اللامعة! أرى الآن الدموع في
عينيك! كم أنت حمقاء.

(يضحكان معا)

إيزة : وها أنا أرحل من جديد، كما ترى، إلى أين؟ لا أعلم.

أمالريك : كيف؟ أليس لزوجك أعماله في الصين؟

إيزة : لاشيء أبدا، سوى ثقته في العثور على فرصة.

أمالريك : ياه، إنه كشجرة المطاط الجاهزة دائما للامتصاص
والانتفاخ. إنها متسلقة شرهة! وسوف يجد شجرته. أرى
أنه يتحدث كثيرا. مع زميلنا ميزا.

(صمت)

أخبرني ميزا عن خط السكة الحديد الذي يمدونه تجاه
سيام، وعن الخطوط التلغرافية ناحية دولة شان، هل
تعرفين ذلك؟.

إيزة : لا أعرف أي شيء مطلقا، إننا نرتب أنفسنا دائما!

أمالريك

: ميزا. أود أن أتحدث معه. إنه لا ينظر إلى شيء. وإذا انتبه، فهو لا يتبته إليك، بل إلى ما تقولينه فحسب، وكأن صوتك يتردد من تلقاء نفسه. وإذا ما استجاب للشيء، أو لم يستجب له، فإن وجهه يضيء أو يكفهر. فترين كل ما يفكر فيه، وهذا شيء مثير للشفقة! إنه فظ مثل أولئك الذين يحملون في أنفسهم. (يستطرد بطريقة خطابية) «قضية كبرى يدافعون عنها!»! أعتقد أنه شخص متبلد.

إيزة

: لا تسخر.

أمالريك

: أنا لا أسخر. ها أنت ذي غاضبة. إنني أحبه، فلا تغضبي.

إيزة

: أحب هذا الغلام، وأريده أن يحبني ويقدرني. لماذا تصحبني دائما ولا تبعد عني قيد أنملة؟ ماذا يظن الناس؟ إنني أراه ينظر إلينا. وأنا واثقة أنه رآنا ذاك اليوم عندما عانقتني.

أمالريك

: إذن فسوف أتركك.

إيزة

: عندما رأيته بمفرده، اقتربت منه في الليلة الماضية، كما تعرف، عندما أحضرنا ذلك المسكين ليونار، الذي غنى لنا بعض أغاني المقاهي. ولم يبق هو معنا. هل تذكر؟ كنت أرتدي ثوبا من الكريب الصيني الأسود، وقلت إنه كان يناسبني. ثم ذهبت لأستند عليه، فأخذ يهينني بشدة وبصوت خفيض، حسنا، لقد عاملني كما لم أعامل من قبل! طلبت منه الصفح، وبكيت بدموع ساخنة، كفتاة صغيرة.

أمالريك : مسكينة يا إيزة!
إيزة : أجل . معك حق ، مسكينة إيزة! إيزة! إيزة! مسكينة ،
مسكينة إيزة .

أمالريك : مسكين يا ميزا!
إيزة : ويقولون إنه يشغل منصبا كبيرا في الصين .

أمالريك : كان يعمل في شبابه مفوضا للجمرك . إنه يتحدث بكل
اللهجات ، وهو مستشار لنواب الملك في الجنوب ، وله
نفوذ في هذه المناطق ، هو شخص غامض ، متعب ،
لديه «آراء أخرى» ويقول إنها المرة الأخيرة التي يعود فيها ،
الهوس الديني ، هذه العملية التي يكلمه فيها زوجها ،
وأنا لا أعلم عنها شيئا ، قد صدمته . أما أنا فقد نصحته
بأن يثق فيه . إنه يبحث عن أحد يعمل معه في خطوطه
الحديدية . إنها عملية كبيرة ، عملية كبيرة للغاية . والقول
بأن الجو ملائم ، حسن ، حسن ، لن يكون قولا
صحيحا ، لكن زوجك تعود على هذه البلاد الحارة .

إيزة : أعرف أنه مشغول دائما بالكهرباء .
أمالريك : عظيم ، نتركها معا إذن ، ميزا وهو ، أما أنا فسوف آخذ
إيزة معي ، سأصطحب إيزة معي أينما ذهبت .

إيزة : حقا؟ أعتقد أن من الممكن أخذي ، أعتقد أن من
الممكن اصطحابي هكذا؟

أمالريك : إذا أردت بطبيعة الحال ! وعندما أريد أيتها المحاربة ،
سأضع يدي على كتفك ، سأخذ إيزة ، سأمسك إيزة ،
سأصطحب إيزة ، بهذه اليد ، هذه اليد التي ترينها ،
وهي يد غليظة خشنة .

إيزة : إذا فلتحمل عواقب ذلك ، فأنا لا أحمل الحظ والسعادة
أينما ذهبت .

أمالريك : إيزة ، هذا صحيح ، فلم الانتظار؟ إن يديّ جذابتان ،
وأنت تعرفين جيدا أنك لن تجدي القوة التي تنقصك إلا
معي ، وأنني الرجل المناسب .

إيزة : دعني .

(ينظر إليها مفكرا ، تركز نظرها على كتابها ، يأخذ
سيجارا ويبتعد) .

(يدخل ميزا ، الذي يتجه يسارا ناحية إيزة ، يقف مترددا
بعد أن يرى أنها لا تنظر إليه) .

ميزا : ماذا تقرئين؟ ما هذا الشيء المستهلك القديم الذي يشبه
كتب الحب؟

إيزة : كتاب في الحب .

ميزا : صفحة ٢٥٠ . لقد أحسنت إذ نزعت منه صفحاته
الخارجية . الصعوبة في النهاية . إنها دائما نفس الشيء .
الموت أو المرأة الحكيمة .

إيزة

: إنها دائما بالغة الطول . ينبغي أن تكون قصص الحب مفاجئة كالزهرة مثلا ، أو كالعطر ، فتعرف أنك حصلت عليه كله ، حصلت على كل شيء ، وأنتك تشمه كله دفعة واحدة ، مما يجعلك تقول آه ! لا شيء غير هذا ، عطر حقيقي ، نافذ ، يجعلك تبسم قليلا ، آه ، ثم تمضي .

ميزا

: إنه ليس زهرة نشمها .

إيزة

: الحب ؟ لقد كنا نتكلم عن كتاب . أما الحب نفسه ، فلا أعرف ماهو .

ميزا

: حسنٌ ، ولا أنا . ومع ذلك أستطيع أن أفهم . .

إيزة

: لا يجب أن تفهم ، ياسيدي المسكين ! يجب أن تفقد الوعي . أما عن نفسي ، فإنني شريرة إلى الحد الذي لا يمكنني من ذلك . إنها عملية لا بد من القيام بها ، وماهي إلا قطعة قطن مغموسة في الإثير توضع تحت أنفك لتخدرك . أنت تعرف نوم آدم ، فهو مذكور في كتب التعاليم . وبهذه الطريقة خلقت أول امرأة . امرأة ، تكلم ، فكر قليلا ! كل الكائنات الموجودة بداخلي ! لا بد من تركها تعمل ، لا بد أن تموت بين ذراعي الرجل الذي يحبها ، وهل تشكك البريئة فيما يوجد بداخلها وما سيخرج منها ؟ على الإطلاق ! إنها لا تعرف شيئا ! أم النساء هي والرجال !

- ميزا** : ما الذي يمكن أن يطلب من أي امرأة؟
- إيزة** : أشياء كثيرة، فيما يدولي . منها هذا الطفل الذي يتخلق لكي يولد .
- ميزا** : أيتعلق الأمر بالأطفال ! لقد أخطأت فهم ما أردت أن أقوله في ذلك اليوم ، إنني أفترض أنه نوع من العدوان ، نوع من الزلزلة لكيان الإنسان .
- (يحاول الكلام ، يتلعثم ، يتلجلج ، يغلق فمه وينظر إليها بعينين يتطاير منها الشرر ، وترتجف شفاهه ، بينما تستغرق هي في الضحك بصوت عال)
- إيزة** : تكلم يا أستاذ ، إنني أسمعك ! يجب ألا يملكك الغضب .
- ميزا** : هذا هو كل مايجري لمن يطلب كل شيء من امرأة أخرى ! ذلك ما أردت أن أقوله ، ولم تكن هناك حاجة للضحك بغباء . إن الأمر لا يتعلق بالطفل ! فهو الذي يستفيد ، لكي يولد ، لا ندري كيف . من تلك اللحظة التي نبلغ فيها الخلود ، لكن أي حب لا يعدو أن يكون ملهاة تتم بين الرجل والمرأة ، فهذه القضايا غير مثارة .
- إيزة** : الملهاة مسلية في بعض الأحيان .
- ميزا** : ليس لدي أدنى فكرة .

إيزة

: ومع ذلك فأنت تتكلم أفضل من كتابي، عندما تريد ذلك، كم تلمع عيناك أيها الأستاذ، عندما تضطر إلى التفلسف، لك عيون رمادية جميلة، أحب أن أنظر إليك وأنت تنصت، وتغلي من داخلك! أحب أن أسمعك تتكلم، حتى لو لم أفهم ماتقول. كن معلمي! لا تفزع أبدا! فأنا غير متعلمة، أنا حمقاء، لا تحكم علي خطأ، فلست سيئة كما تعتقد، إنني لا أفكر، لم يعلمني أحد ذلك، لم يكلمني أحد مثلما كلمتني في الليلة الماضية. أعرف هذا، إنك على حق، وأنا سيئة.

ميزا

: ليس من حقي أن أحكم عليك.

(صمت)

إيزة

: ابق مكانك. لا تذهب.

ميزا

: لا أريد أن أذهب.

إيزة

: ومع ذلك لا نعرف أبدا فيم تفكر! هانحن الاثنان معا. أنت وأنا، ياله من شيء محزن! هنالك شيء معلق بيننا، حالة دقيقة من الجفاء يكفي أقل هاجس لإرباكها. ياميزا المسكين، إنني أراك شديد التعاسة! لا تعتقد أبدا أنني فرحة.

ميزا

: لست تعيسا.

إيزة

: أنت بحاجة إلى الرعاية — فقد أخبروني أنك لا تأكل — لم هذا العبوس؟

ميزا : من أخبرك بهذا؟ لست تعيسا على الإطلاق . وليس عندي ما أقوله لك . اذهبي وتحديثي مع أمالريك ! لن تقومي بدور الأم ، لن تقومي بدور اللعوب . إذا كنت أشعر بالحزن فهذا من شأني . هذا على الأقل من شأني .

إيزة : لا تكن عنيفا هكذا!

ميزا : إنك تريدني أن تحمليني على الكلام! تكلمي . أيسليك أن تريني أخور كالعجل؟ تعرفين جيدا أن هؤلاء الشياطين المساكين من الرجال ، هؤلاء الصبية الكبار ، لا يحبون شيئا أكثر من الكلام ، والكذب ، وإظهار مشاعرهم النبيلة ، كم عانيت ، كم أنا طيب . ليس عندي ما أقوله لك أنت ، أنت سعيدة وهذا يكفي .

إيزة : أعتقد أنني سعيدة؟

ميزا : ينبغي أن تكوني سعيدة . عليك أن تصبحي سعيدة .

إيزة : آه؟ حسنا ، وإذا تمسكت بهذه السعادة ، أيا كان الذي نسميه بهذا الاسم ، سأكون امرأة أخرى! وسأستحق اللوم إذا لم أكن مستعدة لطرحه عن رأسي كما تفعل النساء عندما يصففن شعورهن!

ميزا : تمسكي قدر استطاعتك بهذا التبن المضغوط المخيف! وليضم الطفل الوديع أمه العفيفة بين ذراعيه ، ولتحتسب أصابعه تلك الخصلة المجنونة التي تود الإفلات بجوار الأذن الصغيرة . أراك تضحكين ، وتحمرين خجلا . أنكري أنك سعيدة .

- إيزة : لا تؤنبني .
- ميزا : أحب أن أنظر إليك . أنت جميلة .
- إيزة : أترى هذا حقا؟ يسعدني أن تراني جميلة .
- ميزا : كم يخيفني أن أراك بهذا الجمال ، والنضارة ، والشباب والجنون ، مع هذا الرجل الذي هو زوجك ، هل تعرفين البلد الذي تتجهان إليه؟
- إيزة : أمالريك قال لي نفس الشيء . (ميزا يقوم بحركة) لا تتركنا! تعلم أننا سنبقى بعض الوقت في هونج كونج ، حيث تعيش كما اعتقد .
- (صمت)
- حسنا ، ألا يروق لك هذا؟
- ميزا : لن أبقى في الصين فترة طويلة . ريثما أسوي بعض أعمالتي .
- إيزة : لمدة عام ، ربما عامين؟
- ميزا : نعم . . . ربما . . . ربما أقل أو أكثر .
- إيزة : وبعد ذلك؟
- ميزا : لا شيء!
- إيزة : عام ، عامان ، ربما أكثر أو أقل ، ثم لا شيء؟

ميزا : ثم لاشيء! نعم ماذا يهملك من هذا؟ إن حياتك منظمة، أما أنا فكلب أصفر! ماذا يفيدكم وجودي؟ إن كلا منكما . . .

إيزة : هل غضبت؟

ميزا : عيشي حياتك! أما أنا فلم أسع للحصول على شيء .
لقد تركت كل البشر.

إيزة : ياه! بل أخذتهم معك!

ميزا : اضحكي! أنت جميلة ومرحة، وأنا متجهم ووحيد . ثم إنني لا أريد منك شيئاً، وماذا عساك تفعلين بي؟ ماذا بينك وبينني؟

(صمت)

إيزة : ميزا، إنني إيزة، إنها أنا .

ميزا : فات الأوان . انتهى كل شيء . لماذا أتيت للبحث عني؟

إيزة : ألم أجذك؟

ميزا : انتهى كل شيء! أنا لم أنتظرك . لقد هبأت نفسي للاعترال، للخروج من حياة البشر، دبرت هذا بالفعل!
لماذا أتيت للبحث عني؟ لماذا جئت لإزعاجي؟

إيزة : لهذا خلقت النساء .

ميزا

: كنت مخطئا، أخطأت في أن أتكلم وأن . . . أن أدخل في علاقة حميمة معك، دون حذر، كما نفعل مع طفل محبوب نسعد برؤية وجهه الجميل، وهذا الطفل امرأة، وها أنا أضحك عندما تضحك. ماذا يمكنني أن أفعل معك؟ وماذا تصنعين بي؟ قلت لك كل شيء قد انتهى إنها أنت! مثلك مثل أي واحدة أخرى سواك. ماذا ينتظر من أي امرأة، ماذا يفهم منها؟ ماذا تعطيك بعد كل شيء؟ وهذا الذي تطلبه، عليك أن تهب نفسك كاملة لها! ليست هناك وسيلة لأهبك روعي، ثم ماجدوى هذا؟ إيزة، لهذا تحولت إلى ناحية أخرى. والآن لماذا جئت تزعجيني؟ لماذا جئت تبحثين عني؟ هذا شيء قاس. لماذا قابلتك؟ وها أنت بعد أن انتبهت إليّ، تديرين وجهك الجميل نحوي. لقد فات الوقت! تعرفين أن هذا مستحيل! كما أعرف أنك لا تحبينني، ثم إنك متزوجة، وأعلم من ناحية أخرى أنك تميلين لذلك الرجل الآخر أمالريك، لكن لماذا أقول كل هذا؟ وما الفائدة منه؟ افعلي مايجلو لك، فقريبا سنفترق. وما أملكه على الأقل فهو ملك لي. ماأملكه على الأقل فهو لي.

إيزة

: ماذا تخشى مني، طالما أنني المستحيل؟ أنت خائف مني؟ أنا المستحيل. ارفع عينيك، وانظر إليّ أنا التي أنظر إليك بوجهي، كي تنظر أنت إليّ!

ميزا

: أعرف أنني لا أروق لك أبدا.

إيزة

: ليس هذا صحيحا على الإطلاق، لكنني لا أفهمك،
لا أفهم من أنت، ولا ماذا تريد، ولا كيف ينبغي أن
أكون وما يجب أن أصنع معك. فأنت فريد في نوعك.
لا تقطب وجهك! نعم، أعتقد أنك على حق، فلست
بالرجل الذي خلق لأجل امرأة تشعر معه بالثقة
والأمان.

ميزا

: هذا صحيح، يجب أن أبقى وحيدا.

إيزة

: المهم أن نصل أولا ثم لا نبقي بعد ذلك معا.

(صمت)

ميزا

: لماذا؟ لماذا حدث هذا؟ ولماذا قدر لي أن أقابلك فوق هذه
السفينة، في هذه اللحظة التي انهارت فيها قوتي بسبب
الدماء التي سالت مني؟ ألا تؤمنين بالله؟

إيزة

: لا أعرف، لم أفكر أبدا في ذلك.

ميزا

: لكنك تؤمنين بنفسك، وبأنك جميلة. وإيمانك يقوم على
اقتناع عميق.

إيزة

: إذا كنت جميلة، فهذه ليست غلطتي.

ميزا

: أنت على الأقل معروف من أنت وما هو شأنك. لكن
تصوري وجود شخص آخر معك إلى الأبد، شخص
موجود في ذاته ويتحتم أن نتحملة في ذاتنا. إنه حي،
وأنا حي، يفكر وفي قلبي تفكيره، هو الذي خلق

عيني ، أستطيع ألا أراه؟ وهو نفسه الذي خلق قلبي ، لا يمكنني أن أتخلص منه . ألا تفهميني؟ لكن المسألة ليست مسألة فهم . هل تستطيع الكلمة أن تفهم نفسها؟ إنها تحتاج لكي تكون كلمة إلى إنسان يقرأها . بالفرحة أن تكون محبوبا إلى أقصى حد! بالفرحة في أن تفتح قلبك مثل كتاب مفتوح من منتصفه! وأن نكون نحن أنفسنا، إن هذا وحده، بحيث نصبح واضحين تماما، مقروئين، ونشعر بالفعل أننا منطوقون، مثل كلمة يسندها الصوت ونبرة اللفظ! وبالعذاب أن تشعر بأن كائنا آخر يتهجاك بلا نهاية! إنه لا يترك لي وقتا للراحة! لقد هربت إلى هذا الطرف القصي من العالم! وها أنذا في هذا الموضع الآخر من محيط الأرض، كشخص يقوم لقياس قاعدة ليحصل على بعد فلكي، بعيدا عن المنزل القديم الذي يبدو أشبه بالبيضة المكسورة. أنا الذي أحببت هذه المراتب كل الحب، وتلهفت على رؤية كل شيء وتملكه لا بالعيون وحدها أو الإحساس وحده، بل بذكاء الروح، لمعرفة كل شيء حتى أكون معروفا بكليتي، لكنه لا يترك لي الوقت أبدا، وها أنا وسط كل هؤلاء الوثنيين، وهو الذي أعادني إليهم، وكأنني مدين يبتزونه دون أن يعرف ما هو دينه .

: ولهذا السبب عدت إلى فرنسا؟

إيزة

: ماذا كان بوسعي أن أفعل؟ وأين هو خطئي؟ لقد استهلكك بعتاء شيء من ذات نفسي لا أعرفه . هذا إذن هو الأمر كله . إنني أهب نفسي . وهاأنذا بين يديك . خذي بنفسك كل مايلزمك .

ميرزا

إيزة

: هل طردت؟

ميزا

: لم أطرده. لقد وقفت أمامه، مثلما أقف أمام رجل لا يقول شيئاً ولا ينطق بكلمة. إن الأمور في الصين لا تسير على مايرام، ولقد أعادوني إلى هنا لبعض الوقت.

إيزة

: تحمل الوقت.

ميزا

: لقد تحملته بكل كياني! عشت في وحدة رهيبة بين الناس. لم أجد الألفة معهم أبداً. ليس لدي شيء أعطيه لهم، ولست مستعداً لتلقي نفس الشيء منهم. إنني لا أصلح لأي إنسان، ولهذا أردت أن أعيد إليه كل ما كان عندي. ولأنني أردت أن أعطي كل شيء، كان علي أن أسترده كل شيء، رحلت، ثم تحتم علي العودة إلى نفس المكان، ذهب كل شيء سدى، لم يبق شيء. كنت أحس في نفسي قوة أمل كبير! أمل لم يعد له وجود، ووجدتني ضائعاً، فاقد الوعي والهدف، وهكذا أعدت مرة أخرى، عارياً تماماً، مع الحياة القديمة، مجرداً من كل دليل، إلا أن أبدأ الحياة القديمة، أبدأ الحياة القديمة من جديد، يا إلهي! الحياة البعيدة عن الحياة، يا إلهي، بغير انتظار لأحد سواك، أنت يا من لا تريد شيئاً مني، وأنا بقلبي الجريح، بزيغي وضلالي. وها أنذا أثرت معك! ماذا تفهمين من كل هذا؟ ماذا يعنيك وفيهم يهكم؟

إيزة

: إنني أنظر إليك، وهذا شيء يعنيني، وأرى أفكارك مشوشة كالعصافير بالقرب من الطاحونة، عندما نصفق لها بأيدينا تصعد جميعها إلى شفئك وعينيك.

- ميزا : أنت لا تفهميني .
- إيزة : أفهم أنك تعس .
- ميزا : وهذا شيء يهمني وحدي .
- إيزة : أليس كذلك؟ ومن الأفضل أن تعمل إيزة على الاهتمام بك .
- (صمت)
- ميزا : (بثقل) هذا مستحيل .
- إيزة : نعم، هذا مستحيل .
- ميزا : دعيني أنظر إليك ، لأنك محرمة . لماذا تنظرين إلي هكذا؟
- إيزة : ياميزا المسكين! من العجيب أنني لم أرك أبدا من قبل .
إنني أحب كل ملمح من ملامحك ، في الوقت الذي لن يراك فيه الآخرون جميلا . ربما لم تكن عظيما بما يكفي .
إنني لا أجذك جميلا .
- ميزا : إيزة أجيبني على سؤالي كي أعرف . سنفترق بعد قليل .
لا أهمية لهذا ، ولكن افرضي أننا حرار ، أنت وأنا ، فهل كنت توافقين على الزواج مني؟
- إيزة : لا ، لا ، ياميزا .
- ميزا : أنت إيزة ، أعرف أنك إيزة .

إيزة : هذا صحيح . لماذا قلت ماقلته منذ لحظة؟ لا أدري .
لا أعرف ماذا أصابني فجأة . إنه شيء جديد مفاجيء .
شيء جديد تماما ، هو الذي دفعني إليه ، وماكدت أنطق
الكلمة ، حتى صدمت ، أتعرف دائما ماتقوله؟

ميزا : أعرف أنك لا تحبيني .

إيزة : وهذا هو مفاجأني ! هذا مافهمته بغتة ! أنا التي كان
يمكن أن تحبني .

ميزا : دعيني إذن أنظر إليك . ما أسرّ أن أجذك معي . إذا
مددت يدي ، استطعت أن ألمسك ، وإذا تكلمت ،
أجبتني وسمعت ما أقوله لك .

إيزة : لم تكن تتظنني ، ولم أنتبه إليك ، لكنني احترمتك ، لم
أكن لعوبا معك ، ولا أميل إلى التفكير في شيء كهذا .

ميزا : لماذا قابلتك الآن؟ آه ، لقد خلقت ، لقد خلقت للبهجة
والفرح ، كالنحلة السكرى ، ككرة قدرة في بوق الزهرة
المخصبة ! من القسوة أن تحتفظ بكل قلبك . من القسوة
ألا تكون محبوبا . من القسوة أن تكون وحيدا . من
القسوة أن تنتظر ، وتحمل ، وتنتظر ، وتنتظر على
الدوام . وها أنذا في هذه الساعة من الظهيرة حيث يرى
المرء بوضوح كل ماهو قريب . حيث لا يرى أبدا أي
شيء آخر . ها أنت إذن ! آه ، كم يبدو الحاضر المباشر
قريبا من أيدينا ومن فوقنا ، كشيء يملك قوة الضرورة .
رباه إنني بلا حول وقوة . لا أستطيع ، لا أستطيع أن
أنتظر أكثر من هذا ! . لكن لا بأس . سينتهي هذا

أيضا . كوني سعيدة! سأبقى وحيدا . ولن تعرفي شيئا عن عذابي . إنه على الأقل شيء يخصني .

إيزة

: لا ، لا ، يجب ألا تحبني . لا ، ياميزا ، يجب ألا تحبني أبدا ، لن يكون لي ذلك الخير مطلقا . تعلم أنني امرأة مسكينة . ابق ميزا الذي أحتاج إليه ، هذا الرجل الغليظ الطيب الذي كلمني بالأمس أثناء الليل . من سيستحق احترامي وحيي إن أحببتي؟ لا ، يجب ألا تحبني أبدا! لقد أردت فقط أن أتحدث معك ، واعتقدت أنني أقوى منك بصورة ما . وها أنذا الآن كالبلهاء التي لا تعرف ماذا تقول ، كشخص أُجبر على الصمت وراح ينصت . تعلم أنني امرأة مسكينة ، وأنتك إذا ما خاطبتني بطريقة ما ، فلا حاجة لك لأن ترفع صوتك ، لكن إذا ناديتني باسمي أو باسمك ، باسم تعرفه ولا أعرفه ، فسوف أصغى إليك ، والمرأة بداخلي لن تستطيع أن تمتنع عن إجابتك . أشعر أن هذه المرأة لن تكون طيبة أبدا معك ، بل ستكون نحسا عليك ، كما أتوقع أن تصدر مني أشياء مرعبة . ليس الأمر أبدا مجرد لعبة معك . لا أحب مطلقا أن أهب نفسي بصورة كاملة . ولا أريد أن أموت ، فهازلت شابة والموت ليس جميلا ، والحياة هي التي بدت لي جميلة ، فكم صعدت الحياة إلى رأسي فوق هذه السفينة! لهذا يجب أن ينتهي كل شيء بيننا . ميزا ، لقد قيل كل شيء بيننا . كل شيء انتهى بيننا . فلتعاهد على ألا يجب أحدا الآخر . قل إنك لن تحبني . قل لن أحبك ياإيزة .

ميزا : لن أحبك يا إيزة .

إيزة : لن أحبك يا إيزة .

ميزا : لن أحبك .

(ينظر كل منهما للآخر)

إيزة : (بصوت خفيض) كررها مرة أخرى لأسمعها .

ميزا : لن أحبك

(يرجع أمالريك)

أمالريك : كان عليكما الحضور لرؤية بقرتنا وهي تذبح . إننا نقوم الآن بسلخها ، وهو منظر يستحق المشاهدة . هذا وردي وأزرق ، وذلك قزحي وبلون الصدف ، لكن البحر هو الذي يفوقها صخباً وضجيجاً ! إننا نشعر بها وهي ترتب نفسها ، وتتهيا للمساء . أوه ! لم تعد تصدر عنها أي حركة ، ولكن يالها من بقرة سمينة ، نحس أنها أشبه بالقطيفة السمكة ، أو بظهر امرأة ! سوف ترون زيتها ! ليست كثيابكم الرثة . فلم تعد النساء تحسن اختيار ملابسها جيداً . هذا ما قاله لي ميزا .

إيزة : أهذا صحيح ؟

أمالريك : إنني أكذب ، لا تتهميه . لكن فيم كتما تتحدثان ؟ إنه لا يتركك . لم أعد أعرفه . لقد غيرت عزيزنا ميزا .

إيزة : كان يلقنني درسا في الأخلاق . فهو أستاذي .

أمالريك : وأنت أستاذته أيضا .

إيزة : إنني أتعلم منه . فهو يعرف النساء . ولا يتأخر عن إسداء النصيحة . هو واحد من أولئك الرجال المتأهبين دائما للتضحية بحياتهم وتقديمها لك ، بشرط أن يتخلص منك . متطرف ، متطرف ، مرهف الحس إلى أقصى حد ، ودائما أكثر مما يجب . أليس كذلك ؟ لهذه الأسباب أحب صغيري ميزا . وأنا مثله أيضا .

ميزا : هذا صحيح . فالوجود بالقرب من امرأة شيء جميل ، وكأنني أجلس في الظل ، وأتلذذ بسماعها وهي تتكلم بحكمة بالغة ، وتخبرني بأمور قاسية ، وخبيثة ، أمور عملية ، ودينئة غاية الدناءة ، من النوع الذي تبرع فيه النساء . هذا شيء يريحني .

أمالريك : أهي أشياء كالتى يسمعها زوجها ، إنه يتسم ، ويبدو عليه أنه سيتكلم ، لكنه لا يقول شيئا ، فهو هادىء وراض .

إيزة : يا الفتاي المسكين !

أمالريك : أتخبينه ؟

إيزة : أنا رجل ! وأحبه مثلما تحب امرأة !

(تضحك بصوت عال)

ميزا : لا يصح أن تضحكي بصوت عال .

إيزة : لكن هذا الأسلوب يناسبني يا أستاذي ! فلست فرنسية .

(تضحك)

أمالريك : انظري إليه عندما تضحكين !

إيزة : أحب الرجل عندما يكون وحيداً وفي ظهره عظمة كبيرة صلبة .

أمالريك : الإعجاب المألوف من النساء بالزنجي ورجل المطافئ .

ميزا : وأنا أحب رجالنا الذين يقلبون النار، عندما يهبطون نحونا من السماء، وليس معهم سوى أسنانهم البيضاء لكي يصلوا في صحراء هذا المحيط ! عندما يحرقون طول اليوم في الغبار، كي يطعموا السلطان الأصفر. بأي كرامة نستولي باقتناع على نصيبه المحدود من المياه. إننا نحن البيض نشرث ونسخر، ونرتدي الفساتين والسراويل، ونخزن المياه بلا ظمأ، نحن أكلة الخنازير.

أمالريك : الحقيقة أننا لن نجني شيئاً من وراء هذه الرحلة البحرية .

ميزا : من المقزز أن نجلس على نفس المائدة . مع كل هذا القطيع من الحيوانات الجرباء !

إيزة

: يا طباعك الغريبة! أما أنا فهذا يسليني ، وما أرق
والطف وأغرب أن ترى كل هؤلاء الناس يتحركون ،
ويتكلمون ، ويجلسون ، ويستديرون ، ويدسون أيديهم
في جيوب سراويلهم ، شيء يبعث على الضحك . وهذه
الباخرة بكل مقصوراتها ، وكل أبوابها التي نستطيع أن
نفتحها ونغلقها . ويالها من لعبة جميلة مثل صندوق
تحنيط النباتات والحيوانات ، بكل مافيها من أنواع! شيء
عجيب أن تشاهد كيف يتقاربون ويتعارفون ، كيف
يرتدون ثيابهم ، ويصففون شعورهم ، ويلبسون الأحذية
وأربطة العنق ، والكتاب الذي يحملونه في أيديهم ،
وأظافرهم ، وطرف اللسان الذي يظهر بين الشفتين مثل
لوزة ضخمة! لا شيء سوى يد تفتح وتضطرب ، وتبدو
منهمكة في أصابعها الصغيرة! وكم أفهم كلامها .

ميزا

: إنهم يضايقونني ، لا أستطيع أن أحتملهم .

إيزة

: وهم ما رأيهم فيك؟

ميزا

: لا أدري . لا يشغلني ذلك . فأنا لا أفكر في الآخرين .

إيزة

: ميزا! ميزا!

ميزا

: فعلا ، هذا صحيح! فأنا لا أفكر إلا في نفسي .

إيزة

: لقد اكتشفتها بنفسك ، وأنكرت أن النساء يصلحن لأي
شيء . أنت مشغول بنفسك فقط ، نفسك وحدها هي
التي تشغلك . أسهل على الإنسان ياميزا أن يضع نفسه
تحت تصرف الناس من أن يبهيم نفسه .

ميزا

: هذا صحيح .

إيزة

: تعلم شيئاً من النساء! من يهب نفسه كما ينبغي ، يجبر غيره على قبوله! سعيدة هي المرأة التي وجدت الإنسان الذي تهبه نفسها! وهاهو ذا الرجل الأحق تذهله تلك المرأة العجيبة ، ذلك الشيء الكبير الثقيل المزعج! بملابسها الكثيرة ، وشعرها الغزير ، ماذا يفعل بكل هذا؟ إنه لا يستطيع أن يتخلص منها ، ولا يريد أن يتحرر من أسرها . سعيدة هي المرأة التي تجد من تهبه نفسها! مثل هذه المرأة لا تطلب أبداً أن تسترد نفسها! لكن من ذلك الذي يحتاج لها هي وحدها ، كل الوقت ، وليس لأخرى أيضاً؟ إنها تهب نفسها لك ، فماذا تحصل عليه في مقابل ذلك؟ .

أمالريك

: كل هذا عسير عليّ . بحق الشيطان! إذا كان على الرجل أن يساوره القلق الدائم على زوجته ، ويظل في شك إذا كان قد وضع حبه لجيرمين أو بترونييل في موضعه ، ويتحقق باستمرار من حالة قلبه ، فيالها من مشكلة! إن العواطف هي التي تهم النساء ، وهي أشبه بتلك اللعب الصغيرة التي يرتبن فيها الخيوط والشرائط ، وكل أنواع الأزرار ، وأسلاك المشدات . والشيء المقرز أنهن مريضات طول الوقت ، وفي النهاية ، فهي هنا ، أليس كذلك؟ وسنفتقدها إذا غابت ، وهو شيء لطيف أن نحصل عليها من وقت لآخر . مارأيك ياميزا؟ كن صريحاً يابني ، هل أنا على حق أم لا؟

إبرة

: أمالريك . . . وماذا سيقول إذا صديقنا المسافر على الدوام وعلى ظهره جلد حيوان؟ «أنت أرنب»
يا أمالريك . . أنت أرنب .

(تضحك بصوت عال)

أمالريك

: ها هو زوجك ينضم إلينا مترفعا وصامتا كعادته .

(يدخل دوسيز)

أمالريك

: (يناديه) دوسيز، سنصبح جميعا أغنياء!

دوسيز

: شيء عظيم!

أمالريك

: لا يوجد أدنى شك في هذا الموضوع! وقبل كل شيء، ألا نحتاج جميعا إلى النقود؟ اسأل هذه السيدة التي أمامك، واسأل ميزا، الذي يبدو كرجل بلاجيوب! وبصرف النظر عنك وعني، أخبرك أنني أشم رائحة الثروة في الهواء! هيا إذن، فأنا أعرفها! أعرف هذه الرائحة! ألا تشمون ريحها؟ آه، أحس أن قلبي يتمدد وينبسط، لقد عبرنا خطا معيننا! أتعرف على شرقي القديم! إنه يبدو لي مثلما يبدو متجر اللوفر الكبير، الممتلئ بالأقمشة والصابون! بالنسبة لمدام ديينال أو فاسي سيريليز. إنها الهند أمامنا. ألا تسمعها من شدة الزحام تكاد الأذن تحس رفيف مليارات العيون. ياها من فرصة ألا تكون في فرنسا! فلن نرجع أبدا إلى الوراء! كم بدا لي كل هذا الكلا بلا طعم! ومنظر الخضرة المقرزة المحرومة من ضوء الشمس! وذلك القرن الشاحب الذي يسمى الحمام الساخن!

- دوسيز** : لقد عبرنا السويس مرة أخرى .
- ميزا** : الحقيقة أن الإنسان لا يعبرها إلا مرة واحدة، أظن أننا جميعا قد عبرناها في هذه المرة .
- أمالريك** : مرحى ! لن نعبرها مرة أخرى . مرحى ! لن نرجع مرة أخرى للوراء ! إذن سنكون جميعا في العام القادم بين الأموات . مرحى مرحى !
- إيزة** : ياله من دعاء جميل .
- أمالريك** : في كل الأحوال ، يجب علينا جميعا أن نصبح أثرياء ، وإلا فالخطأ خطؤنا جميعا . هذا هو ماتوصلنا إليه . أريد أن أجمع ثروة مهولة ! مرحى ! إنني أعرف الشرق البديع . عنيف أنا وفوضوي وملىء بالبراغيث ! (*) وهناك الشمس شمس من طلعة الصباح ! والأخضر أخضر ، والحرارة القاتلة في كل مكان ، عندما تكون حمراء ، حمراء ! وأنت مثل النمر وسط حيوانات أضعف منك . كان الأفضل بدلا من هذه التجارة الحقيرة ، أن تطعن السيف في الزند مشيرا الفزع . أن تدخل تلك المدن القديمة ، المكتظة باللحم البشري ، وأنت مدجج بالسلاح ، وتصمم على الرجوع بأربعة أطنان لكل منا ، مليئة بالحلي والجواهر ، ومعها عينات من آذان الخائنات ، وأصابع مقطوعة لنساء وفتيات ، أو الهلاك بشرف وسط الرفاق ! وسيكون هذا أفضل من أن يغرق المرء في عرقه وهو يرتدي «المنامة» أمام حاجز الشرفة .

* هذه الجملة مكتوبة باللغة الإنجليزية في الأصل الفرنسي .

إيزة : وهل ستحتفظ لي بالآلىء؟

أمالريك : لآمانع لآلىء . آمنى فقط أن أآء الأآلىء العآملة لمزارعى المزرولة بالمطاط ! إن مرور الزمن لا ىغير شىئا هناك ، فالشمس دائآا هى الشمس ، والمحيط الهنآلى هو نفس المحيط ، هذا الوثنى الجآرح الذى ترآى على الرىآ الموسمية ! الدرجة العآشرة أفضل للبحآ من أن ىشغل الدرجة الستىن ، وهذا ىزىء على بلآىكا ، وشبه جزىرة لبرآور ، والشارع الخامس والعشرىن فى نىوىورك ، وهو شارع جمىل وأكثر من هذا أن الأرض وحبشة صلبة ، لكن بلاد الماء هذه ىعرف الرجل الممسك بالدفة كىف تتحرك ! كل هذا ىبقى على آاله دائآا . تكلموا ، هل تعرفون آىن نحن الآن ؟ هل تفهمون آحوال التجارة ؟ اسمعوا ، سأعطىكم فكرة عن الاقآصاد السىاسى .

مىزا : أنت ثمل ، يا أمالريك .

دوسىز : لا ىىءو هذا أبآا علىه . إنه «رحالة» حقىقى . انظروا إلى عىنیه الصغىرتىن اللتىن ترمشان .

أمالريك : إلى اليسار ، بابل ، بكل أسواقها ، وأنهارها المنحدرة من أرمىنىا ، وعلى الیمىن ، خط الاستواء ، وأفرىقىا ، حسن ، هل تدركون الآن معنى التجارة ؟ القوارب الصغىرة فى الرىآ الموسمية الشآالية التى تصفع سبأ ، وموانىء جزر السلمون ، ومسقط ، والهند ، ومنبع الرافآىن . غنىة بالحآىء ، والمنسوجات ، وما ىلزم من سلاسل وقىوء كى

نحصل منها على مانريد، ناحية زيمبابوي، والمدن
البيضاوية، ثم نعود إلى الرياح الموسمية في الجنوب وقد
امتلات جيوبنا بلحم قبائل شام المنحدرة من أصول
أندونيسية، ومعنا زنوج، وزنجيات، وزنوج صغار
يصيحون، ويأكلون ويرقصون ويغنون، ويكون،
ويتبولون! وأحيانا، في الصباح، تظهر الأرداف السوداء
للسفينة الكبيرة الواقفة وسط ريش الدجاج وقشور الموز
على البحر الذي يلفظ الأسماك الطائرة! هذا مايناسب
المطاط!

ميزا : هاهي ذي الشمس تغرب! وهاهو ذا البحر كالطاووس
الملون أو كآلهة الحظ الهندية لاكشمى الزرقاء وسط
موشور أزرق!

إيزة : آه، لقد عبرنا السويس حقا!

ميزا : ولن نعبرها مرة أخرى. أنت على حق، هنا أقدم مكان
على البحر، هنا أغنى المصادر، أكبر مخازن الصباغة،
الزجاج العميق، البحر الواسع من النيذ الذي يشرق
عليه البدر المحمر والشمس القرمزية! لكن انظروا الآن
حيث تهبط الشمس! إنه اللون الوردي! نقي مثل عنق
صبية، عذب مثل امرأة! لامع كالخزف، رقيق كخمار
الكشمير القديم، الذي كان يلبسه فقهاء القانون. آه!
شيء مشين أن نلوث لك الصدر الجميل! ونعكر
بمراكبنا أعماق هذه المياه المقدسة(*) المليئة ببيض
الأسماك الإلهية!

* Marie-Salope نوع من المراكب المخصصة لصيد المحار من أعماق البحر.

إيزة

: (بصوت خفيض) هاهي ذي الشمس تغرب، وهاهو ذا
الهواء الخفيف يرتفع!

(صمت)

ميزا

: (بصوت خفيض) هاهي ذي الشمس تغرب، هاهو ذا
البحر يتحرك، والقلب المذنب يرتجف لحظة تحت سماء
تتنهد هاهو ذا البحر من الذهب الخالص، كالعين في
اتجاه المصباح (وهو يتلو نصا) «عيناهما لهما لون مختلف.
ويغير البحر لونه مثل عيون امرأة نضمها بين ذراعينا».
هي مقارنة صحيحة تماما، رقيقة رقة اللحم، أعلى
الذراع، مع كل هذا المزيج من الألوان، بدءا من لون
الكبريت إلى الأزرق الصافي والقرمزي. مثل عين الضوء
لا يمكن الاستيلاء عليها أبدا كأن مياهها تنسكب من
نبع آخر.

(جرس الغذاء)

دوسيز

: لقد دق الجرس، حان وقت الانصراف لارتداء ملابس
العشاء.

أمالريك

: امرأة! هذا تعبير لم أتوقعه من ميزا الذي أعرفه من رحلتي
الأولى. إيه، إيه! هو أيضا قد عبر السويس! إيه
ياميزا، إنه السن الذي وصلنا إليه! السن الملائم لتحقيق
الذات!

ميزا

: من المستحيل التوقف في أي مكان.

دوسيز : هيا للعشاء .

(ينهضون جميعا)

أمالريك : (آخر من يخرج وهو يقرأ بصوت عال) البحر مثل عيون المرأة . فهمت! البحر مثل عيون المرأة تضمها بين ذراعيك .

الفصل الثاني

(هونج كونج، المقابر مليئة بالأشجار الكثيفة في «هاى فالى» (الوادي السعيد). ومن هناك، تنكشف طرق عديدة وميدان سباق، ومصنع، وميناء صغير، والبحر، ومن الخلف يظهر الساحل الصيني. الوقت عصر يوم كئيب في شهر أبريل. السماء ملبدة بالغيوم وعاصفة)

ميزا : المكان جميل هنا (يقرأ الكتابة المنقوشة على قبر) الاسم سميث. كان شابا صغيرا، هاهي الشجرة. (ويعاملها كأنه لا يراها) هنا. قالت لي أن أنتظرها عند سميث كمن يحدد لك موعدا في الساعة الخامسة عند الحلواني. يالها من نزهة غريبة في مستنقع الهراطقة هذا! أكره هذه المقابر الأوربية. وهأنذا أجد نفسي بين هؤلاء الملاحين!

(ينظر حوله)

منظر جميل. راعوا أن يكون فيه ميدان سباق، والطريق الذي يعبره كل الناس. حياة كاملة، مصنع يتصاعد منه الدخان، والميناء بسفنه، وأرض الأحياء في الناحية الأخرى. إنني أرتعد. أحس بطعم معدتي في فمي. لست ميتا، بل أشعر بجمال الحياة. كم أحب هذه المقابر الصينية التي تنبت تربتها الزهور من الأرض الساخنة الجافة كالجير! لكن نحن الغربيون، رجالا

ونساء، لا يهم أن نطرح في أي مكان، في مقبرة مبللة،
العجوز الأحمر، والشاب الذي كان يجيد لعب التنس،
والفتاة المسكينة بملابسها الداخلية من الحرير الوردي!
وإذا ما طفا التابوت، وضعوا بداخله قطعة قذرة من
الرصاص ليغوص في الماء. هذا هو الذي يجعلك تحتسي
كأسك من الويسكي. ما هذه الشعلة المتوهجة خلال
الأغصان؟ أرى مصابيح مضاءة. إنها مقبرة المجوس.

(يتجول بين المقابر وهو يقرأ الكتابات المنقوشة عليها)

لتخليد ذكرى جنود فيلق البحرية القتلى أثناء الهجوم على
قلعة بوكاتيغري. بلومكيت، قائد السفينة.

(يقف شاردا، ثم يعود إلى انتباهه بمجهود)

هه، بلومكيت... كاري بنسوزان، ماتت في الشهر
السادس من عمرها. وودز - إنه العجوز كوكي - جونز،
ك. س. - باكستر - موظف تأمين، لي بوتان دي جوزافيه -
وكون، سمسار عقارات، ليكن الخلود من نصيبي، كم
أتذكر كل هذا! بحار سنة ١٨٥٩ الذي أردته رصاصة قاتلة
أو الزهري المنتشر في المعسكر. والأعزب العجوز الذي مات
من الهذيان الرعاش. مأسوفا عليه من كل أصدقائه،
والأطفال التعساء الذين يهلكون في قيظ يوليو كسمكة
مختنقة في زهرية نسوا أن يغيروا ماءها. والجميع محرومون من
بركة السماء. مساكين غرباء عن أرض الوطن.

(ينظر)

أي ظل هذا فوق الأرض ! إن خطوتي تصيح . ويخيل إلي
أنني أتكلم في مغارة .

فوقي سماء مسدودة ، يغمرها ضوء نهار باهت . لقد
أصبت في عقلي ، وداهمني التبلد . لا شيء سوى الشر
المستشري في روحي . هذا على الأقل شيء يخصني .

(وهو يقرأ) «أنا على الأقل أتعذب . أنا على الأقل شقي
إلى أبعد حد» . هذه الآلام في قلبي ، هذه العذوبة المرة
السامة لم يبق لدي شيء أفعله . لقد أصابني الشلل .
روحي في داخلي مثل قطعة من الذهب بين يدي مقامر!
(يتعد)

(يدخل دوسيز وإيزة)

دوسيز : ياعزيزتي . أسألك الصفح . يجب أن أتركك هنا .
ستقولين إنني لا أحسن التصرف ؟ كم يوما مرّ علينا هنا ؟
وهذه عملية يبدو أنها تسير على مايرام . دعيني أدبر الأمر
وحدي ! لكنك تشكين دائماً في . علي أن أقابل صديقي
«آه فات» ، هناك ، في ميناء السفن الشراعية . سأتناول
العشاء معه هذا المساء ، ونناقش الترتيبات الأخيرة .
سأرحل إلى ساتو .

إيزة : أليس في هذا خطر عليك ؟

دوسيز : لا أعتقد هذا . لا أدري . لماذا تسأليني هذا السؤال ؟
هل تظنين أنني خائف ؟ لعلها لمسة لطيفة منك ندل على
«الطيبة والإخلاص»

(يكتب الحروف الصينية في الهواء بأصبعه)

إيزة

: ما أسرع أن تتعلم اللغات!

دوسيز

: أعرف بالفعل الكثير من الحروف . وقد جمعت في هذه الفترة عددا من الأختام .

إيزة

: أعرف أنك ذكي ، سيز ، يمكنك أن تتصرف كشخص آخر إذا أردت . لماذا تتحول فجأة وتصبح كالطفل ؟

دوسيز

: سترين إن كنت طفلا ! من الحمالين القادمين من بينانج أو سنغافورة الذين نفتش ثوابيتهم وإذا وجد بها أفيون أو بنادق فسيكون ذلك صدمة شديدة لي . هل تعلمين أنهم يستعدون هناك لإقامة جمهورية صغيرة ولطيفة على قدميها ؟ شيء مثل . دستور الولايات المتحدة ، الذي صدقت عليه الأرواح الثلاثة للواء السماوي ، مع بعض المساهمات غير المباشرة من الضرائب . ماذا يقول عمنا الماركيز ، لو عرف أنني أساعد في تأسيس جمهورية ، وماذا تريدن يا عزيزتي ، يجب أن نعيش ، يالها من مهنة لرجل ربي تربية حسنة . مارأيك في هذا الموضوع ؟

إيزة

: لماذا تكلمني عن هذا ؟ ماذا تريد مني أن أعرف ، وكل هؤلاء الصفر يثرون اشمئزازي . لماذا لا تحتفظ بهذه المسألة لنفسك ؟ إن وجود أحد يخالفك في الرأي مصدر تعذيب لك .

دوسيز

: ليس هذا ماقلته لميزا في ذلك المساء . منبهه من نومه

- إيزة** : صدقه .
- دوسيز** : لا بأس . إنه صديقنا .
- إيزة** : لنستفد منه إذن .
- دوسيز** : يالقسوتك ! أنا لم أستطع أن أعود عليك . هذا الهوس الذي يدفعك إلى الإلحاح والمبالغة ! يجب أن نأخذ الحياة بخفة ! إنني أحب هذا الغلام ، ويسعدني أن يؤدي لي خدمة ، ثم إنه لا دخل له في كل هذا .
- إيزة** : ومتى ستعود ؟
- دوسيز** : خلال شهر . أعتقد هذا . لا أعرف بالضبط .
- إيزة** : أنت لا تعرف شيئاً بالضبط .
- دوسيز** : نحن مرتاحون في هذا الفندق ، وقد تعودت على الفنادق .
- إيزة** : (وقد خفضت عينيها) لا ترحل .
- (صمت)
- دوسيز** : قلت لك هذا شيء لا بد منه ! .
- إيزة** : يا صديقي ، لا ترحل .
- (صمت)

- دوسيز** : لابد، لابد يا إيزة .
- إيزة** : لا تتركني وحدي .
- دوسيز** : لاخطر بالمره .
- إيزة** : يجب ألا تتركني هنا وحدي .
- دوسيز** : يجب أن تكوني عاقلة .
- إيزة** : ما أنا إلا امرأة . إنني خائفة . مهما يكن فأنت بعد كل شيء مسئول عن حمايتي . إنني خائفة ! أعرف أن هناك أشياء مرعبة تنتظرنى ، وأشعر بالخوف من هذا البلد الذي لا أعرفه ، هذا البلد الذي تتركني فيه وحيدة ، بمجرد وصولي إليه ، ومازلت أشعر بالدوار والاهتزاز بعد مغادرة السفينة .
- دوسيز** : ماذا ! هل إيزة هي التي تقول إنها خائفة ؟
- إيزة** : خذني معك !
- دوسيز** : لا يمكنك أن تتركي أطفالك .
- إيزة** : لقد اهتممت دائما بأطفالك ، أما أنا فلم تهتم بي أبدا !
- دوسيز** : لكن ، يا إيزة !
- إيزة** : أرجوك مرة ثانية ألا تتركني وحدي . أنت تتهمني بأنني متكبرة ، وأنني لا أرغب أبدا في شيء ولا أطلب أي شيء . كن راضيا إذن . فها أنت تراني ذليلة مهانة . لا تتركني . لا تتركني وحدي أبدا .

دوسيز : هكذا ينبغي أن نعترف في النهاية بأن المرأة في حاجة إلى زوجها! وهذه عزيزتنا إيزة المعتزة بنفسها تتوسل كطفل صغير ألا تترك وحدها!

إيزة : لا تسرف في الثقة بي .

دوسيز : أنت لي ، شئت هذا أم أبيت . هل كانت لديك الرغبة في الزواج مني ! ومع ذلك فأنا الذي أخذتك وكسبتك طوعا أو كرها ، بينما عجز الآخرون .

إيزة : لا تحتقري كثيرا ، ولا تثق في أكثر من اللازم ، كما لو كنت امرأة يمكن كسبها بالعناق والملاطفة . ألم أبق معك عشر سنوات ؟ عشر سنوات عرفت فيها وجهها ، وظهرها ، من الأمام والخلف ، ومن أعلى وأسفل ، وهأنذا أتهم وأقدم للمحاكمة ألم تأخذ مني كل حسابك ومتعتك ؟ ألم تنجب مني كل أطفالك ؟ وأنت ، هل عرفتني ؟ هل تعرف من أنا ؟ رجل لم يعرف زوجته كما لم يعرف أمه . عشر سنوات ! أنا الآن في الثلاثين . ذهب شبابي ، وكل ماكان في إمكاني أن أعطيك قد أعطيته كله . لا تتركني هكذا وحدي ، في الوقت الذي يوشك فيه كل شيء على الانتهاء . لا تغب .

دوسيز : إنني أعرفك أفضل مما تعرفين نفسك هذه هي إيزة المعتزة بنفسها ! معي أنا ! إن معرفتي بك لا تسمح بأن أتصور أنك يمكن أن تفكري في اقرار أي خطأ معي .

: لا أدري ، إنني أحس في داخلي بغواية ، لم أعد تلك الفتاة الصغيرة التي أخذتها . إنك لم تبق على ما كنت ، ولست بكرا لم يمسنني أحد ، ولكن هل تعتقد أنني لا أصلح إلا لإنجاب الأطفال؟ هل جمالي بلا مقابل؟ من يملكني في المستقبل ، سأمنعه من امتلاك شيء آخر سواي . سأكون له ، ألا يكفي هذا؟ ثمة شيء في كياني كله لم أقدمه لأحد ، ثمة موت معين ، سأعرف كيف أهبه إياه ، ثم ألت جميلة؟ لكنك أنت ، أنت غير جاد . أفهم من أي نوع أنا! من أي جنس أنحدرا! لأن هناك شيئا شريرا ، شيئا مجنونا ، شيئا هو الدمار والموت والضياح لنفسي وللجميع ، أليست هذه غواية لا يمكنني أن أصمد أمامها؟ عما قريب سيدوى جمالي . وبدلا من أن أشيخ في سأم يوما بعد يوم ، سأرفض الشيخوخة! أليس من الأفضل أن أعطيه كل شيء مرة واحدة ، أن أغرسه بين يديه في نوبة من الضحك ، في سخاء وأريحية منتصرة ، في أثناء شبابي وروعتي ، وأن أفنى مع ذلك الذي أفنيه ، مثلما فني أجدادي واندثروا ، في لحظة اطلاق نفير ، في بريق السيف القاتل ! على أنني أتمنى ألا تصيبني هذه الغواية ، لأنها لا تجوز ، ولن يكون فيها نبل ولا عدل ، والنبل كله في المعاناة والمقاومة .

: هل عانيت في حياتك معي؟ وما هو ذلك الشيء الذي حرمتك منه وكان في إمكاني أن أهبك إياه؟

إيزة

: فلتغفر السماء أنك حرمتني من شيء ما، وأنت قد
حرمتني من نفسي! إنني امرأة بعد كل شيء، وليست
هذه معضلة. وماذا يلزمها غير الأمان، مثل ذبابة
العسل النشيطة داخل الخلية المحكمة الإغلاق؟ وأي
أمان من الحرية المخيفة، مثل أن أعطى وأوهب؟
وحاولت أن أتصور أنني سأنعم بالهدوء، إن حياتي
مضمونة، وإن هناك دائما من يعيش معي، لكي يتولى
قيادي ويأخذ بيدي، رجل يشاركني بعض أفكاري،
ويمكنه دائما أن يكون أقوى مني. وما أهمية أن تؤذيني
قليلا مادمت أحس أنك تضميني وإنني أخدمك، أما
أنت، فمن يعرفك، من يمكنه أن يطمئن إليك ويجد
فيك ما يفهمه ويخلص له؟ إنك تهرب وتغيب. مثل
طفل ضعيف ورقيق، متقلب المزاج، غامض، مملوء
بالأكاذيب، يصعب رؤية شيء في عينيك. لا تنفذ
رغبتك في الرحيل! لا تغب عني في منتصف حياتي!

دوسيز

: كل هذا لأجل بضعة أيام أتغيبها عنك؟!

إيزة

: أجل. أليست هذه هي الساعة التي يكفي فيها أي
انفصال؟ إنها شيء أدق من سكين تقطع ثمرة إلى نصفين
فلا يمكن وصلها بعد ذلك، من يضمن ألا أموت مثلا
فور رحيلك؟ إنني خائفة من الموت. لماذا جئت بي إلى
هنا؟ أنظر إلى هذا المكان الحزين!

(تنظر حولها في رعب)

دوسيز

: لكنك أنت التي وجدت هذه المنطقة جميلة.

إيزة : كم هو مرعب أن نموت وأن نكون موتى .
دوسيز : لكن الأمر لا يتعلق بالموت . لا خطر هناك بالمرّة . سأعود قريباً ، وعما قريب سيكون لدينا المال وسنرجع إلى فرنسا ، أرى أنك تحببتي . أعرف هذا يا قلبي . أعرفه يا ذات القلب الطيب الرحيم !

إيزة : وتصمم على الرحيل ؟
دوسيز : لأبد من هذا . آه « فات » أقرضني المال .
إيزة : إذن فارحل . ليس لدي ما أقوله . حسن .
دوسيز : ألا تريدني على الإطلاق ؟

إيزة : لا .

(صمت)

دوسيز : إيزة ! لقد فكرت فيما نصحتني به . إن فيه نصيباً من الصحة . هذان الشيئان اللذان يقدمهما لنا صديقنا ميزا . . .

إيزة : وماذا بعد ؟
دوسيز : إذا بقيت هنا فالوضع غير مغر .
إيزة : ولكنه مضمون .

دوسيز : مضمون! مضمون! أليس في فمك غير هذه الكلمة؟!
لقد أسأت فهمي على الدوام! إنني بحاجة للإمساك
بزمَام المبادرة، بحاجة إلى المال. أعتقد أن المخاطر
تخيفني؟ صدقيني إذا قلت إنني أخشى أن أصبح بك
معي إلى بلاد «شان».

إيزة : ولهذا يجب ألا تذهب إليها.

دوسيز : هذه خسارة فادحة. فلن تطول الإقامة أكثر من بضع
سنوات. لقد حسم وضعي، وهيات نفسي له.

إيزة : كيف أوافق على رأيك وأنت لا تكف عن تغييره؟

دوسيز : يجب ألا تكوني قاسية. فعما قريب لن أكون معك.
وداعا يا قلبي.

إيزة : وداعا ياسيز. لم تكن رجلا شريرا.

دوسيز : لاداعي للدموع يا قلبي. وداعا، يا ذات القلب الطيب.
لن أتركك وحدك أبدا. يسعدني أن ميزا سيكون
معك.

(يقبل يدها ويخرج)

(تتبعه إيزة طويلا بعينها وهو يتعد، وبعد أن يختفي،
تبقى ساكنة في نفس المكان)

إيزة : (ناظرة إلى ناحية أخرى) لم أعد أراه. لن أنتظره. أعتقد
أنه لن يرجع أبدا.

(تبقى ساكنة، وقد ركزت عينيها على الأرض)

يدخل ميزا من الخلف

ميزا : (بصوت خفيض) هاأنذا .

(تستدير نحوه ببطء وتمد له يدها ، يتبادلان النظرات في حرج)

إيزة : لقد تركني زوجي لتوه .

ميزا : وكيف حالك؟

إيزة : أنا؟ الأمور تسير دوما! لاشيء يمنعني أن آكل .

(تنفجر ضاحكة)

كأني جندي طيب مهزوم . شيء عجيب . يخيل إلي أنني لم أثبت قدمي على الأرض بعد ، أميل جانبا في سيري ، وأنحني ، أنحني ، ثم أرتج فجأة كأني أعاند النوم . ألا تشعر بهذا؟ أنك لا تحس وأنت في البحر أنك واقف على رجليك . ولا شيء يبدو معتدلاً ، يصعب عليك أن تتهاوسك ، وكأنك فوق أرض تتنفس .

ميزا : هل كلمته؟

إيزة : رجوته ألا يرحل ، ألا يتركني هنا وحيدة . فلم يشأ أن ينصت إلي .

ميزا : أنا أيضا فعلت ما استطعت . . كيف يتركك هكذا؟ لقد عرضت عليه بعض الاقتراحات ، ولكنه مغرم بدسائسه ، يستمتع بها ويتصور أنه يخدعني .

إيزة : هل سمعت الشائعات من كل ناحية؟ وهل هناك جديد حقا؟

ميزا : لا.. لا.. من يعرف الصين؟ ربما يحتاج الأمر ستين، أو ثلاث، أو أربع سنوات أخرى.. متى قلت أنه سيرحل؟

إيزة : غدا.

ميزا : وكم يطول غيابه؟

إيزة : شهر. يجب أن يتركني وحدي، يجب ألا يأتي لرؤيتي.

(يبقيان صامتين دون أن يتبادلا النظر. وفجأة ترفع إيزة رأسها وتفتح له ذراعيها. وتضمه وهي تنشج وتضع رأسها في حضنه)

إيزة : ياميزا المسكين! (تداعب رأسه)

ميزا : إيزة!

إيزة : أيها الطفل المسكين ميزا، ميزا المسكين.

ميزا : انتهى كل شيء.

(ينهض وهو يترنح كالمخمور)

إيزة : (وهي تنظر إلى وجهه) تعال! تعال ولا تبق بعيدا عني طويلا.

(يتعانقان، تظل إيزة ساكنة ومستسلمة. يتوقفان)

- ميزا : آه يا إيزة!
- إيزة : ها أنذا، ياميزا. ها أنذا.
- ميزا : أيتها المرأة بين ذراعي!
- إيزة : هل تعرف الآن ماهو معنى المرأة؟
- ميزا : إنني ممسك بك، لقد وجدتتك.
- إيزة : وأنا لك، لن أترجع، سأتركك تفعل ما تريد.
- ميزا : آه إيزة، هذا حرام.
- إيزة : حقا، أن تضميني إليك حتى تكاذ تخنقني! مسكينة
يا إيزة. لم أكن أصدق أنه حرام إلى هذا الحد!
- ميزا : آه يا إيزة، إن السفينة التي أقلتنا قد رحلت، رأيناها
تختفي في دخانها!
- إيزة : ليست هذه التي تمسكها سفينة، بل امرأة حية بين
ذراعيك.
- ميزا : آه يا إيزة. لا تسمح لي بأن أعود إليها!
- إيزة : سأتنازل عن هذا. أنا لك.
- ميزا : هذا كثير!
- إيزة : هل يجب أن أتنازل عن نفسي أيضا؟

ميزا

: هذا كثير!

إيزة

: هل يكفي؟ أهنأك شي آخر تريده مني .

ميزا

: هكذا أمسكت بك! أخذت جسدك نفسه بين ذراعي ولم تبدي مقاومة ، وسمعت قلبك الذي يدق بين أحشائي! صحيح أنك لست سوى امرأة ، ولكنني لست سوى رجل ، وهأنذا أشعر بعجزتي وبأنني مثل إنسان جائع لا يمكنه أن يجبس دموعه عند رؤية الطعام! يا عمادي! يا قوة محبوبتي! كم كان من الظلم أن ألقاك! بأي اسم ينبغي علي أن أناديك! سأدعوك أُمي ، لأن حنانك يغمرنني ، وأدعوك أختي ، وأمسك ذراعك المستدير الأنثوي بين أصابعي ، وفريستي أيضا ، ويصعد دخان حياتك من أنفي إلى رأسي ، وأرتعد منك وأنا أحس أنك أضعف المخلوقات كحيوان الصيد الذي يمسه من العنق! آه سأذهب وأنا أقر بعجزتي ، وأنت بين ذراعي ، مثل شخص تكوم جسده ، وتحت ضغط يدي مثل إنسان مستسلم للنوم . أخبريني يا من لك قوة شخص نائم ، إن كنت أنت التي أحبها آه! إني عاجز ، وهذا فوق طاقتي ، وما كان يجب أن ألقاك ، وأنت تحبينني إذا ، وأنت لي ، وقلبي المسكين يتخلى ويتلف .

إيزة

: أنك تمسكني وتضمنني بشدة إليك حتى يرتعد جسدي ، ولا أحاول أن أتملص منك ، وأظل ذاهلة كأني مصابة بالصمم ، وتلك هي التي وجدتها شديدة الكبر والمكر! إنك لا تدرك معنى المرأة ولا تعرف أن من السهل عليها — بصورة معجزة وبكل الوسائل المتاحة لها — أن

تتنازل وتتخلى ، ثم تجد نفسها فجأة محتقرة وذليلة
ومستعطفة ، وثقيلة ، ومخدرة ، ومحرمة بين يدي عدوها ،
وعاجزة عن تحريك إصبع واحد . لست يا عزيزي ميزا
مجرد رجل ، وإنما أنت لي ، أنا التي هي امرأة ، وأنا الرجل
الذي في داخلك ، وأنت المرأة معي ، أقطف قلبك دون
أن تعرف كيف وآخذه ، وأضمه للأبد بين نهدي ! وليس
من الضروري أن أكون قادرة على فهم حبيبي ميزا ، ولا
من الضروري مناداتي بكلمات يعرفها الآخرون ، مثل
«ياهامتي» أحيانا (وإن يكن نداء عذبا) . و«ياحبيبي»
التي لم تقلها لي ، ويا «قبيحة» ويا «غبية» ويا «شريرة»
التي ستكون أكثر رقة وعذوبة ، بل بكلمات بالغة
السخف ، من ذلك النوع الذي لا يثير ضجة ، بحيث
لا يمكنني مطلقا أن أفهمها ، أو باسمي فقط عندما
تقول إيزة ، فلا يكون لها مكان إلا في فؤادي ، وتغدو
ثقيلة كالطفل المجهول الذي تحمله بين أحشائنا .

- ميزا : لن أعتب عليك بعد ذلك يا إيزة .
- إيزة : حقا؟ أنت راض الآن؟ يا أستاذ! ألن تؤنبنني قط؟
- ميزا : يالي من دكتور بائس!
- إيزة : هل استفدت من دروسك ، يا أستاذي ، أم لا؟ قل
يا صغيري ميزا ، أليس من الأفضل ألا تتعالى على أحد ،
وإنما تكون أضعف مخلوق ، مجرد رجل بين ذراعي امرأة ،
كشيء استقر على الأرض ولم يعد في إمكانه أن يسقط ،
مجرد رجل مسكين في نهاية الأمر بين ذراعي .

ميزا

: آه، لست رجلا قويا! آه! من قال إنني رجل قوي؟ لقد كنت رجلا تضنيه الرغبة، يسعى يائسا وراء السعادة، يائسا وراء السعادة، ومهموما ومتيبا، وعميقا، ومنزوعا! ومن قال إنك أنت السعادة؟ آه، لست أنت السعادة! أنت ذلك الذي حل محل السعادة! لقد ارتجفت وأنا أتعرف عليك، وتخلت روحي وانسحبت مني! وصرت كرجل يلطم وجهه، وأنا أحبك، وأقول إنني أحبك، وماعدت أقوى على التحمل، وأبغى أن أتزوجك بحب كافر وبكلمة مدانة، أنت أيها الشيء العزيز الذي ليس هو السعادة! ما أنا إلا الشجرة أو الحيوان المقدس رمز الأنثى(*)، لم أعد أملك لسانا أستطيع به أن أدعوك امرأة، إنما أقول فحسب إنك حاضرة، مثل شخص سبقه النعاس، في اللحظة التي يخونه فيها كل شيء! هكذا كنت كصائغ الذهب تحت المصباح، تصلين مع صفير منتصف الليل الذي يجلب معه فراشة بيضاء.

إيزة

: (وهي تعانقه) ليس ميزا سوى رجل يحبك.

ميزا

: رجل مأخوذ.

إيزة

: بل رجل ملك يميني، أمسك بك في يدي التي ألقى بها كحيوان ثقيل فوق كتفيك. وأنا، هل أنا رجل؟

(تنفجر ضاحكة)

ميزا

: لا تكوني بلهاء.

* Femelle ريبا كانت هذه إشارة لشجرة التفاح المحرمة والأفعى.

إيزة : أجب! هل أنا رجل؟

ميزا : أنت امرأة .

إيزة : ومع ذلك فلي ذراعان وساقان مثل أي رجل آخر،
ويمكنتني أن أرد عليك عندما تتكلم، ولكن بصورة
أفضل وأجمل وأرق. لكن قل الحقيقة واصدقني
: ألم تعرف امرأة أخرى أبدا؟

ميزا : إذا شئت هذه هي الحقيقة .

إيزة : الحقيقة ياميزا؟

ميزا : الحقيقة .

إيزة : أنا سعيدة . سعيدة بأن أكون كل شيء في حياتك،
سعيدة أن أمتلك كل شيء . لكن ماذا، أرني عينيك
اللتين لهما لون عيني ولا تبعدهما عني لحظة واحدة! إن
رؤية عينيك تثير في الاضطراب والرغبة، وأنا، انظر إلي
أيضا، هأنذا أمامك، وتفحص كل شيء جيدا مثل
زهريّة اشتريتها لتوك، زهريّة تجعلها تلمع في ضوء
الشمس، وتأمل الطلاء الذي يكسوها والشائبة التي
تحس بالظفر، والماركة المسجلة عليها .

ميزا : أنت مضيئة ورائعة! جميلة مثل أبوللو الشاب! مستقيمة
كعمود! واضحة كالشمس المشرقة! من أين - إلا من
خيوط شمس جيدك المستدير - اقتبست مصباح شعرك

الذهبي؟ أنت نضرة مثل وردة في الندى، مثل شجرة
السنت أو العنبر، ومثل الزهرة، فواحة بالعبير! وأنت
كطير النورج، كالفجر، وكالبحر الأخضر في الصباح،
تشبهين شجرة أكاسيا مزهرة، وطاووسا في جنة
الفردوس.

إيزة : يقينا يجدر بي أن أكون جميلة، لأقدم الهدية التي أحملها
إليك..

ميزا : هي في الحقيقة شيء لا يقدر.

إيزة : شيء مزعج ياميزا، شيء جسيم يصعب أن تجد له
مكانا، ولن يرضى رجل عاقل أن يدخله بيته.

ميزا : لست رجلاً عاقلاً.

إيزة : إنه الحب، ياميزا، ولن أدعوه شيئاً طيباً، أو مألوفاً،
ويلام الأحمق الذي لا يعرف كيف يستغله على هواه
ليستمتع به ويدبر شئون بيته. كما تستغل النار القوية
لطبخ الحساء وصهر الذهب على منفاخ الصائغ هل
تعرف ماذا تفعل ياميزا؟

ميزا : لا أعرف غيرك يا إيزة.

إيزة : أمامك إيزة في ناحية، وفي الناحية الأخرى كل شيء
لا ينقصه.

ميزا

: أنا أختارك يا إيزة!

إيزة

: يالها من كلمة أشبه بضربة على خاصرتي! إيه يايد الحب!
يا زحزحة القلب من مكانه! ويا ظلما يستعصى على
التعبير! تعال إذن وكلني كما تؤكل ثمرة مانجوا! كل
شيء، كل شيء، وأنا، أحق إذا ياميزا أنني أواجه العالم
الكريه بمفردي، وماذا يفيد الآخرون من حبنا؟ وإنني
تخلت عن الماضي والحاضر في وقت واحد، فلا أسرة،
ولا أطفال، ولا زوج ولا أصدقاء. وأن العالم بأسره من
حولنا أصبح بلا مبرر ولا معنى لو خلا من وجودنا؟

ميزا

: لا يوجد معنى سواك.

إيزة

: أفهم، يا حبيبي، وأحس أنني قد فهمت، وأنتي المعني
بين ذراعيك وأنا روحك إيزة! وفيهم يهمننا ما يقلعه بنا
الآخرون، أنت نسيج وحدك، وأنا نسيج وحدي.
وأسمع صوتك في أحشائي كصرخة لا تحتمل، وأنهمض
متجهة نحوك بصعوبة كشيء مهول وكثيف وأعمى
ومشتهي وعنيد، لكن ما نرغب فيه، ليس هو الخلق، بل
التدمير، آه! بحيث لا يبقى غيرك وغيري، ولا يبقى فيك
سواي، ولا في إلا امتلاكك، والسعار، والحنان، وأن
أدمرك ولا أبالي بأردية الجسد الكريهية، وعندها تتخلي
هذه الأسنان القاسية في قلبي عن قسوتها! آه! ليست
السعادة هي ما أحمله إليك، بل موتك ومعه موتي،
وما الضرر في أمر جلب الموت عليك، وعلى نفسي، وعلى

كل شيء، مادام الثمن هو أن نوهب أنت وأنا لبعضنا،
ونطرح، وننزع، ونمزق، ونستهلك، وأشعر بروح، في
لحظة هي الخلود كله، وهي تلمس روحي، وتأخذها كما
يقسر الجير الرمال على أن تحترق وتصفّر؟ .

ميزا : إيزة!

إيزة : هأنذا، ياميزا. لماذا تناديني؟

ميزا : لا تغتربي عني بعد الآن! إنني أقرؤه أخيرا في عينيك
وأخافه، ذلك النداء العظيم المرعب! وألح خلف
عينيك اللتين تنظران إليّ، شعلة الروح الكبيرة السوداء
التي تلتهب من كل ناحية مثل مدينة التهمتها النيران.
هل تحسين الآن في صدرك موت الحب ولهب القلب
المحترق؟ بين ذراعي روح من جنس آخر وأنا الزوج،
وأحسك تحتى تشتعلين كراهية، ويمور بأعماقي
اضطراب الخلق كالأرض، والزبد على شفيتها، عندما
أنتجت ذلك الشيء الجديب، وفي تقلص مخيف
أخرجت مادتها وجبالها المطوية كأنها تفتح مغلبيها!
وهاهو قلبي مشطور نصفين، وأنت إيزة وأرتد إليك كما
يرتد الوحش، وأنت إيزة! وكل شيء يتساوى لدي،
وتحييتني، وأنا الأقوى!

إيزة : أنا حزينة ياميزا. حزينة ومفعمة، مفعمة بالحب. حزينة
أنا وسعيدة. وأشعر أنني مهزومة، وأنت، لا تتصور
أنني سأتركك تذهب، أو أدع يديك الجميلتين تفلتان

مني! وفي النهاية لم يعد هذا هو زمن الخوف، آه! كم
أحس أنني امرأة بين ذراعيك، وكم أشعر بالخجل
وبأنني سعيدة. وعندما أنظر إلى وجهك، أحس حيناً
بما يشبه لسع الخجل واللهيب، وحيناً آخر بسيل من
الاحتقار لكل شيء، ودوى الفرح المتأجج، لأنك لي
ولأني لك، لأنني حصلت على ما كنت أريد ولا أخجل
منه أبداً!

ميزا : إيزة، لم يبق أحد في العالم.

إيزة : لا أحد سوانا. انظر إلى هذا المكان الكئيب.

ميزا : لا تكوني حزينة.

إيزة : انظر إلى هذه الحديقة الملعونة!

ميزا : لا تكوني حزينة يا امرأتي؟

إيزة : أنا! أنا امرأتك، لا امرأة رجل آخر؟ لا تسيء لهذه
العلاقة المقدسة بيننا. لا ليس هذا زواجاً يوحد كل شيء
بكل شيء آخر، وإنما هي القطيعة والقسم المميت
والاختيار الذي وقع عليك وحدك! إن الفتاة تدخل بيت
زوجها، تتبعها عربة تجرها أربعة جياد، محملة بالملابس
والأثاث للعمر كله. أما أنا فما أحمله إليك ليس شيئاً
هيناً، إنه اسمي وشرفي. واسم هذا الرجل الذي تزوجته
وفرحته، وهو الذي أقسمت أن أكون وفيه له، وأطفا لي
المساكين، وأشياء أخرى تجل عن الوصف والتعبير. أنا
المرأة المحرمة. انظر إلي يا ميزا، لأنني أنا المرأة المحرمة.

- ميزا : أعرف هذا .
- إيزة : هل يقلل هذا من جمالي ومن الرغبة في ؟
- ميزا : لا يقلل منها شيئاً !
- إيزة : أقسم ! وسأقسم أنك لي وأني لن أتركك تذهب وأني لك ، أجل ، في وجه كل شيء ، ولن أكف أبداً عن حبك ، أجل ، حتى ولو لعنت ، أجل حتى حين أكون على وشك الموت ، وينصحني الناس ألا أحبك !
- ميزا : لا تقولي هذه الكلمات المرعبة !
- إيزة : وهذه كلمات أخرى : هذا الرجل الذي يسمى زوجي والذي أمقته ، يجب ألا يبقى هنا أبداً ، ويجب أن ترسله إلى مكان آخر ، لا يهم أن يموت ، فمن الأفضل أن يموت لكي نكون لبعضنا .
- ميزا : لكن هذا لن يكون خيراً .
- إيزة : هكذا؟ وهل الخير والشر إلا ما يسمح لنا بأن نحب بعضنا أو ما يمنعنا عنه ؟
- ميزا : أعتقد أنه هو نفسه يرغب في الذهاب إلى ذلك البلد الذي حدثته عنه .
- إيزة : سيطلب منك البقاء هنا ، ولكن يجب ألا نسمح له بذلك ، وسيكون مجبراً على أن يفعل ما تريد ، كما يجب أن

ترسله إلى أي مكان آخر، حتى لا أراه أبدا! وليمت إذا
شاء! من الأفضل أن يموت! أنا لم أعد أعرف هذا
الرجل. هاهو ذا قادم.

(يدخل دوسيز)

دوسيز : صباح الخير

(يتصافح الرجلان)

إيزة : ميزا، هاهو زوجي الذي حضر إلى هنا. في بعض أعماله
التي لا تعنيك، وأنت ياسيز، هاهو السيد مفتش
الجمارك، انظر إليه جيدا، إنه يتشكك فيك ويراقبك،
ولا داعي لزيادة شكه، إنه يضايقني، ومادمت هنا،
فاعتن به. سأذهب لرؤية «ثوبي العشبي»، الشوب
الأزرق والأبيض، كما تعلم. العنوان الذي أعطيته لي
ياميزا، - آه فات - ياإلهي! - أردت أن أقول آه تونج - إلى
اللقاء ياسيز.

دوسيز : إلى اللقاء.

(يريد أن يعطيها يده، ولكنها تمد له خدها ويقبلها)

إيزة : وداعا ياميزا.

(تمد له يدها)

يجب أن تأتي لرؤيتي عندما يرحل زوجي. فأنا أرملة!

(تخرج)

- ميزا : كيف تسير الأمور ياسيز؟
- دوسيز : بصورة مرضية . بلاد عجيبة ، كل شيء يجري فيها على غير مانتصور .
- ميزا : هل صحيح أنك تعرف المدعو «فات»؟
- دوسيز : لا . لا أعرفه .
- ميزا : أهتاك على ذلك . لن تكسب شيئاً من الصينيين ، وسوف تدرك هذا ، قيل لي إنك سترحل ، إلى أين؟
- دوسيز : ربما . . غدا . لا أعرف بالضبط . سأذهب إلى مانيللا .
- ميزا : حسنا ، سوف أصحبك إلى السفينة .
- دوسيز : لا تتعب نفسك ! أرجوك ! سترحل في ساعة مبكرة .
- ميزا : هل فكرت فيما قلته لك في ذلك اليوم؟
- دوسيز : فكرت .
- ميزا : وماذا قررت؟ إذ يجب أن أعرف .
- دوسيز : حسنا ، إن زوجتي هي التي تريد هذا ، لا يمكنني أن أتركها بهذا الشكل ، وهو ليس عملاً ذكياً بالطبع ، ولكنه عادي ، وأعتقد أنني سأقبل الاقتراح الذي تلطفت بعرضه عليّ ، سأقبل تلك الوظيفة .

- ميزا : هل هذا هو رأيك النهائي؟
- دوسيز : رأيي النهائي .
- ميزا : إذا فسوف أهتم به ، أعتقد أنك أحسنت الاختيار.
- دوسيز : أرجو هذا ، وإن لم يكن هو الذي حلمت به!
- ميزا : أعرف هذا ، فأنت شاعر ، صاحب خيال ! ولكنك رب أسرة ، وعليك أن تحرص على ما هو إيجابي وأكد .
- دوسيز : هذا هو الذي أسمعه كل يوم .
- ميزا : يلزمي الآن شخص ما للعمل بالسكة الحديد . والمطلوب أن يكون شجاعا ، ذكيا ، وقادرا على المبادأة ، شخص من نوع أمالريك ، هل لديك أخبار عنه؟
- دوسيز : أعتقد أنه عاد إلى مزرعته .
- ميزا : إنه رجل !
- دوسيز : إنه متشوق وقح .
- ميزا : أنت تتمتع بصفات أخرى . فأنت مرن ورقيق . ويمكنك أن تنجح مع السكان الأصليين . لهذا فكرت فيك .
- دوسيز : وماهي هذه الوظيفة التي تعرضها علي في الجمارك؟

ميزا

: آه، لا يتعلق الأمر هنا بالإدارة ولا بأداء عمل محدد. إذ لا يحتاج الأمر إلا للحضور بانتظام. فإذا مارست بجانب ذلك قدراتك على استعمال إبرة طويلة أو الضرب بشدة بواسطة مطرقة قوية، فتخلع لوحا خشيا أوتستقطع جزءاً، ولكنها مهنة تتطلب الخبرة بنفوس البشر، أما الموظف الجالس على مكتب فهو يفحص خزائنه وهو حزين، لكن الأمر لا يتعلق بذوقك، بل بكسب خبزك، وخبز أسرتك.

دوسيز

: لست آلة! وإذا نجحت هذه المهمة فإن حياتي تكون قد نجحت.

ميزا

: إذن يجب ألا تفكر فيها.

دوسيز

: دع لي فرصة أخرى للتفكير.

ميزا

: لا ياسيز. صدقني. فالبلد سيء، فيه القراصنة، والبؤس، وحمى الغابات الحارة. لو كنت مكانك ماترددت، ولكني لست متزوجا. لقد أوصتني السيدة دوسيز ألا أتركك ترحل. ومع ذلك فلن يستمر الأمر أكثر من عام أو عامين.

دوسيز

: ليس لزوجتي شأن بهذا، وأنا أعرف ما أفعل. ميزا، اعتبرني من رجالك، سوف أرحل.

ميزا

: أعط نفسك الوقت الكافي للتفكير.

- دوسيز : لقد فكرت في كل شيء ، وأنا لا أغير رأيي بسهولة .
- ميزا : إذن فأنت وحدك الذي تريد هذا . سترحل ضد رغبتني ،
ونصيحتي .
- دوسيز : مفهوم ياميزا ، إني أبرىء ذمتك .
- ميزا : إذاً ليكن ماتريد .
- دوسيز : آه ، أنت صديق !
- ميزا : صديق مخلص !
- دوسيز : صديق طيب مخلص !
- ميزا : ولن تجد له مثيلاً .

(يخرجان)

الفصل الثالث

تدور الأحداث في ميناء بجنوب الصين ، أثناء إحدى حركات التمرد . منزل مشيد على الطراز «الاستعماري» القديم ، في زمن «الأمراء التجار» ، حجرة واسعة في الطابق الأول ، محاطة بشرفات واسعة . في الخارج أشجار التين الضخمة ، بفروعها التي تتدلى منها مجموعات من الجذور مشابهة لخصلات الشعر الأسود الطويل .

آثار حصار حديث العهد : أكياس من التراب ، نوافذ مسدودة بالمراتب ، يبدو من المنظر أن الدفاع عن النفس أصبح عديم الجدوى ، إذ ثمة العديد من الفتحات في جوانب مختلفة . نشاهد في ناحية ضفتي نهر مغطى بالمراكب ، وفي الخلف سورا مليئاً بالفتحات يحيط بمدينة صينية كبيرة بأبوابها ومعابدها .

في الناحية الأخرى ، وفي اتجاه الغروب ، توجد حقول الأرز وجبال زرقاء جميلة ، من وقت لآخر نسمع دقات الصنوج ، وتفجيرات الصواريخ ، والأسلحة النارية ، وتأتي الرياح بموسيقى مسرح بعيد ومعها صيحات الممثلين المتوحشة .

الشمس تغرب ، أشعة طويلة حمراء تنفذ من خلال سور من أوراق أشجار التين وتحترق الحجرة الخاوية ، وفي وسط الحجرة سرير كبير من النحاس محاط بناموسيته ، وبين النافذتين تسريحة ذات مرآة متحركة ، وعلى الجانب الآخر دولا ب من الزجاج . ترى أشياء نسائية : مصباح أحمر بلون النيذ ، فساتين معلقة ، وهنا وهناك أشياء خاصة بالرجال : حذاء ضخيم ، غليون ، وعلى منضدة بندقية حرب مع خراطيش نحاسية متناثرة . نسمع للحظة في الحجرة المجاورة صرخات طفل سرعان ما تهدأ .

تدخل إيزة مرتدية «روب» حمام واسع من القطن الأبيض، وشعرها منسدل في جديلة طويلة على الظهر، تقف أمام المرآة وهي تنظر إلى وجهها من الأمام، والجانب، وتتأمل الأسنان وهي تباعد بين شفتيها بإصبعها الصغير، ثم تجلس وتقوم بطلاء أظافرها وهي تفكر بعمق.

وقع خطوات. يدخل أمالريك. تستدير تجاهه نصف استدارة دون أن تنظر إليه، وتمد ذراعيها نحوه، يتعانقان طويلا، وعندما يحاول أن يتزع نفسه منها تشده بعنف، يطلق صيحة.

أمالريك : آه...!

إيزة : هل أملك يا عزيزتي؟

أمالريك : لا. لاشيء. هذه البنادق القديمة، تسبب رجة غير معقولة إلى الوراء. لقد انخلع كتفائي. واتسخت مثل خنزير. سأخذ حماما في التوالحة.

إيزة : أحبك.

أمالريك : وهاهي الشمس تغرب يا إيزة.

إيزة : الأمر عندي سواء.

أمالريك : إنها ترحل. أترين؟ لقد انتهى كل شيء، لن يعيدوها لنا أبدا.

إيزة

: كانت شمسا لطيفة . وماذا نقول عنها؟ لقد أسدت لنا خدمة طيبة، ثم إنه لا توجد شمس أخرى، من المحزن أن نودعها، وهي كالحیوان الأصفر الكبير الذي يمد رأسه فوق كتفك، وتلاطفه على خده بهدوء. الوداع يا شمسي الجميلة! ترى هل سنموت فعلا يا أمالريك؟

أمالريك

: إنني مضطر للرد بالإيجاب .

إيزة

: أليست هناك وسيلة واحدة للهروب؟

أمالريك

: ولا واحدة. نحن في مصيدة. لقد نقلونا إلى هنا. إنهم يحبونني من صميم قلوبهم، وهم ليسوا أشرارا، لكن الآن بعد أن مر الرفاق من هنا، جاء دورنا، ولا مفر.

إيزة

: لكنهم لن يحصلوا علينا أحياء؟

أمالريك

: (يغمز بعينه) لا تخافي!

إيزة

: آه! مازالت ترن في أذني الصيحات الرهيبة عندما هاجموا النادي أمس. اشتعلت النيران فجأة! وهذه السيدة التي قفزت من فوق السطوح. آه! كان شيئا رهيبا أن ترى الأجساد الصفراء وهي تتدافع مثل كعكة من الدود! حتى ليتمكن القول بأن ما يجري في عرقوهم ليس دما حقيقيا. لكن ماذا قلت؟ إنه لبن النبات، مثلما شرحت لي، كما في المطاط، لبن هذه النباتات المرعبة، التي تنمو بين الأطلال!

أمالريك

: إيه يا بيضاء بين البيض! شيء مضحك، ولكنني أحبهم! إنهم يملؤون مركبا كاملا، كما لو كانوا أعواد قمح مبعثرة. إنه ينساب إلى الداخل. لذلك لا تشعرين معهم بأي فراغ! إن اختياري كان يسير سيرا حسنا، لكن وداعا لجوز الهند وللمطاط! يالها من فكرة تلك التي جاءت بي إلى هنا.

(يتنهد)

إيزة

: لن تركهم يأخذونني حية - أنصت!
(تمسك معصمه).

(ضجة في الخارج، تهدأ رويدا رويدا، ولا يسمع سوى أصوات الصخب الصيني المستمر)

أنصت! إنهم يصيحون تا! تا! نعم تا! تا! أسمع؟

أمالريك

: لا يهم!، فهو لا يستحق أن أحك جلدي بأظفري. إنه أحد المبشرين الذين يشطرونهم نصفين، أو سيدة من البروتستانت يتلذذون بتعذيبها باتهاماتهم.

إيزة

: ألن يأتوا إلى هنا؟

أمالريك

: لا داعي للخوف، كما قلت. لقد استقبلونا في اليوم السابق أحسن استقبال. ثم إن الأمر فيه خدعة، لقد جاء خادمي القديم مساء أمس، ولا أدري هل هو ثعلب أم خنزير. وغدا، غدا سيكون الوقت قد فات! فلن يبقى أحد! فتت! رحلوا. طار البانج كوي تسية في الهواء!

إيزة : هل اتخذت احتياطاتك؟

أمالريك : يا لها من مادة جيلا تينية رائعة! أتذكرين يوم أن انفجر لغمي، كان عملا طيبا. إن الانفجار سيقطلع البيت كما لو كان بركانا صغيرا. لا لن نموت، بل ستلاشى في ضربة صاعقة! ويختلط الحابل بالنابل، والجسد بالروح، مع المتاجر والأثاث وكل الهزات ستصيبنا بالإغماء ومعنا الكلب، والقطط، وأنت وأنا، وابن السفاح.

(تنظر إليه نظرة مرعبة)

يا للسماء! يا لها من نظرة! إنني أتسلى بإخبارك بهذه الأشياء الصغيرة فيكسو وجهك شيء أشبه بوميض طلقة المدفع التي لا نسمعها لأنها بعيدة. لا تغضبي.

إيزة : أعرف أنك تحبني.

أمالريك : وأني أحب هذا الطفل أيضا؟

إيزة : أعرف هذا..

أمالريك : وكأنني أنجبته، فليس له أب غيري. لقد أخذتك وأخذته معك، أنت لي وهو لي، تلك هي نهاية القصة. وعندما عثرت عليك في الباخرة قلت لنفسي: كفى هزلا في هذه المرة! هاهي تحت أنفي مرة أخرى! «لا بد أن ننهي ذلك». لم أرك بمثل هذا الجمال. فليكن! ولم يكن أمامك إلا أن تستسلمي. نعم، نعم، فرغم نظراتك

المتنمرة، أتعرفين أنني الأقوى، وهذا قدر مكتوب. لم
أطلب رأيك أبدا. هذه المغرورة إيزة! بقبعاتها، ومقعدها
الطويل، وضحكاتها الرنانة، وسمتها الملكي. ومع ذلك
فقد أخذتها، وهامي ذي تتبعني، خاضعة، وفيه، وأنا
أتقدمها كشيطان كبير. والزوج لم يعد له وجود،
والأطفال مثل القطط الصغيرة الميتة. والعشيق الأخير
كالفاكهة التي فرغنا من أكلها، ومسحنا فمنا، فلم يبق
من طعامها سوى أثر ضئيل، والأصابع في الإناء الذي
نغسل فيه أيدينا وبه قشر الليمون.

إيزة : تعلم أن هذا غير صحيح، وأنتي لست بهذا السوء! إنني
أحب أطفالي! وأنت تعلم أنني فكرت في الحصول عليهم
وأنتك قلت لي من الممكن أن أستردهم!

أمالريك : يا للساء! وباللأشياء التي قلتها دون أن أعلم عنها
شيئا!

إيزة : وها أنا الآن معك!

أمالريك : أيتها المسكينة إيزة! من المحزن أن تكوني امرأة حزينة!

(ينهض ويقبلها على خدها)

أعدي لي الشاي.

(يتجه إلى النافذة، وبينما تشغل إيزة بتجهيز الشاي،
يتطلع من الزجاج ويده فوق عينيه)

لا شيء سوى حقول الأرز المخضرة والنهر المتلألئ،
وهاهو ذا الليل يحل .

(يستدير ويفاجأ بها تتحب بجانب الغلاية ورأسها بين
يديها)

ماذا جرى، يا حمامتي؟

إيزة : آه يا أمالريك! كم كنت قاس! يا إلهي، يا إلهي! أيتها
السماء! ماهذه القسوة!

أمالريك : لا تبكي أبدا، ياطفتي الصغيرة.

(تمسك يده وتضعها فوق جبهتها، ثم تهدأ رويدا
رويدا)

(صمت)

أمالريك : الماء يغلي . .

(تنهض، وتضع الشاي في إبريق الشاي وتصب الماء)

أمالريك : (جالسا وهو ينظر إليها)

كم كان من الممكن أن تصبحي ربة بيت طيبة!

إيزة : أليس كذلك يا عزيزي! لقد خلقت لأعيش آمنة ومصونة
مثل كل النساء. أنت ترى أنني زوجة صالحة لك.

أمالريك : هذا صحيح يا إيزة.

إيزة

: آه، حسن أن تفكر في أننا سنموت، وأن أحدا لن يستطيع الدخول علينا، وأن كل شيء مغلق علينا! وأنه لم يعد هناك من يؤذيني ويهينني. وكل هذا الذي فعلته! أنا أم واحدة أخرى؟ خدعت زوجي، وتخلّيت عن أطفالي، أطفالي المساكين. تركتهم، لا أعرف حتى أين هم، وهذا البائس الذي أحببته! وأحبني أكثر من حياته، ما إن تركني حتى خنته، واستسلمت لك مع طفله الذي أحمله في أحشائي.

أمالريك

: لابد أن ميزا قد فوجيء. هذه هي الحقيقة.

إيزة

: إنه يعرف الآن كل شيء. يالللخجل! وهذه الرسائل الأخيرة التي تلقيتها قبل أن يغلق الميناء! لست سوى امرأة مسكينة، ماذا أعرف؟ ماذا أفعل؟ الأفضل لامرأة مثلي أن تموت ولا تؤذي أحدا بعد اليوم.

أمالريك

: (بصوت خفيض) ألم تصنعي غير كوب واحد؟

إيزة

: لم يبق سوى القليل من الشاي، وهو لا يناسب صحتي، ياعزيزي المسكين. ماعدت أشعر بجوع ولا عطش. اشرب يا صديقي! واللبن أيضا. بإمكانك أن تأخذ كل ما تبقى في العلبة. فالطفل لم يعد في حاجة إليه أما أنا فجائعة ومتعطشة للموت، حتى أختفي من الوجود ولا يحقرني أحد.

أمالريك

: ولماذا يحقرونك؟

إيزة

: أنت طيب، يا أمالريك . أعلم أنني لم أقترف إثما وعندما أفكر وأتأمل ما تشرحه لي ، أجد أنني فعلت ما كان يجب أن أفعله ، وأن الأمور لم يكن من الممكن أن تتم على وجه آخر . أما بالنسبة لميزا ، فقد أسديت له خدمة عندما تركته ، وكيف كان يمكنه أن يعرف مكاني ؟ لكن ماذا تنتظر يا أمالريك من وراء التفكير؟ هذا كثير! فالإنسان تأتي عليه لحظات يحس فيها أن الأمور زادت عن الحد ، زادت عن الحد ، إن هذا يكفي ، إنه فوق طاقتي ، وأنا الآن وحيدة تماما ، مسلوبة ، مسلوبة من كل ما أحبه ! تعيسة أنا غاية التعاسة ، عوقبت فوق ما أستحق ، أتمنى الآن أن أموت ، وسأكون راضية بأن أموت .

أمالريك

: هل وصلت الأمور إلى هذا الحد من القسوة يا إيزة؟

إيزة

: لا . ليست قاسية يا قلبي ! ليست قاسية يا قلبي ! لا ، ليست قاسية معك . ولست نادمة على شيء . إنني راضية . أجل ، فالأمر سيان عندي ، وما فعلته في الماضي سأفعله في المستقبل . ليس عندي الآن أطفال ، وليس لي أصدقاء ، أشعر بأنني مرعوبة من كل شيء ، وسوف أموت ، وأنا راضية بأن لم يعد لي في الوجود أحد سواك ، وبأنني أنا وحدي معك . قلبي ، لا يا قلبي ، ليس هذا قاسيا ! ومع ذلك ، فمن المرعب أن تكون ميتا . (تضطرب ، فيمسك بيدها) أمالريك ، أصبح أنه لا يوجد إله ؟

أمالريك :

وما الداعي له؟ لو كان موجودا لأخبرتكَ .

إيزة :

إذن فهو غير موجود . وليس هناك ما أؤنب نفسي عليه . وكل ما فعلته ، سأفعله مرة أخرى . إنها غلطة ذلك الرجل الذي تزوجته . ومع ذلك تمر بك لحظات تشعر فيها كأن هناك أحدا ينظر إليك ولا يرفع عينه عنك ، ولا تستطيع الهرب منه ، ومهما حاولت ، كأن تضحك مثلا أو تعانقني ، فهو شاهد عليك . . إنه ينظر إلينا في هذه اللحظة . يا إلهي ! هل هذا الذي نفعله يليق بجلالك؟ وهل يحتاج الأمر مع امرأة إلى هذا القدر من الرصانة والجد؟ برهة أخرى ، صبرا ، فلن يكون لنا وجود هاهنا ! نعم ، يا أمالريك ، فحالما نبدأ في السير ، تدق القدم ، كأننا نسري في الليل دون أن نرى ، وإن كنا نحس بوجود جدار ، في مكان مجهول على يميننا . .

أمالريك :

تلك هي لغة ميزا . وهذه أحلام يقظة سخيفة . وإذا كان إلهك ينظر إلينا ، فهو لا يفعل ذلك بسبب ميزا . لقد أنقذتك من صاحبك ميزا ، لسنا أنت وأنا مخلوقات من أحلام ، بل من واقع . هاهي ذي الشمس تغرب . هل يستطيع إنسان أن يحيا بغير الشمس؟ إنه يكاد يكون جزءا منها .

(صمت)

إيزة :

لقد كتب لي رسائل مخيفة ! لكنه ظلمني . أما عن هذا الطفل الذي أنجبته منه وحملته في أحشائي ، فهو لي ومن

شأني، وما شأن الرجل بهذا؟ لكنني كنت أعلم أنني
أسبب له ألماً فهجرته. أجل لقد ضحيت بنفسي من
أجله. ولقد صحتني حيث لا أعلم بينما أردت أن
أعيش! ثم قابلتك على ظهر السفينة فالتصقت بك،
واعتقدت أنك الحياة، وأنت ستتقذني، وأني سأستطيع
أن أعيش معك باستقامة وشرف وإخلاص وتعقل.

أمالريك : حقا إنها حياة عجيبة، تلك التي عشتها!

إيزة : وهي طيبة أيضا. إنني راضية بها. وبضربة واحدة
سأموت كل الحياة التي أعطيتها لك، سأموتها معك! أما
هو، فلماذا طلب مني أن أرحل، بمجرد أن اكتشف أنني
أصبحت ملكا له؟ هل تحمل بقائي معه لحظة واحدة؟
اعلم أنني كنت عبئا عليه. ولقد كان من الضروري أن
أرحل، وقد سألته إن كان سعيدا، فنظر إلي نظرة الواعظ
المتشكك.

أمالريك : وهل أحبك حقاً؟

إيزة : كما لن تحبني أنت أبدا. وقد أحبته مثلما لم أحبك،
فالواجب هو الذي يربطني بك، لأنني امرأة وفيّة،
وأعرف ماذا فعلت. أما حالي معه فكان هو اليأس
والرغبة، والأنفاس التي تعلو فجأة، ونوع من الحقد،
والجسد الذي يتقلص، وقوة في صميم أحشائي كأنها قوة
طفل يتزع منها. لقد هزمتني، لكنك لا تعرف المرأة
التي لم تهزم أبدا. وهذه الصحراء التي فينا، والعطش،

وشقاء الحب، وكون الآخر حيا، واللحظة التي نحدّق فيها في عيون بعضنا، ومعنى أن تقتحمك روح أخرى. عام كامل. استمر هذا لمدة عام، وشعرت أنه كان أسيرا، لكنني لم أملكه إذ كان ثمة شيء غريب بداخله، شيء مستحيل. بأي حق يلومني إذا؟ على أنه لم يهب نفسه، وأنتني ابتعدت؟ لقد أردت أن أعيش أيضا، وأن أرى هذه الشمس من جديد، أردت أن أحيا وأجدّد الحياة مرة بعد مرة، الحياة التي ينعم بها كل حي، وأردت أن أتحرر من حب هو الموت! وقد حدث هذا وأنا على استعداد لكل شيء.

أمالريك : أحبك يا إيزة.

إيزة : نعم.

(يقبلها على رأسها المحنية)

أمالريك : سأخرج الآن للقيام بجولتي وإعداد كل شيء. ثم إن الليل مازال متسعا أمامنا.

(يخرج).

تقوم إيزة ببطء بعمل زيتها المسائية. تنزع الدبابيس الفضية ببطء والأمشاط المطلية فتنتلق كتلة الشعر وتنسدل على كتفها وعلى ظهر المقعد. ضوضاء في الخارج، لا على الدرج.

تسترق إيزة السمع وترتعش بعنف . تتوقف الخطوات
خلف الباب . تظل إيزة متصلبة . يفتح الباب . لا
تدير رأسها البتة . نرى شبح رجل ينعكس على المرأة من
خلال النسيج الدقيق للناموسية . تظل ساكنة لحظة .

يدخل ميزا . يمشي عدة خطوات ثم يقف على مسافة
من المقعد الذي تجلس عليه . لا تأتي إيزة بأي حركة .

ميزا : (بصوت خفيض) إنه أنا يا إيزة . أنا ميزا .

(صمت)

إنه أنا .

(صمت طويل)

... كل رسائل منذ عام .

ألم تتلقي كل رسائل منذ عام؟ لماذا لم ترد عليّ؟
لا شيء! لا كلمة واحدة، ولا سطر واحد صغير!
أخبريني ماذا فعلت يا عزيزتي؟ لماذا تركتني أعاني
ما عانيت؟ ماذا فعلت لك يا حبيبي؟ لكن هذه أنت
أخيرا، وهذا يكفيني! هذه أنت . أنا لا أطلب شيئا، ولا
ألومك على شيء . ها أنت يا روعي، وها أنا أراك،
يا محبوبتي! أنت، وهذا يكفيني . أحبك يا إيزة! صحيح
أن الرغبة في رحيلك كانت رغبتني! كنت مخطئا، وقد
حدست بذلك، وتأكدت أنني لن أستطيع أن أستغنى
عنك، وأنت قلبي، وروحي، وخطيئة روعي، وجسد

جسدي، ولا أستطيع أن أحيأ بغير إيزة، لا أصدق أبدا
ما قيل لي، وبالتلك الفظائع التي أخبروني بها!

آه! كم عانيت يا إيزة! إلى هذا الحد؟ ولا كلمة واحدة
منك، أيتها القاسية! لست أصدق أبدا ما أخبروني به.
وها أنا أعثر عليك، وأعرف أنك ستشرح لي كل
شيء. اغفري لي هذه الرسائل الأخيرة المخيفة، لقد
كنت مجنونا! لا لا أصدق أنك تخلت عن حبك لي! لا
يا إيزة، لا أصدق هذا! لا، لا، يا قلبي، لا يا قلبي!
تكلمي يا حبي، استديري نحوي، وقولي كلمة واحدة
أسمعها وأموت من الفرح، لأنني فقدتك، وها أنذا
أجدك من جديد!

(صمت)

ماذا فعلت؟ لماذا تعامليني هكذا؟ مازلت مصرة على
الصمت، كأني غير موجود. ولو كنت في منزل الموتى
لتعرفت على وحيدي إيزة! إيزة! . ألا تسمعين رنين
صوتي؟ ماذا فعلت لك يا إيزة؟ ماذا فعلت، وماذا
فعلت، يا صاحبة القلب الحديدي؟ تكلمي، ما الذي
تأخذينه علي؟ هل أستحق هذا منك؟ ماذا كان عندي
ولم أعطه لك؟ أخبريني ما الذي ضنت به عليك؟ كان
جسدي لك، وروحي كانت لك، كانت لك مثلما
كانت لي، وقد أخذتها لتصنعي بها ماتشائين، وكأنها
كانت ملكي ثم أخذتها، وكأنك كنت تعرفين كل شيء
عنها. وإذا كنت قد أجبرتكم على الرحيل، فأنت تعرفين
أنه كان أمرا ضروريا. وقد طلبت ذلك بنفسك، إذا كان
سيز غائبا، وكان علينا أن نعد كل شيء، وأن ألحق بك

بعد بضعة شهور. آه! هذه الشهور التي لم أكن أعرف فيها مكانك، مامن كلمة، كلمة واحدة منك، أيتها القاسية! لكنني الآن أخبرك أن سيز قد مات وأستطيع أن أتخذك زوجة لي. ونستطيع أن نحب بعضنا حبا بلا أسرار ولا تأنيب ضمير. ماذا؟! ألا تسمعيني؟ أهذا صحيح يا إيزة؟ هل تخلت عن حبي يا إيزة، لقد تلقيت رسالة مرعبة! لا يا إيزة، أنا لا أصدق ماجاء فيها لا. لا يا قلبي، لا أصدق هنا. لا، لا ياروحي، لا أصدق. قولي لا، لا أليس كذلك؟ ومع ذلك فلا قيمة له، لقد نسيت كل شيء، ولا أريد أن أعرف شيئا. فأنت هنا، أنت محبوبتي، تعالى فحسب، وسأعرف كيف أسترذك، ومن الذي يستطيع أن يتزعك من قلبي؟

انهضي وسوف أنقذك، سأنقذ إيزة من الموت، ولهذا كما ترين جئت إليك.

(صمت)

ألا تصدقيني؟ أنا صيني قديم، وأعرف الأشياء السرية. ومعني شارة يحترمها الجميع. تعالى ومعك طفلك، أسمعيني؟ هل الحياة شيء هين؟ تعالى. فأنا أحمل لك الحياة.

(صمت)

تعالى وسوف أنقذك. وإذا كنت لا تريدني فدعيني، على الأقل، أصبحك إلى أولادك.

(صمت)

إذا فهذا صحيح، إذا، إذا فهو صحيح! إذا فهو هذا
الرجل، تحينه ولا تحبيني، بل تكرهيني! تحينه وتنامين
معه. والموت، الموت معه تفضليه على الحياة معي.

مع أنك كنت تحبيني! وقبل خمسة عشر يوما من رحيلك
بالبأخرة، أردت أن أقبل خدك، وكنت أنت التي
ضممتني بقوة ودموعك تنهمر وأخذت فمي في فمك.
خمسة عشر يوما، خمسة عشر يوما فقط!

(صمت)

أيتها الكلبة! أخبريني كيف فكرت في المرة الأولى عندما
أسلمت نفسك عن عمد لهذا الكلب المتشرد، وفي
أحشائك ثمرة من شخص آخر، وصحوة طفلي الأولى
للحياة تختلط برجفة الأم، وتلدغها لذة الزنا المضاعفة؟
روحي التي أعطيتها لك، حياتي التي قدمتها إليك،
لوثتها بالعهر والدعارة مع شخص آخر، وإذا كنت
تفكرين فيه خلال تلك الأيام الثقيلة. التي كان ينضج
فيها طفلي، طفلي الذي سلمته لذلك الرجل الذي طالما
رقدت بين ذراعيه، وأنت مملوءة تماما بأعضاء طفلي؟

أرجوك! إنني أشعر بشيء صغير يرتعش! فلا تجعليني
أرتكب جريمة كبرى! أنت لا تدركين كم نقرب في هذه
اللحظة من اللعنة، ولا كيف يمكن أن يوقعنا فيها
تصرف بسيط.

(صمت طويل . يقرب المصباح منها ويدقق النظر فيها)

هي نفسها . تكلمي يا إيزة ، لقد توارت شمس الظهيرة
المكتملة . هل تذكرين المحيط الذي كان ملكنا؟ لكن
مصباح القبر يلون خدك وأذنك وصدغك ، وينعكس
في عينيك ، عينيك المحدثتين في المرأة .

(يمسك شعرها بين يديه) .

آه! وهو نفس الشعر وأعرف رائحته . عندما كنت
أغوص فيك حتى أنفي كما أغوص في ثقب عميق . هو
نفس الشعر ، وان تخللت ذهبه الآن عروق فضية
سميكة .

(ينفخ المصباح)

انطفأ المصباح الصغير . وانطفأت في نفس الوقت شمس
حبنا الأخيرة ، شمس الظهيرة الهائلة في أغسطس التي
تبادلنا فيها الوداع في الضوء الوحشي الناطح ، وراح كل
منا يلوح للآخر في يأس عبر المدى البعيد البعيد ، الوداع
يا إيزة! أنت لم تعرفيني أبدا! وهذا الكنز الكبير الذي
أحمله في نفسي ، لم تستطعي أن تقتلعيه من جذوره
وتأخذه ، ولا أنا عرفت كيف أعطيه . لم يكن هو
خطئي ، لا بل كان خطأنا المشترك وعقابنا ، كان علي أن
أعطي كل شيء ، وهذا هو ذنبي الذي لم تغفريه . .

مع ذلك لم أحبك لكي أتسلى بالضحك عليك! فليتك

عرفت يا إيزة كيف حملتك في قلبي وحرصت عليك،
قلبي الذي شعرت فيه يا حبيبتى بالأمان . آه يا حياتي ! لو
كنت هناك لدافعت عنك وما استطاع أحد أن ينتزعك
من قلبي ! لابد أيضا من تحمل هذا العذاب ! إنها
لا تجيب أبدا ! إنها هنا ، يا إلهي ، إنها أمامي ! هي هنا ،
وليست هنا . هي نفسها ، وليست هي على الإطلاق .
كم من ليلة رأيتك فيها تتقدمين نحوي بهذه الخطوة
الواثقة الخفيفة ، وبابتسامة مفعمة بالأسرار تقولين :
«يا لها من معجزة كبيرة ، ياميزا ، أبشرك بأن طفلنا قد
ولد» وبكيت ، وضحكت ، وقلت لنفسي : هي أنت !
«لماذا لم تكتبي لي ، أيتها القاسية !» لكنك كنت كمن
يعرف ويلوذ بالصمت ! لم تجيبي إلا بابتسامة ، ورحت
أنظر إليك وأنت يا حبيبتى تضحكين ! وهاهو الرعب
الآن !

(صمت)

لكن ليس هذا من حقك ! ليس هذا من حقك ! فأنت
لست وحدك ! وليس صحيحا أنك نسيته ! ليس
صحيحا أنك تخلت عن حبي . آه يا حبيبتى الغالية ،
ليس صحيحا أنك تكرهيني ! وما من وسيلة يا إيزة ! هل
يمكنني أن أسترده ما أعطيتك ؟ ألا تحمليني أينما كنت !
وهل من حقك ألا تكوني لي ؟ أي شيء فيك لم تمنحيني
إياه ، ولم أحصل عليه ، وآكله وأتنفسه ؟ ولم يطعمني
النار واليأس والدموع ؟ أجيبني ! انظري كم أعاني !
وأديرى وجهك نحوي ، يا جمالي ، وقولي إن هذا ليس
صحيحا !

(صمت)

ماذا فعلت يا إيزة بطفلنا؟

(صمت)

هل مات؟

(صمت)

إيزة! أنت لم تتركه يموت . أعطني طفلي لأنقذه .

(صمت)

هل مات؟ هل قتلته؟

(صمت)

إذا كنا هنا فسأعرف كيف أعثر عليه .

(يتحرك ناحية الباب . صوت خطوات أمالريك في

الخارج . يدخل)

أمالريك : من هنا؟

ميزا : إنه هنا .

(يتقدم أمالريك ، يشعل عود ثقاب وينظر الرجلان كل

منهما إلى الآخر وجها لوجه بينما يحترق عود الثقاب ، ثم

ينطفئ)

- أمالريك : ميزا، لست سعيدا بالمرّة لرؤيتك ثانية .
- ميزا : لقد جئت لأخذ هذه المرأة التي هي لي ، وهذا الطفل الذي هو طفلي .
- أمالريك : لن أعيد لك لا هذا ولا تلك .
- ميزا : سأخذهما رغم أنفك .
- أمالريك : (بابتسامة جافة) ورغما عنها؟ مارأيك ياإيزة؟ ماقولك ياإيزة؟

(ميزا يرتجف)

قولي ، ماذا تختارين؟ إما الذهاب مع هذا والحياة معه أنت والطفل ، وفي هذه الحالة مدي يدك .

(صمت)

وإما الموت معي؟

(صمت ، بينما تحتفظ إيزة بجمودها)

ميزا : (صارخا) هذا كثيرا!

(يجذب سلاحا من جيبه . يقفز أمالريك عليه وينتزعه منه . صراع رهيب في الظلام . يسقط ميزا محطما فوق الأرض . أما إيزة التي ترى كل شيء في المرأة فلم تتحرك).

إيزة : (بصوت غريب دون أن تغير وضعها) قاتل!

(يشعل أمالريك المصباح وينحني على جسد ميزا ويفحصه)

أمالريك : هذا هو الذي توقعته . لقد فصلت كتفه الأيمن ، أما هو فاعتقد أنه قد كسر ساقه . هذا الأرعن .

(ينهض على قدميه . إيزة تبتسم في المرأة . يتجه إليها ويقبلها على خدها) .

إيزة : أمالريك ، هذا مخيف . لا تتركه هكذا على الأرض .

(يرفع أمالريك الجسد ويضعه على الأريكة) .

أمالريك : كيف أتى إلى هنا؟

إيزة : قال إنه يحمل معه تصريح مرور .

(أمالريك يفتشه ويسحب من ملبسه لوحة صغيرة مغطاة بوجوه وأشكال غريبة يعرضها على إيزة) .

أمالريك : لقد نجونا ، يا إيزة .

إيزة : نجونا .

أمالريك : كم تقولينها بلا فرح؟

(ينظر إليها . صمت)

إيزة : زوجي أيضا قد مات . نستطيع أن نتزوج يا أمالريك .

أمالريك : لن نقدر على شيء أفضل من هذا . هذه ليلة رائعة . يالنا من زوجين نموذجيين!

إيزة : (تشير إلى الجسد في المرأة) ألا توجد طريقة لحمله معنا!

- أمالريك : (بقسوة) مستحيل .
- إيزة : لا يمكن أن نتركه للصينيين .
- أمالريك : سيقفز على مكاننا ، لقد دارت الآلة الصغيرة ، وليس أمامنا إلا أن ندعها تسير .
- (صمت)
- إيزة : (بنفس الصوت الغريب) إذن فتش الجيوب مرة أخرى ، فلا فائدة في أن نترك شيئاً للموتى .
- أمالريك : إيزة ، هذا شيء مقزز .
- إيزة : لماذا؟ هيا افعل؟
- (يفتش الجيوب ويسحب مطروفا مغلقا بالشمع) .
- أمالريك : (وهو يقرأ) هذه هي وصيتي .
- (يضحك ويضع الورقة في جيبه) .
- إيزة : لنرحل .
- أمالريك : جهزي نفسك . لقد رأيت الباخرة عند وصولها . سأعطي إشارة لخادمي . وسيكون كل شيء على مايرام . خذي الطفل .
- (تذهب إيزة إلى الحجرة المجاورة دون أن تنظر إلى ميزا ، يمضي وقت طويل ، تأتي إيزة بمفردها) .

أمالريك : حسنا، لماذا لم تحضري الطفل؟

إيزة : لقد مات.

(صمت)

أمالريك : لنرحل

(ينفخ في المصباح . يخرجان في ضوء القمر دون أن ينظرا إلى ميزا . نسمع ضحكة هستيرية على الدرج . ظلام كامل . نرى من خلال الفتحات كل نجوم السماء تلمع ، ويغمر القمر أنحاء الغرفة بأشعته . يستيقظ ميزا ويظل طويلا في حالة صمت وتأمل).

ترتيلة ميزا

هاأنذا داخل غرفة موتى!

ومن كل الجهات، يمينا ويسارا، أرى غابة من الشموع تحيط بي! ليست هذه شموعا مضاءة، بل نجوم متألئة، كأنها عذارى هائلة ساطعة النور. أمام وجه الله، على نحو ما نرى مريم في الصور المقدسة تنحني في خشوع!

وأنا الإنسان العاقل راقد على الأرض، متأهب للموت، كأني على تابوت مهيب، في أقصى أعماق العالم وفي قلب فقاعة الكواكب وخشود المتعبدين، أشاهد المجمع المقدس ليل برعاته الروحانيين وبطارقته، فوقى القطب وعلى جانبي الخواف، وخط استواء الحيوانات المتجمهرة في الفضاء الشاسع.

هذا الذي نسميه الطريق اللبني الشبيه بحزام منيع!
سلام يا أخواتي، مامن واحدة منكن أيتها الباهرات
الضوء، يمكنها أن تحمل الروح، لكن الأرض وحدها،
في مركز كل شيء، قد خلقت إنسانها، أنتن مثل مليون
حمل أبيض تدرن رؤوسكن نحوها، وهي التي تبدو
كالراعي أو كمسيح الأكوان!

سلام أيتها الكواكب! هاأنذا وحدي! مامن كاهن تحوطه
جماعته التقية سيحمل لي البركة الأخيرة.

بيد أنى أرى أبواب السماء تتحطم، ويتقدم منها جيش
جميع القديسين، حاملين الشمعدانات في أيديهم،
يتقدمون للقاءني، وهم يحيطون بالحمل المخيف!

لم هذا؟ لم هذه المرأة؟ لم صعدت فجأة على الباخرة؟ ماذا
جاءت تفعل معنا؟ هل كنا في حاجة إليها؟ أنت
وحدك! أنت وحدك كنت بداخلي مع ابتداء الحياة،
كنت بداخلي الانتصار، والزيارة المقدسة(*) والعدد
والدهشة والقدرة والمعجزة والصوت!

وهذه الأخرى، هل كنا نؤمن بها؟ وبأن السعادة بين
ذراعيها ويوم تصورت أن أكون لك وأن أعطيك نفسي،
كان عطائي يائسا فقيرا، لكنني فعلت ما في وسعي،
وهبتك نفسي، فلم تقبلني، والأخرى هي التي أخذتنا.
وأرجع إليك لحظة قصيرة فيصيني الفرع، ويتسرب

* إشارة لزيارة مريم العذراء للقديسة اليبابات

الخوف في عظام عظامي! وتأخذ في سؤالي، وأسألك أنا
أيضا! أو لست بإنسان؟ فلماذا تقوم معي بدور الرب؟

لا، لا يا إلهي! أنا لا أسألك شيئا! أنت حاضر وهذا
يكفي وحين تسكت ياربى، تسمعك مخلوقاتك. ومن
ذاق صمتك، لا يحتاج إلى شرح وتفسير. لأنى أحبتك
كما يحب المرء الذهب جميل المنظر أو كما يحب ثمرة
الفاكهة، فيرغمه الحب على إلقاء نفسه عليها!

إن المجد يرفض السموات، والحب يرفض القرايين المبللة
بالدموع. ربي إننى أنز غرورا وكبرياء. لاشك أننى لم
أحبك كما ينبغي، وإنما أحبتك لأستزيد من علمي
وأضعف من لذتي، ووجدت نفسي أقف أمامك كما
يقف إنسان يكتشف أنه وحيد. وهكذا تعرفت مرة أخرى
على عدمي، واستعدت طعم المادة التي خلقت منها.

تماديت في الخطيئة، فنجّني الآن ياربى، لأن هذا
يكفيني! ها أنت ياذا الجلال، وهأنذا من جديد.

أنت ربي وأعرف أنك تعلم كل شيء. أقبل يدك
الأبوية، وأضع نفسي بين يديك مثل شيء مسكين يدمى
ويسحق مثل إناء تحت الرحي. ولأننى كنت أنايا فأنت
تعاقبني. بالحب المرعب لأحد سواك.

آه! أعرف الآن ماهو الحب، وأعرف ماقد تحملته على
صليبك وفي قلبك إذا كنت قد أحبت كل واحد فينا
ذلك الحب المخيف كما أحبت تلك المرأة، وقاسيت منه
الحشرة والاختناق والضيق! لكننى أحبتها، ياربى،

وهي التي فعلت بي ذلك ! أحببتها ، ولا أخاف أن أقولها
لك ، فلاشيء يسمو على الحب .

وقد رأيت ياربي كيف تملكنتني ، وكم شدني الظماً إليها
واصطككك الأسنان ، والجفاف ، والرعب ، والاعتصار !
هي التي فعلت بي هذا ! آه ! وأنت بهذا أدرى ، أنت
ياربي تعلم بنفسك ماهو الحب الذي تطعنه الخيانة ! إن
جريمتي كبيرة ، وحيي أكبر منها ، والموت وحده يأبى ،
الموت الذي قسمته لي ، هو جزاء الاثنين ! فلنمت إذن
ونخرج من هذا الجسد البائس ! لنخرج ياروحي وندمر
بضربة واحدة هذا الهيكل الكريه ! الذي يبدو وهو في
ملابسه هذه منهكا وكأنه قطعة لحم معلقة ، أو ثمرة ملقاة
على الأرض بعد قضمها .

أهذا هو أنا ؟ إن هذا المحطم من كيد المرأة ، فلتحتفظ به
لنفسها ، أما أنا فساذهب في اتجاه آخر . من قبل دمرت
لي العالم فلم يتبق لي شيء لم تتمثل فيه ، وهي الآن تدمرني
أنا نفسي . إنها تختصر لي الطريق .

لتكن شاهدا على أنني لست راضيا على نفسي ! فأنت
تعلم أن هذا الرضا شيء فوق طاقتي وأني لا أستطيع أن
أستغني عن الحب ، في هذه اللحظة لا في الغد ، الحب
الدائم للأبد .

إذ لا غنى لي عن الحياة نفسها ، والمنبع ذاته ، والاختلاف
بعينه ، فليس في وسعي بعد اليوم أن أكون أصماً وميتاً !
إنك تعلم حق العلم أنني لا أصلح هنا لشيء . وأني

أضايق كل الناس ، وأني أصبحت فضيحة في نظر
الجميع وعلامة استفهام ولهذا خذني يأبتاه ، وخبثتي في
أحضانك !

(ضوضاء خفيفة ناعمة في الخارج ، يفتح الباب في
هدوء ، تدخل إيزة في ثياب بيضاء وكأنها في حالة تنويم
مغناطيسي . تتحرك في أرجاء الغرفة ، لا كما تتحرك
الآلة ، بل كالسحاب . تمر أمام المرأة ، نراها من خلال
الناموسية وتدخل الحجرة التي يوجد فيها الطفل الميت ،
تاركة الباب نصف مفتوح ، ونسمعها تبكي بحرقة) .

ميرزا : (مناديا بصوت خفيض) إيزة ، إيزة !

(تعود للظهور وتتجول بدون أي ضوضاء في أركان
الغرفة ، تفتح كل الأدراج ، وتدخل يدها فيها ، في
الكومدينو ، والتسريحة . تفتح الدواليب والصيدلية ،
والدولاب الزجاجي تمر أصابعها فوق الرفوف الفارغة ،
تشب على قدميها كأنها تريد أن ترى شيئاً . ثم تخرج ،
ونراها في الدور التحتي في غرفة المكتب ، وغرفة الطعام ،
وفي كل مكان ، مثل شخص يفتش ويبحث ، أو مثل
ربة بيت مهجور . يسود الصمت . وفجأة نسمع صرخة
منغمة وحادة لامرأة مرعوبة) .

ميرزا : (ينادي بقوة) إيزة ، إيزة ، تعالي ! تعالي ! .

(صمت)

(ثم نراها فجأة، شاحبة تماماً بشعرها الطويل المتناثر في الشرفة التي يغمرها ضوء القمر).

ميزا : (مفكراً) هكذا كما رأيت قديماً، على سطح الباخرة!

(تجئ وتجلس القرفصاء، تضع ذراعها العاري على ركبتيه. يضع يده ببطء فوق رأسها).

إيزة : ميزا، أنا إيزة. إنها أنا.

ميزا : أنت نفسها؟

كم رأيتك في الحلم! أهو حلم آخر. وهل ستتتهين مثله من جديد؟

إيزة : ليس حلماً يا ميزا، لقد انتهت الأحلام. لم يبق إلا الحقيقة.

ميزا : إيزة، إيزة يا ذات الشعر الطويل، هل هذا صحيح؟

إيزة : كل شيء صار حقيقة.

ميزا : تكلمي، هل تسمعينني الآن؟ هل تشعرين بأنفاسي الحية في صميم أحشائك؟ هل تدعنين لكلمتي إذعان المخلوق لمبدعه؟ آه، كوني حياي يا إيزة. كوني روحي، وحياتي، وقلبي، وكوني بين ذراعي انتفاضة الوليد ساعة يولد! آه يا إيزة، هذه قسوة فظيعة، يجب ألا تبعديني عنك، لأنني أنا الموجود في قلبك.

إيزة : دع يدك على رأسي ، وعندئذ أرى كل شيء ، وأفهم كل شيء . أنت لا تدرك من أنا ، لكنتي أرى الآن بوضوح من تكون ، وما تعتقد أن تكون . مفعم أنت بالمجد والنور ، مخلوق الرب ! وأرى أنك تحبني وأنت قد فهمتني ، وأنا معك في سكينة لا توصف .

ميزا : هل انتهى كل شيء ، يا إيزة ؟

إيزة : انتهى كل شيء .

ميزا : ألا يوجد شيء نخاف منه ؟

إيزة : لا شيء .

ميزا : ولا شيء ، لا شيء ننتظره ؟

إيزة : لا شيء سوى الحب الأبدي ، لا شيء سوى الخلود معك !

ميزا : إذن فلن أستطيع الاستغناء عن إيزة هذه ؟ ولن أستطيع الفكاك من يدي المرأة هاتين على خاصرتي ؟

إيزة : لن تستطيع هذا . وحيثما تكون ، أكون معك .

ميزا : لماذا تركتني إذن ؟

(صمت)

لماذا تلوزين بالصمت كما في الأحلام ؟ أخمن أنك تبسمين بمرارة ، وتخفين وجهك عني . هذا شيء لا يحدث في الحلم !

- إيزة : أنا التي أنام في هذه المرة .
- ميزا : آه ، لا تستيقظي أبدا!
- إيزة : هاأنذا متجردة كالزيت النقي .
- ميزا : لماذا تصرين على عدم الرد عليّ؟
- إيزة : أنا قبيحة إلى هذا الحد؟ لماذا نبذتني في يأس؟
- ميزا : لأنني أحببتك فوق طاقتي يا حياتي؟
- إيزة : لن يقدر أحد أن يبعدني عنك .
- ميزا : وهذه هي الفرحة الكبرى التي تبشريني بها؟
- إيزة : واسني لأن قلبي حزين .
- ميزا : أي حزن يحق لك ، أيتها المتمردة ، وأي فرح ، ليس هو حزني وفرحي؟
- إيزة : لست أنا الفرحة ، بل الألم والحزن . هاهي الفريسة المثلث تحت رجلك ، أيها المحطم الكسير! أليست شديدة الثقل عليك؟ آه يانوري الباهر ، ويارجلي المهاب! إنك تراني تحت رجلك مشتاقة عمياء!
- ميزا : أخيرا هزمتك! هاهي الفريسة كلها تستند على قلبي؟ وما من عضو فيها إلا ويستسلم للعضو الأقوى ، ولإرادة العصفور الصاعد والنسر العمودي! أشعر بالثقل الذي

يرضخ للجناح ، فأحمل هذا الجسد الثقيل ، هذا الجسد
الذي هو أمي وأختي وزوجي وأصلي ! هاهو باختصار،
انتصار الرجل على المرأة وغلبة الأنانية والغيرة . هل قلت
الفرحة؟ لكن هاهي الفرحة التي تسمو على الفرحة ،
كالنار التي تتحول إلى شعلة ، والرغبة التي تتحول إلى
العدالة ، والحب الذي يتحول إلى الرضى والقبول .
وزواجنا الذي يكتمل في داخلنا ، يفعل فينا فعل النجم
ويشبه الكائن الذي يعيش بقلب مزدوج .

إيزة : دعني أقل لك أيضا ، ماأريد أن أقوله ، ضع يدك على
جبهتي كي أتذكر . آه كم أحس أنني ألتخط في ليل طويل
وفي ألم وعذاب ! لكتني ممددة بكل ثقلي في حنايا
جسدك ، ولن يمكنك الفرار مني . دعني أحكي كل
شيء . دعني أحدثك بمرارة .

ميزا : ها أنت تحت يدي ، أيتها الرأس الذهبية !

إيزة : ميزا ، أخبرك أن طفلنا قد مات .

(تنتحب بصوت مكتوم)

ميزا : هذا أفضل .

إيزة : أنت لم تره أبدا ، ياميزا .

ميزا : سوف أراه حالا وسيتعرف علي .

إيزة

: يا للمرارة التي لا حد لها! آه يا ابن عاري! يا طفلي الأعز الحبيب، يا ابن أحشائي، اغفر لأمك البائسة! هل تتذكر ياميزا، كيف عثرت على ملابس الطفل البسيطة هذه، قبل أن أعرف أنني حامل: الجوارب، وغطاء الرأس، وقميص النوم الصغير المشغول بالتريكو، وكيف ضحككت، وبكيت، ووضعتها أمام وجهي، ورحت تسخر مني، وتقول إنني كالبقرة الطيبة التي تقدم لها جلد عجل تلعبه بتلذذ لكي يسهل علينا جرّها وراءنا. آه ياميزا، طفل، إنك لا تعرف معنى الطفل. فلا تشعر المرأة بأنها امرأة إلا مع طفلها.

ميزا

: اسكتي يا إيزة!

إيزة

: آه ياميزا، امنعني من أن أصحو من نومي، فلا أريد هذا! امنعني أن أرجع إيزة القديمة المغرورة، مدام سيز الحسنة...

ميزا

: لم تعد هي إيزة القديمة، إنها حبيبتي إيزة التي ستظل معي إلى الأبد.

إيزة

: وإيزة القديمة، ألم تحبها قط؟

ميزا

: تعرفين الحقيقة أنت أيها اللحم الذي أحسه تحت يدي!

(صمت)

إيزة

: لقد تركته. في اللحظة التي تحركت فيها السفينة

الشراعية . كان يظن أنني نائمة في حجرتي .

ميزا : آه كم ختني !

إيزة : اسكت ياميزا !

ميزا : لماذا تمسكين يدي بهذا التشنج ؟

إيزة : آه !

ميزا : ماذا جرى ؟ تعب في القلب ؟ !

إيزة : لا تتركني أبداً ، ياميزا ! آه ياإلهي أيمكن أن أكون قد
نجوت ؟ إنني أراه ! أرى كل شيء ! لقد ارتكبت أشياء
خيفة !

ميزا : ماذا ترين ؟

إيزة : كوخ بائس من القش ، رجل ميت ذو وجه مخيف ،
تعلوه خصلة هائلة من الشعر الأسود الكثيف ، قضت
عليه الكوليرا ، مدثر بغطاء مقزز ، ولا يبدو عليه
الشحوب الذي كنت أكرهه ! وبغير انقطاع تتساقط من
السقف قطرة ماء فوق حدقة العين المفتوحة ، وفي الخارج
أمطار لم أر مثيلاً لها من قبل ، طوفان ، غابة مظلمة
إظلام ورقة اللوف السام (*) ، وكل خيط من خيوط المطر
أشد غلظة من ماسورة الغليون .

ميزا : ماذا ترين أيضاً ؟

* أو الأروم (Arum) وهو نبات درناته سامة .

إيزة : يا للآلم ، ويا للحرز الممض !

ميزا : ماذا ترين ؟

إيزة : آه يا طفلي ! أي أم كتتها لكما ! انظر وأنا أرفع عيني ، مثلما كانا ينظران عندما كنت أقرأ لهما بصوت عال ، وأرى الأم الغالية بعيونهما الواثقة الهادئة ! وأحس أنني خدعتهما وتركتهما وقتلتها ! وأحيانا عندما أستيقظ من نومي في الليل ، كنت أسمع أنفاسهما متفاوتة الإيقاع ، وأسمع قليهما ينبضان ، وأشعر أنهما طفلاي الحبيبان ! تعلم أن جمالهما لم يكن يفوقه جمال ، وأنهما لم يسببا لي ألما بالمرة ، كان الناس ينظرون إلينا عندما نخرج إلى الطريق ، أنا الأم الشابة المنتصرة بين أطفالي ، وهما يسيران إلى جانبي ، وكل منهما يشد قامته وقبضته كالجندي الصغير . أنا لا أفهم شيئا ، لست سوى امرأة تعسة الحظ . كيف حدث كل هذا ؟

ميزا : إنه الحب الذي فعل كل شيء . وأي غرابة في هذا ؟ هل كف عن أن يكون الشيء الوحيد الطيب الصادق العادل الذي له معنى في حياتنا ؟ هل فقدت الكلمات معانيها ؟ ألم نعد نصف بالخير ما يعيننا على الحب ، وبالشر ما يضاده ويعارضه ؟ تكلمي ، إننا نسميه « انتصار الطبيعة والحياة » والموت نفسه لا يقدر على فصم الروابط التي يعقدها . أي شيء لا يهون في سبيل هذا الاتحاد الذي يبلغ الغاية في العدل والنقاء والصفاء ؟ نحن يقينا

لم نرحم غيرنا، لكن هل رحمنا أنفسنا؟ هاأنذا بأوصالي
المحطمة، أشبه بمجرم على عجلة التعذيب. وأنت
بروحك الناقمة المستاءة خارجة من جسدك أشبه
بالسيف المستل إلى نصفه!

إيزة : لا تسخر بكل هذه الفظاعة! .

ميزا : وهو السنن الهادي النزيه .

ميزا : الأفضل وحده هو الأفضل ، ياإيزة، وهو السنن الهادي
النزيه، لكن الشر نفسه ينطوي على الخير الذي لا ينبغي
أن نضيعه من بين أيدينا . نحن لا نملك أن نرد الموتى
للحياة، لكن حياتنا لاتزال ملكنا . ولهذا نستطيع أن
نوجه وجوهنا بشرف وأمانة للمتقم الأعظم قائلين :
«هنا نحن أولاء، أتراهن سبحانهك على مانملك؟» . هذا
شيء نستطيعه . ومادمت الآن حرة، ومادامت باقية
فيها، نحن الذين نقرب من الدمار، تلك القوة الصامدة
لكل الأسرار المقدسة، متوحدة في سر واحد كبير هو سر
الموافقة المتبادلة(*)، فإنني أوافق عليك ياإيزة، ولتشهد
ياإلهي، لأن هذا هو جسدي! إنني أوافق عليك! وفي
هذه الكلمة الوحيدة يؤخذ العهد، وفي معانقة الندم
يستقر القانون، وفي المصادقة السامية توضع الأسس
الأبدية لنظامنا(**).

* أي موافقة المرأة والرجل على الزواج والارتباط بالرباط المقدس .
** أي مصادقة الكنيسة على عماد الطفل .

إيزة : أوافق عليك ياميزا .

ميزا : كل شيء قد رتب ياروحي .

إيزة : إذن لا تخش شيئا .

ميزا : أنا لا أخشى شيئا ياإيزة .

إيزة : حتى في الماضي ، يا صغيري ميزا ، لم تستطع أن تخفي عني ما تفكر فيه وكنت أرى كل شيء في عينيك . أما الآن فالأمر معك . مثلما نشم رائحة بالأنف ، ومثلما نلمس بأصابعنا ، (لكن ليتك عرفت أن هذا شيء غريب ، ماذا أقول؟ وساذج وبديع ومقدس ومباشر وفريد) ، كذلك ، ياميزا ، أرى روحك من خلال روحي نفسها ، وأرى كل الأفكار التي تدور فيها ، وبنبض حياتي ذاتها ، أدرك تلك الحركة التي تحيا بفضلها .

ميزا : وهل ترين أنني خائف من مواجهة الموت؟

إيزة : لا تخجل أبدا ، ياميزا الصغير! فأكثر الناس حياة هو أكثرهم خوفا من أن يتوقف عن الحياة! آه! يا القسوة الرجال وانغلاقهم ، وبالشدة خوفهم من المعاناة والموت! أما الأنثى ، زوجة كانت أو أما للرجل ، فهي لا تدهش أبدا ، لأنها تعودت على الأيدي العنيدة التي تأخذ وحسب . أرايت؟ إنه أنا التي تواسيك وتطمثك .

ميزا : أنت نائمة وعيوني مفتوحة .

إيزة

: ليكن هذا . فأنا أرى قلبك ياميزا ، وأشعر بأنني راضية .
وماهو ذا الماضي كله بخيره وكل شره ، وبينهما الندم كأنه
الأسمنت ، لا يعدو أن يكون قاعدة وبداية وجسدا
واحداً مندمجا فيها هو كائن وماهو حاضر إلى الأبد . كنت
غيورة ياميزا ، وكنت أراك عبوسا وأعرف أنك توارى عني
جزءا من نفسك . لكنني الآن أرى كل شيء ، كما أرى
بأكمل ، وليس بيننا سوى الحب ، وأرانا نقيين عريانين ،
يستمد كل منا حياته من الآخر ، ويتغلغل كل منا في
الآخر تغلغلا لا يمكن التعبير عنه ، في لذة التواصل بين
الزوج وزوجه ، وكأن الرجل والمرأة حيوانان روحيان
كبيران ، وحياتهما هي حياة الخفقان المتجاوب فينا لعين
الروح ، ولقلب القلب الكامن تحت القلب النابض في
صدرينا ، الذي ينتج اللحم والفكر والشعر والأذرع التي
تضم وتحتضن ، والرؤية والمعنى ، والفم الذي قبل الفم
في الماضي ! لا تهزأ مني ياميزا !

ميزا

: أسمعك تضحكين خفية !

إيزة

: آه ياميزا ، ليتك تعرف كم يخيف المرأة ، أن تنظر إلى نفسها
في المرأة وتلاحظ أنها تشيخ ، وتلمح هذه النقاط الحمراء
الصغيرة المخيفة ، وتلمس جسدها بالأصابع ، وتشعر بأنها
لم تعد هي نفسها ، وبأن هذا الجسد قد كان فيها مضى
لفتاة وردية وناصعة كسيف الغراب (*) وبأن وجهها قد
سمن وجف كالبحر ! وبالعروس التي تمنح فمها الذي

* نوع من أنواع الجلاد يولا .

يستنشق الياسمنت(*) ويتذوق الفطر الطازج! لكنني الآن
لن أشيخ أبدا! أنا الآن شابة إلى الأبد!

ميزا : أنت التي تعلميني وأنا أستمع إليك . أخبريني
يا امرأة، يا ثمرة الكرم كم سيمضي من الوقت قبل أن
أرتشفك من جديد في مملكة الرب؟

إيزة : لست أرى هذا ولا أفهمه ياميزا . فكما ينتج كل منا
رؤيته وإدراكه، فهو كذلك بحياته الخاصة يشد
الإعجاب بالشيء الوحيد الذي هو وقته الخاص . عليك
ألا تحاول أن تفهمني .

ميزا : ماذا ترين أيضا وماذا تسمعين؟

إيزة : قلبك وحده .

ميزا : ثم ماذا؟

إيزة : ألا نخاف أبدا . فهذا زماننا ينبض والزمن القديم
يكتمل ، والآلة التي تحت المنزل لم يبق عليها سوى دقائق
قليلة، هي الوقت الذي يستغرقه الانفجار . الذي
سيجعل بيت اللحم هذا يتناثر في الهواء . لا تحش
شيئا .

ميزا : إن اللحم الكريه يرتعد، أما الروح فيصعب إخمادها .
وهكذا تصحو الشمعة الوحيدة في الليل المظلم، ولن
تقدر الظلمات المتراكمة على قهر النار الضئيلة . تشجعي

* من فصيلة الزنابق (وهو الياسمنت) .

ياروحي! ماذا كنت أصلح له في هذه الدنيا؟ أنا لم أعرف قط، ونحن لا نعرف يا إيزة كيف نهب أنفسنا بشكل جزئي. فلنهب أنفسنا إذن مرة واحدة! وهأنذا أشعر في نفسي، بأن كل القوى القديمة في كياني تتفرض من أجل نظام جديد. ومن وراء القبر أسمع صوت البوق في يوم الحشر الأخير، ووضع ميزان الحساب في الخلاء الشاسع، وفي الجانب الآخر أسمع صوت النفير، وتنتشر أحداث حياتي مرة واحدة أمام عيني. مثل الأنعام الخافتة التي تنبعث من مزمار كبير.

(تنهض إيزة وتظل واقفة أمامه مغمضة العينين، تبدو بيضاء تماما تحت أشعة القمر، وهم تضم ذراعيها المتقاطعتين، وتهب ريح عنيفة تطير شعرها).

إيزة

: انظر الآن إلى وجهي فما زال هناك بعض الوقت، وتطلع إلي واقفة وممدودة مثل شجرة زيتون كبيرة في شعاع القمر الأرضي وضوء الليل، وتمثل صورة هذا الوجه القاني لأن وقت تحللنا يقترب ولن تراني أبدا بعين الجسد هذه! وأنا أسمعك ولا أسمعك على الإطلاق! لأنني صرت بلا أذنين! لا تصمت أبدا يا محبوبي، فأنت حاضر هنا أمامي! امنحني موافقتك فحسب، وسوف يتفجر الصوت الذهبي ويبدأ في التدفق حتى أذنيك ليغني أغنية نقية بصوت حقيقي، إنه صوت إيزة حبيبتك الأبدية، أفضل من رنين النحاس ومن منظر الشهادة (التي تثبت النجاح). لقد كنت تحتك اللحم الذي

يتثنى ، وكنت الحصان بين ركبتيك ، مثل حيوان طائش
أرعن ، مثل حصان يذهب حيثما أدت رأسه ، ويذهب
أسرع وأبعد مما تريد! انظر إليها الآن ، ياميزا بعدما انبسط
لحمها المطوي ، امرأة مفعمة بالجمال ، يغمرها الجمال
الأعظم! ما هذا الذي تقوله عن صوت النفير الحاد!
انهض ، انهض ياذا الشكل المكسور لتراني كالراقصة
المنصتة ، ذات القدمين الفرحتين اللتين يلتقطها إيقاع
لا يقاوم . اتبعني ولا تتلكأ بعد الآن! ياإلهي العظيم ،
هاأنا ضاحكة ، دوارة ، مجتثة من جذوري ، وظهري فوق
أديم الضوء نفسه كأنه يخلق على الجناح الذي يرف تحت
الموجة! آه ياميزا! هانحن نقسم منتصف الليل ، وها أنا
ذى مستعدة للتحرر والخلاص ، علامة أخيرة على الشعر
المنطلق في ريح الموت!

ميزا : الوداع لقد رأيتك للمرة الأخيرة! على أي دروب طويلة ،
مضنية ، ومافتتنا بعيدين يسند كل منا الآخر . سنروض
أرواحنا على الكد والعمل؟ تذكرني ، تذكرني العلامة! أما
علامتي فليست هي الشعر العقيم في العاصفة ، ولا هي
المنديل الصغير لحظة الوداع ، بل سأكون بعد أن تتمزق
كل الحجب ، كالشعلة القوية المتوهجة ، الرجل العظيم
في مجد الرب ، الإنسان في روعة إشراق أغسطس ، والروح
المنتصرة في تحول الظهيرة!

النهاية

صدر من هذه السلسلة

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| ١- سمك عسير الهضم | تأليف: مانويل جاليتش |
| ٢- القبرة (جان دارك) | تأليف: جان انوي |
| ٣- البرج | تأليف: هال انوي |
| ٤- عاصفة الرعد | تأليف: تساويو |
| ٥- الخادم الأخرس - | تأليف: هارولد بنتر |
| التشكيلة أو عرض الأزياء | |
| ٦- الشيطانة البيضاء | تأليف: جون ويستر |
| ٧- الاسكندر المقدوني أو قصة مغامرة | تأليف: تيرانس راتيجان |
| ٨- سباق الملوك | تأليف: تيرانس راتيجان |
| ٩- استعدوا لركوب الطائرة وغيرها | تأليف: جون مورتيمر |
| ١٠- النيازك | تأليف: فريدريش دورينهاث |
| ١١- دراما اللامعقول | تأليف: يونسكو - داموف - أرابال البي |
| ١٢- مس جوليا - الأب | تأليف: أوجست سترندبرج |
| ١٣- عطيل يعود | تأليف: نيقوس كازندزاكي |
| ١٤- أنشودة أنجولا | تأليف: بيتر فايس |
| ١٥- تواضعت فظفرت | تأليف: أوليفر جولد سميث |
| ١٦- مدرسة الزوجات - | تأليف: مولير |
| نقد مدرسة الزوجات - ارنجالية فرساي | |
| ١٧- عسكر ولصوص أونيد كيللي | تأليف: دوجلاس سيتوارت |
| ١٨- العين بالعين | تأليف: وليم شكسبير |
| ١٩- الطريق إلى دمشق - ثلاثية | تأليف: أوجست سترندبرج |
| ٢٠- ١٤ يوليو | تأليف: رومان رولان |
| ٢١- شجرة التوت | تأليف: انجس ويلسون |
| ٢٢- روس أولرانس العرب | تأليف: تيرانس راتيجان |
| ٢٣- حلاق أشبيلية | تأليف: كارون دي بومارشيه |
| ٢٤- هاملت | تأليف: وليم شكسبير |
| ٢٥- الحياة الشخصية | تأليف: نويل كوارد |
| ٢٦- نساء تراخيس | تأليف: سوفوكل |
| ٢٧- رجل الله - القلوب النهمة | تأليف: جبريل مارسل |
| ٢٨- ليلة ساهرة من ليالي الربيع | تأليف: انريكي خارديل بونثلا |

- ٥٣ - ابن أمية أو ثورة المورسكيين
 ٥٤ - مأساة كريولانس
 ٥٥ - القصة المزدوجة للدكتور بالمي
 ٥٦ - الكترا - أورستيس
 ٥٧ - هرناي
 ٥٨ - المستنيرون
 ٥٩ - سجاناريل - المتحذلقات المضحكات -
 مدرسة الأزواج - الطبيب الطائر -
 غيرة الباربويه
 ٦٠ - الطريق إلى روما
 ٦١ - المهرجون - قصة فلادلفيا
 ٦٢ - قصة حياة
 ٦٣ - أوبرا الصعلوك
 ٦٤ - الابن الطبيعي
 ٦٥ - رقصة الموت - الطريق الكبير
 ٦٦ - أيام العمر - سكان الكهف
 ٦٧ - العارض - بيرينيس المصرية
 ٦٨ - المعصرة - أداء الأدوار - أبوزهرة بقمه
 ٦٩ - حالة طوارئ
 ٧٠ - حياة جاليليو - طول في الليل
 ٧١ - غرفة المعيشة
 ٧٢ - المستأجر الجديد - اللوحة - الخريت
 ٧٣ - السفر - سهرة الأمثال
 ٧٤ - نجونا بأعجوبة
 ٧٥ - تلميذ الشيطان - هداية القبطان براسباوند
 ٧٦ - الملك لير
 ٧٧ - الطريق
 ٧٨ - عزيزي مارات المسكين
 ٧٩ - زفاف زبيدة
 ٨٠ - مياه بابل - رقصة العريف
 ٨١ - روبسير
 ٨٢ - أوديب
 ٨٣ - ظماً - عبودية - ضباب -
 مبحرون شرقاً إلى كارديف -
 في المنطقة - بدر على البحر الكاريبي
- تأليف: مارتينيس دي لاروزا
 تأليف: وليم شكسبير
 تأليف: أنطونيو بويرو بايخو
 تأليف: يوربيديس
 تأليف: فيكتور هيجو
 تأليف: ليو تولستوي
 تأليف: مولير
 تأليف: روبرت شيروود
 تأليف: فيليب باري
 تأليف: ماكس فريش
 تأليف: جون جي
 تأليف: دنيس ديدرو
 تأليف: أوجست سترندبرج
 تأليف: وليم سارويان
 تأليف: أندريه شديد
 تأليف: لويجي بيرندلو
 تأليف: ألبير كامي
 تأليف: برتولت برشت
 تأليف: جراهام جرين
 تأليف: يوجين يونسكو
 تأليف: جورج شحادة
 تأليف: ثورنتون وايلدو
 تأليف: جورج برنارد شو
 تأليف: وليم شكسبير
 تأليف: وول شوينكا
 تأليف: إلكسي أربورف
 تأليف: هوجو فون هومانزثال
 تأليف: جون آردن
 تأليف: رومان رولان
 تأليف: سنكا
 تأليف: يوجين اونيل

- ٨٤ - فرمان المائدة المستديرة - الآباء الأشقياء
 ٨٥ - تعلم الفرنسية بلا دموع - الممر المضيء
 ٨٦ - العرس الدموي
 ٨٧ - الحياة حلم
 ٨٨ - يوليوس قيصر
 ٨٩ - الفينيقيات - المستجيرات
 ٩٠ - لكل عالم هفوة
 ٩١ - ظل الوادي - الراكبون إلى البحر -
 زفاف السمكري - بئر القديسين
 ٩٢ - فتى الغرب المدلل - ديردرا فتاة الأحزان -
 عندما غاب القمر
 ٩٣ - كلهم أبنائي - الثمن
 ٩٤ - أوبرا القروش الثلاثة -
 لوكولوس - بعل
 ٩٥ - تيمون الأثيني
 ٩٦ - خادم سيدين
 ٩٧ - رحلة السيد بريشون
 ٩٨ - فتاة في سن الزواج - مشاجرة رباعية -
 تخريف ثنائي - الثغرة - لعبة الموت
 ٩٩ - ست شخصيات تبحث عن مؤلف -
 كل شيخ له طريقة - الليلة نرتجل
 ١٠٠ - انتحار الحبيبين في سونيزاكي -
 معارك كوكسينجا
 ١٠١ - وراء الأفق - أنا كريستي
 ١٠٢ - الحرية المغلوبة - صعود البطل
 ١٠٣ - مأساة عطيل
 ١٠٤ - الطلبة المشاغبون -
 قبل يوم الاثنين الموعود -
 الليلة يوم الجمعة
 ١٠٥ - حرم سعادة الوزير - الدكتور
 ١٠٦ - القمر في النهر الأصفر
 ١٠٧ - بينما تسطع الشمس - المهرجون
 ١٠٨ - الحصان المغمى عليه - الشوكة
 ١٠٩ - الصنوبرة المجتثة -
 انتحار الحبيبين في اميجيا
- تأليف : جان كوكتو
 تأليف : تيرانس راتيجان
 تأليف : فديريكو غرسيا لوركا
 كالدرون دي لباركا
 تأليف : وليم شكسبير
 تأليف : يوربيديس
 تأليف : الكسندر استروفسكي
 تأليف : جون ميلنجتون سنج
 تأليف : جون ميلنجتون سنج
 تأليف : آرثر ميللر
 تأليف : برتولت برشت
 تأليف : وليم شكسبير
 تأليف : كارلو جولدوني
 تأليف : أوجين لايش
 تأليف : يوجين يونسكو
 تأليف : لويجي بيرندلو
 تأليف : تشيكا ماتسبو
 تأليف : يوجين أونيل
 تأليف : جون آردن
 تأليف : وليم شكسبير
 تأليف : جانز كوبر - كولن فينيو
 تأليف : برانيسلاف نوشيتش
 تأليف : دنيسن جونستون
 تأليف : تيرانس راتيجان
 تأليف : فرانسواز ساجان
 تأليف : تشيكاماتسو

- ١١٠ - الأم الشجاعة -
السيد بتلا وخادمه ماتي
- ١١١ - الغضب - الملك يموت -
العطش والجوع
- ١١٢ - العاصفة
- ١١٣ - هكذا الدنيا تسير
- ١١٤ - الدراما الثورية الإسبانية -
فصيلة على طريق الموت -
المنطقة - الكهانة
- ١١٥ - مرحلة الواقعية الأولى -
رغبة تحت شجر الدردار
- ١١٦ - الآلة الجهنمية
- ١١٧ - جيتس فون برلشجن
- ١١٨ - مأساة طيبة أو الشقيقتان فيدر
- ١١٩ - ليوكاديا
- ١٢٠ - الشر يستطير - الصابرون
- ١٢١ - مضيفة النزلاء
- ١٢٢ - أسطورة دون كيشوت ١٩٦٨
- ١٢٣ - حلم العقل
- ١٢٤ - مكبث
- ١٢٥ - القيثارة الحديدية
- ١٢٦ - عائلتي - الأشباح
- ١٢٧ - الزملاء الثلاثة
- ١٢٨ - ممثل الشعب
- ١٢٩ - الناشرون
- ١٣٠ - العائلة - خيال مريض
- ١٣١ - الكرز المزهر
- ١٣٢ - توركوواتو تاسو
- ١٣٣ - مشهد في الطريق
- ١٣٤ - حبا بحب
- ١٣٥ - تحيا الملكة
- ١٣٦ - لورانس الشو
- ١٣٧ - الإمبراطور جونز - الغوريلا
- ١٣٨ - هرقل فوق جبل أوبتا
- تأليف : برتولت برشت
- تأليف : يوجين يونسكو
- تأليف : وليم شكسبير
- تأليف : وليم كونجراف
- تأليف : ألفونسو ساستري
- تأليف : يوجين أونيل
- تأليف : جان كوكتو
- تأليف : يوهان فلفجلنج جيته
- تأليف : جان راسين
- تأليف : جان انوي
- تأليف : جاك أوديرتي
- تأليف : جاك أوديرتي
- تأليف : بويرو بايغو
- تأليف : بويرو بايغو
- تأليف : وليم شكسبير
- تأليف : جوزيف أوكرو
- تأليف : ادواردو دي فيليبو
- تأليف : جيمس بروم لين
- تأليف : برانيسلاف نوفيتس
- تأليف : آرثر ميللر
- تأليف : إيفان مرچيفتش - فوجنيف
- تأليف : روبرت بولت
- تأليف : يوهان فلفجلنج جيته
- تأليف : المررايس
- تأليف : وليم كونجراف
- تأليف : روبرت بولت
- تأليف : الفريد دي موسيه
- تأليف : يوجين أونيل
- تأليف : مينيك

- ١٣٩ - دنيا زوال
 ١٤٠ - ميليت - السيد
 ١٤١ - قفزة في الخلاء أو - العجوز المراهق
 ١٤٢ - المستر دولار
 ١٤٣ - زوجة كريح
 ١٤٤ - التطلع إلى المصيف -
 مغامرات المصيف - العودة من المصيف
 ١٤٥ - اللصوص
 ١٤٦ - ثلاث قبعات كوبا
 ١٤٧ - القلب المحطم
 ١٤٨ - جريمة قتل في الكاتدرائية
 ١٤٩ - حفل كوكتيل
 ١٥٠ - نقيب كوينيك
 ١٥١ - الآلة الكبير براون
 ١٥٢ - مختارات من المسرح الافريقي
 - الخادم
 - الزنزانة
 ١٥٣ - شهر في القرية
 ١٥٤ - الجدة الأولى
 ١٥٥ - المرحوم
 ١٥٦ - النمر والحصان
 ١٥٧ - حملة الدكتوراه
 ١٥٨ - فلهلم تل ١٨٠٤
 ١٥٩ - عيد الميلاد في بيت كويللو
 ١٦٠ - إنسان روسوم الآلي
 ١٦١ - أول من صنع الخمر -
 ليلة تبكي الملائكة
 ١٦٢ - زواج لوترو هاديك
 ١٦٣ - سلطان الظلام
 ١٦٤ - الأعزب
 ١٦٥ - الأنسة روزيتا العانس أو لغة الزهور
 ١٦٦ - افيجينيا في أوليس -
 افيجينيا في تاوديس
 ١٦٧ - أندرو ماخي - الطرواديات
 تأليف: مورس هارت - جورج كوفمان
 تأليف: لير كورني
 تأليف: دونا ماكونا
 تأليف: برانيسلاف نوشيتس
 تأليف: جورج كيل
 تأليف: كارلو جولدوني
 تأليف: فريدرش شلر
 تأليف: ميجيل ميورا
 تأليف: جون فورد
 تأليف: ت. س. إليوت
 تأليف: ت. س. إليوت
 تأليف: كارل توكمير
 تأليف: يوجين أونيل
 تأليف: فرديناند أويونو
 تأليف: هارولد كمل
 تأليف: إيفان تورجينيف
 تأليف: فرانس جريليا وتسر
 تأليف: برانيسلاف نوشيتس
 تأليف: روبرت بولت
 تأليف: موريل سبارك
 تأليف: فريدرش شلر
 تأليف: ادواردو دي فيليو
 تأليف: كاريل تشاييك
 تأليف: تولستوي
 تأليف: بيتر ليرسوف
 تأليف: جول رومان
 تأليف: إيفان تورجينيف
 تأليف: فديريكو غريسيه لوركا
 تأليف: يوربيديس
 تأليف: يوربيديس

- ١٦٨ - سابفو
١٦٩ - أصوات الأعماق
١٧٠ - أبوالهول الحي
١٧١ - الريفية
١٧٢ - الآلة الحاسبة
١٧٣ - الناسك الأسود
- ولد للموت
- الخروج
١٧٤ - مصرع كاسبر هاوزر
١٧٥ - الغابة
١٧٦ - الدكتاتور
١٧٧ - خاتمان من أجل سيدة
١٧٨ - انحراف في قصر العدالة
١٧٩ - أغسطس من أجل الشعب
١٨٠ - عابدات باخوس
١٨١ - ايون
١٨٢ - هيوليتوس
١٨٣ - مارسيل بانيول
١٨٤ - عمود النار - الكلايدوسكوب -
نفير الضباب
١٨٥ - جريمة في جزيرة الماعز
١٨٦ - ميديا
١٨٧ - الفتى المذهب
١٨٨ - عصر الجليد
١٨٩ - الكذاب
١٩٠ - العدالة
١٩١ - أوبو ملكا
١٩٢ - أوبو عبدا
١٩٣ - أوبو فوق التل - أوبو زوجا مخلوعا
١٩٤ - ما ثمن المجد
١٩٥ - نجمة أشيلية
١٩٦ - وحش طوروس
١٩٧ - افعل شيئا يامت
١٩٨ - المتعاملون
- تأليف : فرانس جزيليارتسر
تأليف : إدواردو دي فيليبو
تأليف : رجب تشوميا
تأليف : إيفان تورجينيف
تأليف : المرل . رايس
تأليف : جيمس نجوجي
تأليف : سام توليا موهيكا
تأليف : توم أومارا
تأليف : ديتير فورته
تأليف : الكسندر استروفسكي
تأليف : جول رومان
تأليف : أنطونيو جالا
تأليف : أوجوتي
تأليف : نيجل دنيس
تأليف : يوربيديس
تأليف : يوربيديس
تأليف : يوربيديس
تأليف : طوباز
تأليف : راي برادبوري
تأليف : أوجوتي
تأليف : بيير كورني
تأليف : كليفوره أوديتس
تأليف : تانكرد دورست
تأليف : بيير كورني
تأليف : جون جولزود ذي
تأليف : الفريد جاري
تأليف : الفريد جاري
تأليف : الفريد جاري
تأليف : ماكسويل أندرسون
تأليف : لوي دي بيجا
تأليف : عزيز نسين
تأليف : عزيز نسين
تأليف : كويناسكي

- ١٩٩ - هرج ومرج في المنزل
 ٢٠٠ - الجزء الأول من حكاية الملك هنري الرابع
 ٢٠١ - الأشباح
 ٢٠٢ - البطلة البرية
 ٢٠٣ - أعمدة المجتمع
 ٢٠٤ - نابولي مليونيرة
 ٢٠٥ - عطلة الإسكافي
 ٢٠٦ - الحبل المتهدل أو أغنية القطار الشبح
 ٢٠٧ - ماريوس
 ٢٠٨ - جثة حية
 ٢٠٩ - السكين الكبير
 ٢١٠ - الأرض الحرام
 ٢١١ - مذنبون بلا ذنب
 ٢١٢ - رحلة النهار الطويلة خلال الليل
 ٢١٣ - سيدات متقاعدات
 ٢١٤ - الهارب
 ٢١٥ - السحب - ١
 ٢١٦ - السحب - ٢
 ٢١٧ - مجانين واختصاصيون
 ٢١٨ - الموت وفارس الملك
 ٢١٩ - لون بشرتنا
 ٢٢٠ - توركاريه
 ٢٢١ - السيد دي ساد
 ٢٢٢ - الأيام الخوالي
 ٢٢٣ - الآلية
 ٢٢٤ - شروق الشمس
 ٢٢٥ - الحياة المديدة للملك أوزوالد -
 المؤامرة
 ٢٢٦ - العاصفة الرعدية
 ٢٢٧ - الضوء يسطع في الظلام
 ٢٢٨ - سيده الفجر
 ٢٢٩ - منحني خطر
 ٢٣٠ - توراندوت
 ٢٣١ - الجمعية الأدبية
 تأليف: كوسي كادي
 تأليف: وليم شكسبير
 هنريك إبسن
 تأليف: هنريك إبسن
 تأليف: هنريك إبسن
 تأليف: ادوارد دي فيليبو
 تأليف: توماس دكر
 تأليف: فرناندو أربال
 تأليف: مارسيل نانيول
 تأليف: تولستوي
 تأليف: كيلفورد أوديس
 تأليف: هارولد بنتر
 تأليف: الكسندر استروفسكي
 تأليف: يوجين أونيل
 تأليف: ادوارد بيرمي وريجينالد دنهام
 تأليف: جون جولدزوردي
 تأليف: اريستوفانيس
 تأليف: اريستوفانيس
 تأليف: وول سوينكا
 تأليف: وول سوينكا
 تأليف: ثيلستينو جورمستينا
 تأليف: آلان رينيه لوساج
 تأليف: يوكيو ميشا
 تأليف: هارولد بنتر
 تأليف: صوفي تريديويل
 تأليف: تساويوي
 تأليف: فيليمير لوكيتش
 تأليف: الكسندر استروفسكي
 تأليف: ليون تولستوي
 تأليف: اليخاندرو كاسونا
 تأليف: ج. ب. بريستي
 تأليف: فريدريك شيلر
 تأليف: هنري أفوري

- جواهر المعبد
- ٢٣٢ - فاوست - الجزء الأول - المقدمة
- ٢٣٣ - فاوست - الجزء الثاني - نص مسرحي
- ٢٣٤ - فاوست - الجزء الثالث - نص مسرحي
- ٢٣٥ - القفص - الانتحار
- ٢٣٦ - ملكة الليل في بحر حجري
- ٢٣٧ - افتتاحية الهاديء
- ٢٣٨ - كازانوف
- ٢٣٩ - نهذا تريزياس - لون الزمن
- ٢٤٠ - وظيفة مريجة
- ٢٤١ - مطعم القردة الحية
- ٢٤٢ - الخزان العظيم
- ٢٤٣ - كنت هنا من قبل
- ٢٤٤ - بيت آل روزمر
- ٢٤٥ - حورية من البحر
- ٢٤٦ - أيولف الصغير
- ٢٤٧ - بيركليس
- ٢٤٨ - حرية المدينة
- ٢٤٩ - بنات تراخيس
- ٢٥٠ - المرأة - اليقظ دائما
- ٢٥١ - البيت الذي شيده سوفيت
- ٢٥٢ - ميدان بيركلي
- ٢٥٣ - مؤامرة الإمبراطورة
- ٢٥٤ - قضية روبرت أوبينهايمو
- ٢٥٥ - نساء لمن ماض
- ٢٥٦ - هيكابي
- ٢٥٧ - الناووس أو التابوت الحجري
- ٢٥٨ - نهاية اللعبة
- ٢٥٩ - سيمبلين
- ٢٦٠ - وداع في يونيو
- ٢٦١ - النبي المقنع
- ٢٦٢ - بلا لبس - دماء آل بامبيرغ
- ٢٦٣ - الرجل المنسي
- ٢٦٤ - باولو وفرانتشيسكا
- تأليف: جيمس اين هنشو
- تأليف: جيته
- تأليف: جيته
- تأليف: جيته
- تأليف: ماريو فراتي
- تأليف: يان سولوفيتش
- تأليف: جون ويدمان
- تأليف: جييوم أبولينير
- تأليف: جييوم أبولينير
- تأليف: السكندر استروفسكي
- تأليف: غونكور ديلمان
- تأليف: بيتر ترسون
- تأليف: ج. ب. بريستي
- تأليف: هنريك إيسن
- تأليف: هنريك إيسن
- تأليف: هنريك إيسن
- تأليف: وليم شكسبير
- تأليف: براين فرايل
- تأليف: سوفوكليس
- تأليف: جواد فهمي باشكوت
- تأليف: غريغوري غورين
- تأليف: جون بولدريستون
- تأليف: إلکسي تالستوي
- تأليف: هايتز كيههارت
- تأليف: ديميتري ديموف
- تأليف: يوريديس
- تأليف: فلاجيمير جوبريف
- تأليف: صمويل بيكيت
- تأليف: وليم شكسبير
- تأليف: الكسندر فاميلوف
- تأليف: عبدالكريم الخطابي
- تأليف: جون أوزبورن
- تأليف: ناظم حكمت
- تأليف: ستيفن فيليبس

- ٢٦٥ - ليالي الغضب
٢٦٦ - لا
٢٦٧ - حمام روماني
٢٦٨ - المفتش
٢٦٩ - الرجل الأحزن
٢٧٠ / ٢٧١ - في انتظار جودو
- الرحلة الجانبيه
٢٧٢ / ٢٧٣ - في سبيل الحرية
- صحيفة الشيخ شرزين
٢٧٤ / ٢٧٥ - عندما نبعث نحن الموتى
- غرائب عندليب
٢٧٦ / ٢٧٧ - الجزيرة القرمزية
- بورييس جودونوف
٢٧٨ / ٢٧٩ - المؤامرة والحب
- لا مزاح في الحب
٢٨٠ / ٢٨١ - سترة من المخملين
- شارلوتا - عائشة
- تأليف : أرمان مالاكرد
تأليف : ماكس أوب
تأليف : ستانسلان ستراتيف
تأليف : نيقولاي غوغول
تأليف : بيرج زيتونتياي
تأليف : صمويل بيكيت
تأليف : مارتن فالسر
تأليف : جوهر مراد
تأليف : بهرام بيضائي
تأليف : هنريك إبسن
تأليف : تينسي ويليامز
تأليف : ميخائيل بولغاكوف
تأليف : ألكسندر بوشكين
تأليف : فريدريش فون شلر
تأليف : ألفريد دي موسيه
تأليف : ستانيسلاف ستراتيف
تأليف : شحابلوق عيسى

قسمة اشتراك

البيان	سلسلة المسرح العالمي		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠	-
الأفراد في الدول العربية الأخرى	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥	-
المؤسسات خارج الوطن العربي	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠	-
الأفراد خارج الوطن العربي	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠	-

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في : تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم :
العنوان :
اسم المطبوعة :
مدة الاشتراك :
المبلغ المرسل :
نقدًا / شيك رقم :
التوقيع :
التاريخ : / / ١٩م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت . وترسل على العنوان التالي :

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص . ب : ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الرمز البريدي 13100
دولة الكويت

طبع في مطابع دار السياسة

